المنهج العلمي

لطلاب العلم الشرعي

وبعض الفوائد والنكات العلمية

راجعه وقرظه

فضيلة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

تأليف

ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي

المنهج العلمي

لطلاب العلم الشرعي

وبعض الفوائد والنكات العلمية

راجعه وقرظه

فضيلة الشيخ العلامة

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

تأليف

ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي

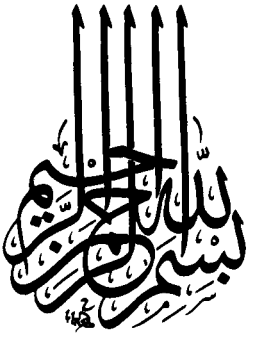

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الرابعة

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

للمراسلة على البريد الإلكتروني: turki_1428@hotmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ وَحْدَه، وصَلَّى اللهُ وسَلَّمَ عَلَى مَنْ لا نَبِيَّ بَعْدَه مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِه.

وبَعْدُ؛ فَقَدْ قَرَأتُ هَذِه الرِّسَالَةَ الَّتِي أَلَّفَها أَخُوْنا الشَّيْخُ : ذِيَابُ بنُ سَعْدٍ الغَامِدِيُّ حَفِظَه اللهُ تَعَالَى ووَفَّقَه!

والَّتِي نَصَحَ فيها طَلَبَةَ العِلْمِ الصَّحِيْحِ، وبَيَّنَ طُرُقَ التَّعَلُّمِ، وفَصَّلَ العِلْمَ، ووَسَائِلَه، وأَسْبَابَ تَحْصِيْلِه، وذَكَرَ بَعْضَ الكُتُبِ الَّتِي يَهِمُّ الطَّالِبُ أنْ يَقْرَأها، وحَذَّرَ الطَّالِبَ مِنَ العَوَائِقِ الَّتِي تَشْغُلُه عَنِ التَّحْصِيْلِ، وفَصَّلَ في ذَلِكَ .

فَجَزَاهُ اللهُ أَحْسَنَ الجَزَاءِ، وأَكْثَرَ في الأمَّةِ مِنْ حَمَلَةِ العِلْمِ الَّذِيْنَ يَهْتَمُّوْنَ بالطَّلَبِ، ويَحْرِصُوْنَ عَلَى التَّعَلُّمِ والتَّعْلِيْمِ والتَّطْبِيْقِ، واللهُ أَعْلَمُ .

وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصَحْبِه وسَلَّمَ

(٢٦/ ٥/ ١٤٢٥ هـ)

عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجِبْرِيْن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله حَمْدًا كَثِيْرًا، طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه، القَائِلِ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، والقَائِلِ ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى عَبْدِه ورَسُوْلِه المَبْعُوْثِ رَحْمَةً للعَالَمِيْن، القَائِلِ: «**طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»(١)، والقَائِلِ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّيْنِ**»(٢)!

أمَّا بَعْدُ: فإنَّ أوْلَى مَا يَتَنَافَسُ فيه المُتَنافِسُوْنَ، وأحْرَى مَا يَتَسابَقُ في حَلَبَتِهِ المُتَسابِقُوْنَ: العِلْمُ الشَّرْعِيُّ، فَهُوَ الكَفيلُ الضَّامِنُ بالِسَّعَادَةِ البَاطِنَةِ والظَّاهِرَةِ، والدَّلِيْلُ الآمِنُ إلى خَيْرَيْ الدُّنْيا والآخِرَةِ.

وأدَلُّ شَيْءٍ عَلَى ذَلِكَ؛ أنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ قَدِ اخْتَصَّ مِنْ خَلْقِهِ مَنْ أحَبَّ، فَهَدَاهُم للإيْمَانِ، ثُمَّ اخْتَصَّ مِنْ سَائِرِ المُؤْمِنِيْنَ مَنْ أحَبَّ؛ فَتَفَضَّلَ عَلَيْهِم فَعَلَّمَهُم الكِتَابَ والحِكْمَةَ، وفَقَّهَهُم في الدِّيْنِ، وعَلَّمَهُم التَّأوِيْلَ،

---

(١) أخْرَجَهُ ابنُ عَدِيٍّ في «الكَامِلِ» (٣/ ١١٠٧)، والبَيْهَقِيُّ في «المَدْخَلِ» (٣٢٤) وغَيْرُهُما، وهُوَ حَسَنٌ بشَوَاهِدِه.

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١/ ٢٧)، ومُسْلِمٌ (٣/ ٩٥).

وفَضَّلَهُم عَلَى سَائِرِ المُؤْمِنِيْنَ، وذَلِكَ في كُلِّ زَمَانٍ وأوَانٍ؛ رَفَعَهُم بالعِلْمِ، وزَيَّنَهُم بالحِلْمِ، بِهِمْ يُعْرَفُ الحَلالُ مِنَ الحَرَامِ، والحَقُّ مِنَ البَاطِلِ، والضَّارُ مِنَ النَّافِعِ، والحَسَنُ مِنَ القَبِيْحِ[1].

إنَّه العِلْمُ النَّافِعُ والعَمَلُ الصَّالِحُ اللَّذَانِ لا سَعَادَةَ للعَبْدِ إلاَّ بِهِما، ولا نَجَاةَ لَهُ إلاَّ بسَبَبِهِما، فَمَنْ رُزِقْهُما فَقَدْ فَازَ وغَنِمَ، ومَنْ حُرِمْهُما فَقَدْ خَسِرَ وغَرِمَ، وهُمَا مَوْرِدُ انْقِسَامِ العِبَادِ إلى مَرْحُوْمٍ ومَحْرُوْمٍ، وبِهِما يَتَمَيَّزُ البَرُّ مِنَ الفَاجِرِ، والتَّقِيُّ مِنَ الغَوِيِّ، والمُؤْمِنُ مِنَ المُنَافِقِ، والظَّالِمُ مِنَ المَظْلُوْمِ، وهَاكَ حَقًّا: «**خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ في مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، ولا فِقْهٌ في الدِّيْنِ**»[2]!

نَاهِيْكَ؛ أنَّ السَّمَوَاتِ والأرْضَ ما قَامَتَا إلاَّ بالعِلْمِ، بَلْ مَا بُعِثَ الرُّسُلُ، وما أُنْزِلَتِ الكُتُبُ، ومَا فُضِّلَ الإسْلامُ عَلَى غَيْرِه إلاَّ بِهِ، وفَوْقَ ذَلِكَ؛ ما عُبِدَ اللهُ، ولا عُرِفَ الإيْمَانُ مِنَ الكُفْرِ إلاَّ بِهِ!

* * *

فَشَمِّرْ يا طَالِبَ العِلْمِ، سَائِلاً اللهَ تَعَالَى: الإرَادَةَ الصَّادِقَةَ، والعِلْمَ النَّافِعَ، واصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ رَبَّهُم بالعِلْمِ والإيْمَانِ.

---

(١) انْظُرْ «أخْلاقَ العُلَمَاءِ» للآجُرِّي (١٤) بتَصَرُّفٍ.

(٢) أخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٦٨٤)، وهُوَ صَحِيْحٌ.

فإنَّه لا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ، ولا يُطْلَبُ بالتَّمَنِّي والتَّحَلِّي، وقَدْ قِيْلَ: مَنْ طَلَبَ الرَّاحَةَ تَرَكَ الرَّاحَةَ؛ إنَّها العَزِيْمَةُ الصَّادِقَةُ، والهِمَّةُ العَالِيَةُ، ولا يَحْزُنْكَ فَاتِرُ العَزِيْمَةِ، ودَعِيُّ العِلْمِ، فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَيْهِم أسَفًا؟!

فَقَدْ رَأَيْنا كَثِيْرًا مِنْ طُلابِ زَمَانِنا قَدِ اسْتَطَابُوا الدَّعَةَ، واسْتَوْطَؤُوا مَرْكَبَ العَجْزِ، وأعْفَوْا أنْفُسَهُم مِنْ كَدِّ النَّظَرِ، وقُلُوْبَهُم مِنْ تَعَبِ الفِكْرِ ... فلَعَمْرِي أيْنَ مَنَالُ الدَّرَكِ بغَيْرِ سَبَبٍ، وأيْنَ نَوَالُ البِغْيَةِ بغَيْرِ آلَةٍ؟ فإنَّ دُوْنَ مَا يَشْتَهُوْنَ خَرْطُ القَتَادِ، وبَيْنَ مَا يَتَمَنَّوْنَ بَرْكُ الغِمَادِ!

***

فاعْلَمْ رَعَاكَ الله؛ أنَّ جَمْهرةً مِنْ أهْلِ العِلْمِ قَدْ حَازُوا قَصَبَ السَّبْقِ في خِدْمَةِ هَذِه الجادَّةِ العَلِيَّةِ، ورَسْمِ بَصَائِرِها لِشَادِي العِلْمِ مِنْ خِلالِ تَوَالِيْفَ عِلْمِيَّةٍ، ومُصَنَّفَاتٍ مُسْتَقِلَّةٍ ... غَيْرَ أنَّنِي لَمَّا رَأيْتُ شَأنَهَا بَيْنَ أهْلِ زَمَانِنا في نُقْصَانٍ، ومُدَارَسَتَها في نِسْيَانٍ، وكَادَ يَذْهَبُ رَسْمُها، ويَعْفُو أثَرُها؛ عِنْدها أحْبَبْتُ أنَّ أرْمِيَ بِسَهْمٍ في رِيَاضِ العِلْمِ، مُسَاهَمَةً مِنِّي في رَسْمِ (المَنْهجِ العِلْمِيِّ) لِطُلابِ العلمِ؛ يَوْمَ نَادَى كَثِيْرٌ مِمَّنْ تَجِبُ عَلَيْنا إجَابَتُهُم في إحْيَاءِ

هَذِه الجَادَّةِ، وتَبْصِيْرِ مَنَارَاتِها ... فعَسَانِي آخُذُ بيَدِ مَنْ رَامَ إرْثَ الأنْبِيَاءِ إلى بَابِ العِلْمِ، بِسَبِيْلٍ قَرِيْبٍ، ونَظَرٍ أرِيْبٍ، مِمَّا سَيُقَرِّبُ الطَّرِيْقَ للمُبْتَدِي، ويُبَصِّرُ السَّبِيْلَ للمُنْتَهِي، والعَاقِبَةُ للتَّقْوَى[1].

ومَا كُنْتُ مُسْتَنْكِفًا في هَذِه الطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ لكِتَابِ (المَنْهجِ العِلْمِيِّ) مِنْ تَوْرِيْدِ بَعْضِ الزِّيَادَاتِ العِلْمِيَّةِ والتَّصْحِيْحَاتِ القَيِّمَةِ الَّتِي قَضَاها مَمْحُوْضُ النَّصِيْحَةِ، ومَمْحُوْصُ الأمَانَةِ، فَإلى المَوْعُوْدِ، وإلى الله تُرْجَعُ الأمُوْرُ[2]!

---

(١) هُنَاكَ كَثِيْرٌ مِنَ التَّوَالِيْفِ العِلْمِيَّةِ الآخِذَةِ بيَدِ طَالِبِ العِلْمِ إلى بَيَانِ مَنْهَجِ العِلْمِ والتَّعَلُّمِ، وفَضَائِلِه، وغَوَائِلِه، وطَرَائِقِه، وشَرَائِطِهِ، وآدَابِهِ، فَمِنْ جِيَادِها وحِسَانِها: «جَامِعُ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابنِ عَبْدِ البرِّ، و«الجَامِعُ لآدَابِ الرَّاوي» و«الفَقِيْهُ والمُتَفَقِّهُ» كِلاهُمَا للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ، و«أخْلاقُ العُلَمَاءِ» للآجُرِّي، و«تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتَكَلِّمِ» لابنِ جَمَاعَةَ، و«تَعْلِيْمُ المُتَعَلِّمِ طَرِيْقَ التَّعَلُّمِ» للزَّرْنُوْجِيِّ، و«أدَبُ الطَّلَبِ» للشَّوكَانِيِّ، و«حِلْيَةُ طَالِبِ العِلْمِ» لبكرٍ أبو زَيْدٍ، وهُنَاكَ غَيْرُ مَا ذُكِرَ.

(٢) كَانَ الانْتِهَاءُ مِنْ تَصْحِيْحَاتِ هَذِه الطَّبْعَةِ الثَّالِثَةِ ضُحَى يَوْمِ الأرْبِعَاءِ، المُوَافِقَ للعِشْرِيْنَ مِنْ شَوَّالٍ، لعَامِ ألْفٍ وأرْبَعْمائَةٍ وثَمانٍ وعِشْرِيْنَ (٢٠/ ١٠/ ١٤٢٨).

وذَلِكَ مِنْ خِلالِ ثَلاثَةِ مَدَاخِلَ، وأَرْبَعَةِ أَبْوَابٍ مُخْتَصَرَةٍ، كَما يَلي :

المَدْخَلُ الأَوَّلُ : أَهَمِيَّةُ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ .

المَدْخَلُ الثَّانِي : فَضْلُ عُلُوْمِ الغَايَةِ عَلَى عُلُوْمِ الآلَةِ .

المَدْخَلُ الثَّالِثُ : وفيه أَرْبَعُ طَلائِعَ .

البَابُ الأَوَّلُ : وفيهِ أَرْبَعُ مَرَاحِلَ عِلْمِيَّةٍ .

البَابُ الثَّانِي : وفيهِ خَمْسُ تَنَابِيْه .

البَابُ الثَّالِثُ : وفيهِ ثَلاثُ عَزَائِمَ .

البَابُ الرَّابِعُ : وفيهِ خَمْسةُ عَوَائِقَ .

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى عَبْدِه ورَسُوْلِه الأَمِيْنِ

وكَتَبَهُ

ذِيَابُ بْنُ سَعْدٍ آلُ حَمْدَانَ الغَامِدِيّ

في لَيْلَةِ الأَحَدِ لعَشْرٍ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ لِعَامِ أَلْفٍ وأَرْبَعْمائَةٍ وخَمْسَةٍ وعِشْرِيْنَ مِنَ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، حُرِّرَ في (٢٠/ ٢/ ١٤٢٥)

المَدَاخِلُ العِلْمِيَّةُ

وفيه ثَلاثَةُ مَدَاخِلَ

المَدْخَلُ الأوَّلُ : أهَمِيَّةُ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ

المَدْخَلُ الثَّانِي: فَضْلُ عُلُوْمِ الغَايَةِ عَلَى عُلُوْمِ الآلَةِ

المَدْخَلُ الثَّالِثُ : وفيه أرْبَعُ طَلائِعَ

المَدْخَلُ الأوَّلُ

أهَمِّيَةُ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ

نَعَمْ؛ فإنَّ النَّاسَ أحْوَجُ إلى العِلْمِ مِنْهُم إلى الطَّعَامِ والشَّرَابِ، لاسِيَّما هَذِه الأيَّامَ الَّتِي نَطَقَ فيها الرُّوَيْبِضَةُ، ونَعَقَ بَيْنَها غُرَابُ الصَّحَافَةِ، مَعَ نَفَثَاتِ المُرْجِفينَ، وتَخْذِيْلِ المُتَعالِمِيْنَ!

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر ٩].

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة ١١].

* * *

وعَنْ أبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ يَقُوْلُ:

«مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ له طَرِيْقًا إلى الجَنَّةِ، وإنَّ المَلائكَةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَها لطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وإنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ له مَنْ في السَّمَوَاتِ ومَنْ في الأرْضِ حَتَّى الحِيْتَانَ في المَاءِ، وفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وإنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ، إنَّ الأنْبِيَاءَ لَمْ

يُورِّثُوا دِيْنَارًا ولا دِرْهَمًا إنَّمَا ورَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أخَذَهُ أخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ»[١] أحمَدُ وغَيرُهُ.

وقَالَ أيْضًا ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِه خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّيْنِ»[٢] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ رَضِي اللهُ عَنْه[٣]:

النَّاسُ في جِهَةِ التَّمْثِيْلِ أكْفَاءُ أبُوْهُمُ آدَمُ والأُمُّ حَوَّاءُ

نَفْسٌ كَنَفْسٍ وأرْوَاحٌ مُشَاكِلَةٌ وأعْظُمٌ خُلِقَتْ فيهِم وأعْضَاءُ

فإنْ يَكُنْ لَهُم مِنْ أصْلِهِم حَسَبٌ يُفَاخِرُوْنَ بِه فالطِّيْنُ والمَاءُ

---

(١) أخْرَجَهُ أحْمَدُ (٥/ ١٩٦)، وابنُ مَاجَه (٢٢٥)، وأبُو دَاوُدَ (٣٦٤١)، وهُوَ حَسَنٌ بشَوَاهِدِه.

تَنْبِيْهٌ: انْظُرْ لِزَامًا شَرْحَ هَذَا الحَدِيْثِ لابنِ رَجَبٍ الحَنْبَلِيِّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، في رِسَالَتِه «شَرْحِ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ»، فَفيه مِنَ الدُّرَرِ والجَوَاهِرِ ما يُعْقَدُ عَلَيْها الخَنَاصِرُ!

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١/ ٢٧)، ومُسْلِمٌ (٣/ ٩٥).

(٣) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٢١٨)، وبَعْضُ المُحَقِّقِيْنَ يَنْسِبُ هَذِه الأبْيَاتِ إلى عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ القَيْرَوَانِيِّ.

تَنْبِيْهٌ: العَامَّةُ تَقُوْلُ: «قِيْمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ»، والخَاصَّةُ تَقُوْلُ: «قِيْمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ»!

مَا الفَضْلُ إلاَّ لأهْلِ العِلْمِ إنَّهُـم عَـلَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أدِلاءُ

وقَدْرُ كُـلِّ امْرِئٍ مَـا كَانَ يُحْسِنُه وللرِّجَالِ عَلَى الأفْعَالِ أسْمَـاءُ

***

قَالَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «العِلْمُ ذَكَرٌ؛ يُحِبُّهُ ذُكُوْرَةُ الرِّجَالِ ، ويَكْرَهُهُ مُؤنَّثُوْهُم»[١] .

أرَادَ الزُّهْرِيُّ رَحِمَـهُ اللهُ : أنَّ العِلْـمَ أرْفَـعُ المَطَالِـبِ وأجَلُّهَـا، كَـمَا أنَّ الذُّكُوْرَ أفْضَلُ مِنَ الإنَاثِ ، فألِبَّاءُ الرِّجَالِ وأهْلُ التَّمْيِيْزِ مِنْهُم يُحِبُّوْنَ العِلْـمَ، ولَيْسَ كـالرَّأيِّ الـسَّخِيْفِ الَّـذِي يُحِبُّـه سُـخَفَاءُ الرِّجَـالِ، فَـضَرَبَ التَّـذْكِيْرَ والتَّأنِيْثَ مَثَلاً[٢] .

***

---

(١) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٢٥١)، و«الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَـيْمٍ (٣/ ٣٦٥)، و«شَرَفَ أصْحَابِ أهْلِ الحَدِيْثِ» للخَطِيْبِ البَغْـدَادِيِّ (٧٠-٧١)، وبَعْضُهم يَنْسِبُها لعَلِيِّ بنِ أبِي طَالِـبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ، انْظُـرْ «المَجْمُـوْعَ» للنَّـوَوِيِّ (١/ ٤١) .

(٢) انْظُرْ «المُجَالَسَةَ» لأبِي بَكْرٍ الدِّيْنَوَرِيِّ (٣/ ٤٢٦-٤٢٧) بنَحْوِه .

فَعِنْدَها عَلَيْكَ يا هَذَا : بِمُرَافَقَةِ الأمْوَاتِ الَّذِيْنَ هُم في العَالَمِ أحْيَاءٌ؛ فإنَّهُم يَدُلُّوْكَ السَّبِيْلَ، واحْذَرْ مِنْ مُرَافَقَةِ الأحْيَاءِ الَّذِيْنَ هُمْ في النَّاسِ أمْوَاتٌ؛ فإنَّهُم يُضِلُّوْكَ الطَّرِيْقَ!

ولا تَنْسَ قَوْلَ ابنِ مَسْعُوْدٍ رَحِمَهُ اللهُ : «مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا؛ فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فإنَّ الحَيَّ لا تُؤْمَنُ عَلَيْه الفِتْنَةُ»!

ومِنْ مُسْتَجَادِ مَا قِيْلِ في فَضْلِ أهْلِ العِلْمِ، مَا خَطَّتْهُ يَدُ الآجُرِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ في كِتَابِهِ «أخْلاقِ العُلَمَاءِ» (١٤)، إذْ يَقُوْلُ عَنْهُم : «فَضْلُهُم عَظِيْمٌ، وخَطَرُهُم جَزِيْلٌ، وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ، وقُرَّةُ عَيْنِ الأوْلِيَاءِ، الحِيْتَانُ في البِحَارِ لَهُم تَسْتَغْفِرُ، والمَلائِكَةُ بأجْنِحَتِها لَهُم تَخْضَعُ، والعُلَمَاءُ في القِيَامَةِ بَعْدَ الأنْبِيَاءِ تَشْفَعُ، مَجَالِسُهُم تُفِيدُ الحِكْمَةَ، وبأعْمَالِهِم يَنْزَجِرُ أهْلُ الغَفْلَةِ .

هُمْ أفْضَلُ مِنَ العُبَّادِ، وأعْلَى دَرَجَةً مِنَ الزُّهَّادِ، حَيَاتُهُم غَنِيْمَةٌ، ومَوْتُهُم مُصِيْبَةٌ، يُذَكِّرُوْنَ الغَافِلَ، ويُعَلِّمُوْنَ الجَاهِلَ، لا يُتَوَقَّعُ لَهُم بَائِقَةٌ، ولا يُخَافُ مِنْهُم غَائِلَةٌ، بِحُسْنِ تَأدِيْبِهِم يَتَنَازَعُ المُطِيْعُوْنَ، وبِجَمِيْلِ مَوْعِظَتِهِم يَرْجِعُ المُقَصِّرُوْنَ ...!

فَهُم سِرَاجُ العِبَادِ، ومَنَارُ البِلادِ، وقِوَامُ الأمَّةِ، ويَنَابِيْعُ الحِكْمَةِ، هُمْ

غَيْظُ الشَّيْطَانِ، بِهِم تَحْيَا قُلُوْبُ أهْلِ الحَقِّ، وتَمُوْتُ قُلُوْبُ أهْلِ الزَّيْغِ، مَثَلُهُم في الأرْضِ كَمَثَلِ النُّجُوْمِ في السَّمَاءِ، يُهْتَدَى بِها في ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ، إذا انْطَمَسَتِ النُّجُوْمُ تَحَيَّرُوا، وإذا أسْفَرَ عَنْها الظَّلامُ أبْصَرُوا» انْتَهَى .

* * *

ومَهْمَا يَكُنْ؛ فَلا تَحْزَنْ يا طَالِبَ العِلْمِ، عَلَى ظُهُوْرِ الجَهْلِ، وقِلَّةِ العِلْمِ، وقَبْضِ العُلَمَاءِ، واتِّخَاذِ النَّاسِ رُؤوْسًا جُهَّالاً فَضَلُّوا وأضَلُّوا ... فَيَا هَذَا عَلَيْكَ بِزَادِ الأنْبِيَاءِ، وغِذَاءِ العُقَلاءِ : **عِلْمٌ يَنْفَعُ، وعَمَلٌ يُرْفَعُ** .

كَمَا قَالَ تَعَالى :﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة ٢٧] .

وكَذَا : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر ١٠].

* * *

وبَعْدُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَكَ يا طَالِبَ العِلْمِ مَخْرَجًا؛ فَكُنْ رَابِعَ أرْبَعَةٍ :

عَالِمًا، أو مُتَعَلِّمًا، أو مُسْتَمِعًا، أو مُحِبًّا .

وأُعِيْذُكَ باللهِ أنْ تَكُنَ الخَامِسَ فَتَهْلَكَ : **وهُوَ مُعَادَاةُ أهْلِ العِلْمِ، أو بُغْضُهُم !**

وهَاكَ مِنْ شَذَاتِ العِلْمِ وفَضَائِلِه، مَا قَالَهُ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تَعَلَّمُوا العِلْمَ فإنَّ تَعَلُّمَه لله خَشْيَةٌ، وطَلَبَهُ عِبَادَةٌ، ومُدَارَسَتَهُ تَسْبِيْحٌ، والبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ، وتَعْلِيْمَه لِمَنْ لا يَعْلَمُ صَدَقَةٌ، وبَذْلَهُ لأهْلِهِ قُرْبَةٌ!

لأنَّه مَعَالِمُ الحَلالِ والحَرَامِ، والأنِيْسُ في الوَحْشَةِ، والصَّاحِبُ في الخَلْوَةِ، والدَّلِيْلُ عَلَى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، والزَّيْنُ عِنْدَ الأخِلاَّءِ، والقُرْبُ عِنْدَ الغُرَبَاءِ.

يَرْفَعُ اللهُ بِه أقْوَامًا فَيَجْعَلَهُم في الخَلْقِ قُدَاةً يُقْتَدَى بِهِم، وأئِمَّةً في الخَلْقِ تُقْتَصُّ آثَارُهُم، ويُنْتَهَى إلى رَأيِهِم، وتَرْغَبُ المَلائِكَةُ في حُبِّهِم؛ بأجْنِحَتِهِم تَمْسَحُهُم، حَتَّى كُلُّ رَطِبٍ ويَابِسٍ لَهُم مُسْتَغْفِرٌ، حَتَّى حِيْتَانُ البَحْرِ وهَوَامُه، وسِبَاعُ البَرِّ وأنْعَامُه، والسَّمَاءُ ونُجُوْمُها؛ لأنَّ العِلْمَ حَيَاةُ القُلُوْبِ مِنَ العَمَى، ونُوْرُ الأبْصَارِ مِنَ الظُّلَمِ، وقُوَّةُ الأبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ.

يَبْلُغُ بِه العَبْدُ مَنَازِلَ الأحْرَارِ ومُجَالَسَةَ المُلُوْكِ، والدَّرَجَاتِ العُلَى في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، والفِكْرُ بِه يُعْدَلُ بالصِّيَامِ، ومُدَارَسَتُه بالقِيَامِ، بِه يُطَاعُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ، وبِه يُعْبَدُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ!

وبِه تُوْصَلُ الأرْحَامُ، وبِه يُعْرَفُ الحَلالُ مِنَ الحَرَامِ، إمَامُ العَمَلِ، والعَمَلُ

تَابِعُه، يُلْهَمُهُ السُّعَدَاءُ، ويُحْرَمُهُ الأشْقِيَاءُ»[1] انْتَهَى .

* * *

فَلأجْلِ هَذَا؛ أحْبَبْتُ أنْ أطْرُقَ هَذِه الجَادَّةَ العِلْمِيَّةَ؛ عَسَانِي أدُلُّ السَّالِكَ، وأحُثُّ الهِمَمَ إلى طَرْقِ بَابِ العِلْمِ، دُوْنَمَا إعْيَاءٍ وكِلالٍ، وطُوْلٍ ومِلالٍ، قَدْ لا يُحَصِّلُ شَادِي العِلْمِ فيه كَبِيْرَ فَائِدَةٍ، أو عَظِيْمَ عَائِدَةٍ، أو غَيْرَه مِنْ مَبَاغِي العِلْمِ ومَنَارَاتِه؛ مِمَّا نَدَّتْ عَنْهُ أكْثَرُ أطَارِيْحِ أهْلِ زَمانِنَا؛ لِجَهْلِهِم بطَرَائِقِ الطَّلَبِ ومَدَارِجِهِ الآخِذَةِ بِرِقَابِ العِلْمِ؛ فَنًّا بَعْدَ فَنٍّ، وبَابًا قَبْلَ بَابٍ، وهَكَذا دَوَالَيْكَ مِمَّا هُوَ طَوْعُ يَدَيْكَ!

* * *

وهَذَا مَا ذَكَرَه ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِه في كِتَابِهِ «الفَوَائِدِ» (٣٠٤) : «الجَهْلُ بالطَّرِيْقِ وآفَاتِها والمَقْصُوْدِ : يُوْجِبُ التَّعَبَ الكَثِيْرَ مَعَ الفَائِدَةِ القَلِيْلَةِ» .

وقَدْ قِيْلَ : «مَنْ لَمْ يُتْقِنِ الأُصُوْلَ؛ حُرِمَ الوُصُوْلَ» .

---

(١) انْظُرْ «أخْلاقَ العُلَمَاءِ» للآجُرِّي (٣٧)، و«جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٥٥)، و«تَذْكِرَةَ السَّامِعِ والمُتَكَلِّمِ» لابنِ جَمَاعَةَ (١١)، و«شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ» لابنِ رَجَبٍ (٣٨) وفيهِ ضَعْفٌ .

وكَذَا «مَنْ حُرِمَ الدَّلِيْلَ، ضَلَّ السَّبِيْلَ»!

* * *

وعَنْ يُوْنُسَ بنِ يَزِيْدَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ شِهَابٍ: «يا يُـوْنُسُ! لا تُكَـابِرَ العِلْمَ، فإنَّمَا هُوَ أوْدِيَةٌ، فأيُّها أخَذَتْ فيه قَبْلَ أنْ تَبْلُغَهُ قُطِعَ بِكَ، ولَكِـنْ خُـذْهُ مَعَ اللَّيَالِي والأيَّامِ»[1].

ورَحِمَ اللهُ الزَّرْنُوجِيَّ حَيْثُ قَطَعَ عَنِّي حَبَائِلَ الرَّهْبَةِ، ورَفَـعَ عِنْـدِي آمَالَ الرَّغْبَةِ، بقَوْلِه في «تَعْلِيْمِ المُتَعَلِّمِ» (٥٣): «فلَمَّا رَأيْتُ كَثِيْرًا مِـنْ طُـلابِ العِلْمِ في زَمَانِنا يَجِدُّوْنَ إلى العِلْمِ ولا يَصِلُوْنَ، ومِنْ مَنَافِعِه وثَمَرَاتِهِ يُحْرَمُـوْنَ، لِمَا أنَّهُم أخْطَئُوا طَرَائِقَه، وتَرَكُوا شَرَائِطَه، وكُلُّ مَنْ أخْطأ الطَّرِيْـقَ ضَـلَّ، ولا يَنَالُ المَقْصُوْدَ قَلَّ أو جَلَّ» انْتَهَى.

وكَذَا مَا هُنَاكَ مِنْ تَنَابِيْهَ تَدْفَعُ بِمِثْلِي، في صُنْعِ هَـذَا المَـنْهَجِ، وهُـوَ مَـا ذَكَـرَهُ شَـيْخُ الحَنَابِلَـةِ في عَـصْرِه ابـنُ بَـدْرَانَ رَحِمَـهُ اللهُ بقَوْلِـه في «المَـدْخَلِ» (٤٨٥): «اعْلَمْ أنَّ كَثِيْرًا مِنَ النَّاسِ يَقْضُوْنَ السِّنِيْنَ الطِّوَالَ في تَعَلُّمِ العِلْـمَ، بَلْ في عِلْمٍ وَاحِدٍ، ولا يُحَصِّلُوْنَ مِنْه عَلَى طَائِلٍ، ورُبَّمَا قَضَوْا أعْمَارَهُم فيه، ولَمْ

(١) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٤٣١).

يَرْتَقُوا عَنْ دَرَجَةِ المُبْتَدِئِيْنَ، وإنَّما يَكُوْنُ ذَلِكَ لأحَدِ أمْرَيْنِ :

أحَدُهُما : عَدَمُ الذَّكَاءِ الفِطْرِيِّ، وانْتِفَاءُ الإدْرَاكِ التَّصَوُّرِي، وهَذَا لا كَلامَ لَنَا فيه، ولا في عِلاجِه، والثَّانِي : الجَهْلُ بِطُرُقِ التَّعْلِيْمِ». انْتَهَى .

قَالَ ابْنُ أغْنَسَ[1] :

مَا أكْثَرَ العِلْمُ ومَا أوْسَعَـه ... مَنَ الَّذِي يَقْدِرُ أنْ يَجْمَعَـه

إنْ كُنْتَ لا بُدَّ لَـهُ طَالِبًـا ... مُحَـاوِلاً فالْتَمِسْ أنْفَعَـه

* * *

ومَعَ هَذَا؛ فإنَّنا لَمْ نَزَلْ (للأسَفِ!)، نَرَى كَثِيْرًا مِـنْ أهْـلِ زَمَانِنَـا مِمَّـنْ تَصَدَّرَ للعِلْمِ والتَّعْلِيْمِ؛ لا يَسْتَأخِرُوْنَ سَاعَةً في تَعْسِيْرِ العِلْمِ عَـلَى المُبْتَـدِئِيْنَ، وتَنْفِيرِ المُقْبِلِيْنَ عَلَيْه، وذَلِكَ بتَفْرِيْعِ أُصُوْلِه، وتَشْقِيْقِ فُرُوْعِه، مَا يَقْضِي بِقَطْـعِ الطَّرِيْقِ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ، وحِرْمَانِ الكَثِيْرِ مِنْ دُرُوْسِ العِلْمِ .

فَتَارَةً نَجِدُهُم يَتَوَسَّعُوْنَ لَهُم في المُخْتَصَرَاتِ، وتَارَةً يَتَكَلَّفُوْنَ لَهُم في الكَلِمَاتِ، فلَكُمُ اللهُ يا طُلابَ العِلْمِ مِنْ زَبَدِ المُدَرِّسِيْنَ، وسَوَالِبِ المُتَفَيْقِهِيْنَ!

* * *

---

(١) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٤٣٧) .

يَقُوْلُ اللهُ تَعَالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج٧٨]، وقَالَ أيْضًا عَنْ نَبِيِّهِ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ : ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص٨٦] .

وقَالَ عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ : «**إنَّ الدِّيْنَ يُسْرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدِّيْنَ أحَدٌ إلاَّ غَلَبَهُ، فسَدِّدُوا وقَارِبُوا وأبْشِرُوا واسْتَعِيْنُوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحَةِ وشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»[(١)]! البُخَارِيُّ .

وقَالَ الإمَامُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَه اللهُ : «إنَّمَا العِلْمُ عِنْدَنا الرُّخْصَةُ مِنْ ثِقَةٍ، فأمَّا التَّشْدِيْدُ فَيُحْسِنُه كُلُّ أحَدٍ»[(٢)] .

***

وهَذَا مَا نَصَّ عَلَيْه ابنُ بَدْرَانَ في «المَدْخَلِ» (٤٨٥) عِنْدَ قَوْلِهِ : «وهَذَا (الجَهْلُ بِطُرُقِ التَّعْلِيْمِ) وَقَعَ فيه غَالِبُ المُعَلِّمِيْنَ، فَتَرَاهُم يَأتِي إلَيْهِم الطَّالِبُ المُبْتَدِئ ليَتَعَلَّمَ النَّحْوَ مَثَلاً فيُشْغِلُوْنَه بالكَلامِ عَلَى البَسْمَلَةِ، ثُمَّ عَلَى الحَمْدَلَةِ أيَّامًا بَلْ شُهُوْرًا، لِيُوْهِمُوْهُ سِعَةَ مَدَارِكِهِم، وغَزَارَةَ عِلْمِهِم، ثُمَّ إذا

---

(١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٣٩) .

(٢) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٧٨٤) .

قُدِّرَ لَهُ الخَلاصُ مِنْ ذَلِكَ، أخَذُوا يُلَقِّنُوْهُ مَتْنًا أو شَرْحًا بِحَوَاشِيْهِ وحَوَاشِي حَوَاشِيْه، ويَحْشُرُوْنَ لَه خِلافَ العُلَمَاءِ، ويُشْغِلُوْنَه بكَلامِ مَنْ رَدَّ عَلَى القَائِلِ، ومَا أُجِيْبَ بِه عَنِ الرَّدِّ!

ولا يَزَالُوْنَ يَضْرِبُوْنَ لَه عَلَى ذَلِكَ الوَتَرِ، حَتَّى يَرْتَكِزَ في ذِهْنِه أنَّ نَوَالَ هَذَا الفَنِّ مِنْ قَبِيْلَ الصَّعْبِ الَّذِي لا يَصِلُ عَلَيْه إلاَّ مَنْ أُوْتِي الوَلايَةَ، وحَضَرَ مَجْلِسَ القُرَبِ والاخْتِصَاصِ، هَذَا إذَا كَانَ المُلَقِّنُ يَفْهَمُ ظَاهِرًا مِنْ عِبَارَاتِ المُصَنِّفِينَ!» انْتَهَى .

* * *

فَلا يَضِيْقُ صَدْرَكُ يا طَالِبَ العِلْمِ بِمَا هُنَا؛ فَكُلُّ مَا رَسَمْنَاهُ في (المَنْهَجِ العِلْمِي)، لَمْ يَكُنْ زَبَدًا يَقْذِفُه طَيْشُ الفِكْرِ، أو رَذَاذَاتٍ يَلْفِظُها رَأسُ القَلَمِ ... بَلْ إنَّها مَعَالِمُ سَلَفيةٌ، وتَجَارُبُ عِلْمِيَّةٌ، قَدَ فَرَضَتْها الأمَانَةُ العِلْمِيَّةُ والنَّصِيْحَةُ الأخَوِيَّةُ!

كَمَا قَالَه ابنُ بَدْرَانَ رَحِمَه اللهُ في «المَدْخَلِ» (٤٩١) : «طُرُقُ التَّعْلِيْمِ أمْرٌ ذَوْقِيٌّ، وأمَانَةٌ مُوْدَعَةٌ عِنْدَ الأسَاتِذَةِ، فَمَنْ أدَّاهَا أُثِيْبَ عَلَى أدَائِها، ومَنْ جَحَدَها كَانَ مُطَالَبًا بِهَا» انْتَهَى .

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ٢٦٢) : «وفيهِ تَنْبِيْهٌ للعُلَماءِ عَلى سُلُوْكِ هَدْي الأنْبِيَاءِ وطَرِيْقَتِهِم في التَّبْلِيْغِ؛ مِنَ الصَّبْرِ والاحْتِمَالِ، ومُقَابَلَةِ إسَاءةِ النَّاسِ بالإحْسَانِ، والرِّفْقِ بِهِم، واسْتِجْلابِهِم إلى اللهِ بأحْسَنِ الطُّرُقِ، وبَذْلِ مَا يُمْكِنُ مِنَ النَّصِيْحَةِ لَهُم؛ فإنَّهُ بذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُم نَصِيْبُهُم مِنَ هَذا المِيْرَاثِ العَظِيْمِ قَدْرُهُ، الجَلِيْلِ خَطَرُهُ» انْتَهَى .

***

ومَا أحْسَنَ مَا قَالَهُ الزَّرْنُوجِيُّ رَحِمَه اللهُ تَعَالَى في كِتَابِ «تَعْلِيْمِ المُتَعَلِّمِ» (٧٩) :

«ويَنْبَغِي لطَالِبِ العِلْمِ أنْ لا يَخْتَارَ نَوْعَ العِلْمِ بنَفْسِهِ؛ بَلْ يفوِّضُ أمْرَه عَلى الأُسْتَاذِ، فإنَّ الأُسْتَاذَ قَدْ حَصَلَ لَهُ التَّجَارُبُ في ذَلِكَ فَكَانَ أعْرَفَ بِمَا يَنْبَغِي لِكُلِّ أحَدٍ ومَا يَلِيْقُ بِطَبِيْعَتِه .

وكَانَ الشَّيْخُ بُرْهَانُ الدِّيْنِ يَقُوْلُ رَحِمَهُ اللهُ : كَانَ طَلَبَةُ العِلْمِ في الزَّمَنِ الأوَّلِ يُفَوِّضُوْنَ أمْرَهُم في التَّعَلُّمِ إلى أُسْتَاذِهِم، وكَانُوا يَصِلُوْنَ إلى مَقْصُوْدِهِم ومُرَادِهِم، والآنَ يَخْتَارُوْنَ بأنْفُسِهِم، فَلا يَحْصُلُ مَقْصُوْدُهُم مِنَ العِلْمِ والفِقْهِ» انْتَهَى .

***

وقَدْ قِيْلَ :

أَلاَ لَـنْ تَنَـالَ العِـلْـمَ إلاَّ بِسِتَّـةٍ سَـأُنَبِّئُكَ عَنْ مَجْمُوْعِـها ببَيَانِ

ذَكَـاءٌ وحِرْصٌ واجْتِهَادٌ وبُلْغَـةٌ وإرْشَادُ أُسْتَاذٍ وطُوْلُ زَمَانِ[1]

نَعَم؛ فإنَّه لا يَهْتَزُّ للعِلْمِ إلاَّ نُفُـوْسٌ أبِيَّـةٌ، قَـدِ ارْتَاضَـتْ عَـلَى الأَنَفَـةِ والعِزَّةِ، وعُلُوِّ الهِمَّةِ والقَدْرِ، وأنِفَتْ مِنْ مَعَرَّةِ الجَهْلِ، ومَرَاتِعِ الذُّلِّ والهَوَانِ، وسَئِمَتْ تِيْهَ الحَيْرَةِ والتَّبَعِيَّةِ المَقِيْتَةِ!

❑❑❑

(١) انْظُرْ «تَعْلِيْمَ المُتَعَلِّمِ» للزَّرْنُوجي (٧٠)، وقَدْ عَزَاه لعَـلِيٍّ بـنِ أبِي طَالِـبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقِيْلَ إنَّه مَنْسُوبٌ للشَّافِعِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، مَـعَ اخْـتِلافٍ في اللَّفْـظِ، انْظُـرْ «دِيْوَانَه» (١٦٣).

المَدْخَلُ الثَّاني

فَضْلُ عُلُوْمِ الغَايَةِ عَلَى عُلُوْمِ الآلَةِ[1]

اعْلَمْ (رَحِمَنِي اللهُ وإيَّاكَ!)، إنَّ بَعْضَ المُتَصَدِّرِيْنَ للتَّعْلِيْمِ والتَّصْنِيْفِ، قَدْ تَوَسَّعُوا كَثِيْرًا في دُرُوْسِهِم العِلْمِيَّةِ مِنَ العُلُوْمِ الآليَّةِ تَوَسُّعًا مَشِيْنًا؛ مِمَّا كَانَ لَهُ أثَرٌ وتَأْثِيْرٌ بَالِغَانِ عَلَى عُلُوْمِ الغَايَةِ، مَا جَعَلَ بَعْضَ طُلابِ العِلْمِ يَقِفُوْنَ في مُنْتَصَفِ الطَّرِيْقِ، لا عِلْمًا حَصَّلُوا، ولا فَنًّا أصَّلُوا ...!

لأجْلِ هَذَا؛ فاعْلَمْ يَا طَالِبَ العِلْمِ أنَّني لَمْ أفْتَحْ عَلَيْكَ بَابًا وَاسِعًا مِنَ العِلْمِ، بِحَسْبِكَ مِنْه البُلْغَةُ، ولَمْ أُضَيِّقْ عَلَيْكَ وَاسِعًا بِحَسْبِكَ مِنه الغَايَةُ، وذَلِكَ عِنْدَ اقْتِصَارِنا : عَلَى بَعْضِ عُلُوْمِ الآلَةِ الَّتِي فيها الكِفَايَةُ والمَقْنَعُ، أمَّا عُلُوْمُ الغَايَةِ فَلا حَدَّ فيها ولا نِهَايَةً!

* * *

ومَا أحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ العَلامَةُ ابنُ خُلْدُونٍ رَحِمَهُ اللهُ فيما نَحْنُ بِصَدَدِهِ؛ إذْ يَقُوْلُ في «المُقَدِّمةِ» (١/ ٦٢٢) : «فأمَّا العُلُوْمُ الَّتِي هِيَ مَقَاصِدُ فَلا حَرَجَ في تَوَسُّعِهِ الكلامَ فيها، وتَفْرِيْعِ المَسَائِلِ، واسْتِكْشَافِ الأدِلَّةِ والأنْظَارِ، فإنَّ

---

(١) عُلُوْمُ الغَايَةِ مِثْلُ : العَقِيْدَةِ، والحَدِيْثِ، والفِقْهِ، والتَّفْسِيْرِ...، وعُلُوْمُ الآلَةِ مِثْلُ : النَّحْوِ، واللُّغَةِ، وأُصُوْلِ الفِقْهِ، ومُصْطَلَحِ الحَدِيْثِ، والمَنْطِقِ ... إلَخْ .

ذَلِكَ يَزِيْدُ طَالِبَها تَمَكُّنًا في مَلَكَتِه وإيْضَاحًا لِمَعانِيْها المَقْصُوْدَةِ، وأمَّا العُلُوْمُ الَّتِي هِيَ آلَةٌ لِغَيْرِها : مِثْلُ العَرَبِيَّةِ والمَنْطِقِ وأمْثَالِهِما؛ فَلا يَنْبَغِي أنْ يُنْظَرَ فيها إلاَّ مِنْ حَيْثُ هِي آلَةٌ لِذَلِكَ الغَيْرِ فَقَطْ، ولا يُوَسَّعُ فيها الكَلامُ، ولا تُفَرَّعُ المَسَائِلُ؛ لأنَّ ذَلِكَ يُخْرِجُ بها عَنِ المَقْصُوْدِ، إذِ المَقْصُوْدُ مِنْها مَا هِي آلَةٌ لَهُ لا غَيْرُ، فكُلَّمَا خَرَجَتْ عَنْ ذَلِكَ؛ خَرَجَتْ عَنِ المَقْصُوْدِ، وصَارَ الاشْتِغَالُ بِهَا لَغْوًا، مَعَ مَا فيه مِنْ صُعُوْبَةِ الحُصُوْلِ عَلَى مَلَكَتِها بِطُوْلِها وكَثْرَةِ فُرُوْعِها، ورُبَّمَا يَكُوْنُ ذَلِكَ عَائِقًا عَنْ تَحْصِيْلِ العُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذَّاتِ لِطُوْلِ وَسَائِلِها؛ مَعَ أنَّ شَأنَها أهَمُّ، والعُمُرُ يَقْصُرُ عَنْ تَحْصِيْلِ الجَمِيْعِ عَلَى هَذِه الصُّوْرَةِ، فَيَكُوْنُ الاشْتِغَالُ بِهَذِه العُلُوْمِ الآلِيَّةِ تَضْيِيْعًا للعُمُرِ وشُغْلاً بِمَا لا يُغْنِي!

وهَذَا كَمَا فَعَلَهُ المُتَأخِّرُوْنَ في صِنَاعَةِ النَّحْوِ، وصِنَاعَةِ المَنْطِقِ، لا بَلْ وأصُوْلِ الفِقْهِ؛ لأنَّهُم أوْسَعُوا دَائِرَةَ الكَلامِ فيها نَقْلاً واسْتِدْلالاً، وأكْثَرُوا مِنَ التَّفَارِيْعِ والمَسَائِلِ بِمَا أخْرَجَها عَنْ كَوْنِها آلَةً، وصَيَّرَها مَقْصُوْدَةً بِذَاتِها، ورُبَّمَا يَقَعُ فيها لِذَلِكَ أنْظَارٌ ومَسَائِلُ لا حَاجَةَ بِها في العُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذَّاتِ، فتكُوْنَ لأجْلِ ذَلِكَ مِنْ نَوْعِ اللَّغْوِ، وهِيَ أيْضًا مُضِرَّةٌ بِالمُتَعَلِّمِيْنَ عَلَى الإطْلاقِ، لأنَّ المُتَعَلِّمِيْنَ اهْتِمَامَهُم بالعُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ أكْثَرُ مِنِ اهْتِمَامِهِم

بِهَـذِه الآلاتِ والوَسَـائِلِ؛ فـإذَا قَطَعُـوا العُمُـرَ في تَحْـصِيْلِ الوَسَـائِلِ فَمَتَـى يَظْفَرُوْنَ بالمَقَاصِدِ؟، فلِهَـذَا يَجِـبُ عَـلَى المُعَلِّمِـيْنَ لِهَـذِه العُلُـوْمِ الآلِيَّـةِ أنْ لا يَسْتَبْحِرُوا في شَأنِهَا، ولا يَسْتَكْثِرُوا مِنْ مَسَائِلِها، ويُنَبِّهُ المُتَعَلِّمَ عَـلَى الغَـرَضِ مِنْها، ويَقِفُ بِهِ عِنْدَهُ، فَمَنْ نَزَعَتْ بِهِ هِمَّتُـه بَعْـدَ ذَلِـكَ إلى شَيْءٍ مِـنْ التَّوَغُّـلِ ورَأى مِنْ نَفْسِه قِيَامًا بِذَلِكَ وكِفَايَةً بِه؛ فلْيَخْتَرْ لنَفْسِهِ مَـا شَـاءَ مِـنَ المَرَاقِـي، صَعْبًا أو سَهْلاً، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» انْتَهَى .

* * *

وبَعْدَ هَذَا؛ فيُرْجَى مِنْ طُلابِ العِلْمِ الأفَاضِلِ العِنَايَةُ بِهَذا البَرْنَـامِجِ عِنَايَةً كَبِيْرَةً؛ لأنَّ العُمُرَ قَصِيْرٌ، والعِلْمَ كَثِيْرٌ، والزَّمنَ يَسِيْرٌ؛ وأنْ يَتَقَيَّـدُوا بـه لِحُصُولِ الفَائِدَةِ المَرْجُوَّةِ؛ كَـمَا أنَّنـا وَضَـعْنَا بَرْنَامِجَنـا (المَـنْهَجَ العِلْمِـيَّ) عَـلَى مَرَاحلَ أرْبَعٍ مُوَافِقَةً للقُدُراتِ العِلْمِيَّـةِ إنْ شَـاءَ اللهُ، مَـعَ بَعْـضِ الأضَـامِيْمِ العِلْمِيَّةِ، وقَدْ قِيْلَ : ازْدِحَامُ العُلُوْمِ مَضَلَّةُ الفُهُوْمِ؛ لِذَا لَزِمَ الاعْتِكَـافُ عَلَيْـه مَا أمْكَنَ إلى ذَلِكَ سَبِيْلاً .

* * *

يَقُـوْلُ ابـنُ عَبْـدِ الـبَرِّ رَحِمَـهُ اللهُ في «جَـامِعِ بَيَـانِ العِلْـمِ وفَـضْلِه» (٢/ ١٦٦) : «طَلَبُ العِلْمِ دَرَجَاتٌ ومَنَاقِلُ ورُتَبٌ، لا يَنْبَغِي تَعَـدِّيْها، ومَـنْ

تَعَدَّاها جُمْلَةً؛ فَقَدْ تَعَدَّى سَبِيْلَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ، ومَنْ تَعَدَّى سَبِيْلَهُم عَامِدًا ضَلَّ، ومَنْ تَعَدَّاهُ مُجْتَهِدًا زَلَّ»!

وبمِثْلِه يَقُوْلُ الإمَامُ الزَّبِيْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «شَرْحِ الإحْيَاءِ» (١/ ٣٣٤): «يَجِبُ أنْ لا يَخُوْضَ (طَالِبُ العِلْمِ) في فَنٍّ حَتَّى يَتَنَاوَلَ مِنَ الفَنِّ الَّذِي قَبْلَه عَلَى التَّرْتِيْبِ بُلْغَتَه، ويَقْضِي مِنْهُ حَاجَتَه، فازْدِحَامُ العِلْمِ في السَّمْعِ مَضَلَّةُ الفَهْمِ. قَالَ تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة١٢١]، أيْ: لا يَتَجَاوَزُوْن فَنًّا حَتَّى يُحْكِمُوْهُ عِلْمًا وعَمَلاً، فَيَجِبُ أنْ يُقَدِّمَ الأهَمَّ فالأهَمَّ مِنْ غَيْرِ إخْلالٍ في التَّرْتِيْبِ.

وكَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ مُنِعُوْا الوُصُوْلَ لَتَرْكِهِم الأُصُوْلَ؛ وحَقُّهُ أنْ يَكُوْنَ قَصْدُه مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَتَحَرَّاهُ التَّبَلُّغَ بِهِ إلى مَا فَوْقَه حَتَّى يَبْلُغَ النِّهَايَةَ» انْتَهَى.

وقَالَ أيْضًا ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ٢٦٢): «وفيهِ أيْضًا تَنْبِيْهٌ لأهْلِ العِلْمِ عَلى تَرْبِيَةِ الأمَّةِ كَما يُرَبِّي الوَالِدُ وَلَدَه؛ فَيُرَبُّوْنَهم بالتَّدْرِيْجِ والتَّرَقِي مِنْ صِغَارِ العِلْمِ إلى كِبَارِهِ، وتَحْمِيْلِهم مِنْه مَا يُطِيْقُوْنَ، كَما يَفْعَلُ الأبُ بوَلَدِهِ الطِّفْلِ في إيْصَالِه الغِذَاءَ إلَيْه؛ فَإنَّ أرْوَاحَ البَشَرِ إلى الأنْبِيَاءِ والرُّسُلِ كالأطْفَالِ بالنِّسْبَةِ إلى آبائِهِم، بَلْ دُوْنَ هَذِه النِّسْبَةِ بكَثِيْرٍ» انْتَهَى.

وقَالَ الزَّرْنُوْجِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «تَعْلِيْمِ المُتَعَلِّمِ» (٧٩) : «ويَنْبَغِي أنْ يَبْتَدِئَ بِشَيءٍ يَكُوْنُ أقْرَبَ إلى فَهْمِهِ، وكَانَ الشَّيْخُ الأُسْتَاذُ شَرَفُ الدِّيْنِ العُقَيْلِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَقُوْلُ : الصَّوَابُ عِنْدِي في هَذا مَا فَعَلَه مَشَايِخُنا رَحِمَهُمُ اللهُ، فإنَّهم كَانُوا يَخْتَارُوْنَ للمُبْتَدِئ صِغَارَاتِ المَبْسُوْطِ؛ لأنَّه أقْرَبُ إلى الفَهْمِ والضَّبْطِ، وأبْعَدُ مِنَ المَلالَةِ، وأكْثَرُ وُقُوْعًا بَيْنَ النَّاسِ» انْتَهَى .

وقَدْ قِيْلَ : حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ وِقْرَيْنِ، وفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وِقْرَيْنِ!

والوِقْرُ : الحِمْلُ الثَّقِيْلُ .

المَدْخَلُ الثَّالِثُ

طَلائِعُ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ)

هُنَاكَ بَعْضُ الطَّلائِعِ العِلْمِيَّةِ، نَسُوْقُها بَيْنَ يَدَيْ كُلِّ مَنْ رَامَ السَّعْيَ حَثِيْثًا وَرَاءَ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ)، وحَسْبُكَ أنَّها مُقَدِّمَاتٌ وتَنَابِيْهُ سَابِقَةٌ، وبَصَائِرُ سَائِقَةٌ للطَّالِبِ قَبْلَ الشُّرُوْعِ في مُتَابَعَةِ ما هُنَا مِنْ تَرَاتِيْبَ تَنْظِيْمِيَّةٍ، ومَسَالِكَ تَوْضِيْحِيَّةٍ.

لِذَا؛ يُسْتَحْسَنُ بطَالِبِ العِلْمِ أنْ يَعِيْرَها اهْتِمَامًا، وأنْ يَجْعَلَها لِـ(المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) إمَامًا، كُلُّ ذَلِكَ كَيْ يَسْهُلَ عَلَيْه السَّيْرُ، ويَقْرُبَ مِنْه الخَيْرُ، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ!

ثُمَّ لا تَنْسَ قَوْلَ القَائِلِ:

أَلاَ لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إلاَّ بِسِتَّةٍ ... سَأُنَبِّئُكَ عَنْ مَجْمُوْعِها ببَيَانِ

ذَكَاءٌ وحِرْصٌ واجْتِهَادٌ وبُلْغَةٌ ... وإرْشَادُ أُسْتَاذٍ وطُوْلُ زَمَانِ[1]

***

(١) انْظُرْ ص (٢٧).

* **الطَّلِيْعَةُ الأوْلَى** : عَلَى طَالِبِ العِلْمِ؛ أنْ يَجْعَلَ لِكُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ هَـذِه المَرَاحِلِ : سِتَّةَ أشْهُرٍ؛ رَجَاءَ أنْ يُتِمَّ (المَنْهَجَ العِلْمِيَّ) كَامِلاً في سَنَتَيْنِ إنْ شَاءَ اللهُ!

ولَهُ أنْ يُتِمَّهُ في أقَلَّ مِنْ ذَلِكَ لِمَنْ أُتِيَ هِمَّةً عَالِيَةً، وعَزِيْمَةً صَادِقَةً، ومِنْ قَبْلُ قَطْعُ العَوَائِقِ، ومَنْعُ الصَّوَارِفِ!

وقَدْ قِيْلَ :

عَلَى قَدْرِ أهْلِ العَزْمِ تَأتِي العَزَائِمُ وتَـأتِي عَـلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَـارِمُ

وتَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغِيْرِ صِغَارُها وتَصْغُرُ في عَيْنِ العَظِيْمِ العَظَائِمُ[1]

ومَنْ ضَاقَ بِه الزَّمَنُ، فَلَـه أنْ يَمُـدَّ حَـبْلاً مِـنَ الوَقْـتِ مَـا يُحِـيْطُ بِـه (المَنْهَجَ العِلْمِيَّ) .

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن١٦]، «**ومَا أمَرْتُكُم بِشَيْءٍ؛ فَأْتُوا مِنْه ما اسْتَطَعْتُم**»[2] مُتَّفَقٌ عَلَيْه .

* * *

(١) انْظُرْ «دِيْوَانَ المُتَنَبِّي» (٣٨٥) .

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١٣/ ٣٥١)، ومُسْلِمٌ (١٣٣٧) .

* **الطَّلِيْعَةُ الثَّانِيَةُ** : كَمَا عَلَيْه؛ مُرَاعَاةُ تَرْتِيْبِ مُطالَعَةِ ودَرْسِ هَذِه الفُنُوْنِ بِحَسَبِ الرُّقُوْمَاتِ التَّسَلْسُلِيَّةِ ... اللَّهُمَّ إذَا كَانَتْ ثَمَّتُ مَصْلَحَةٌ يَرَاهَا طَالِبُ العِلْمِ، مِمَّا تَعُوْدُ عَلَيْه بِفَائِدَةٍ مَرْجُوَّةٍ، أو تَنْشِيْطِ هِمَّةٍ؛ فَلَهُ أنْ يُقَدِّمَ مَا يَشَاءُ، ويُؤَخِّرَ مَا يَشَاءُ .

* * *

* **الطَّلِيْعَةُ الثَّالِثَةُ** : كَمَا عَلَيْه؛ أنْ يَعْلَمَ أنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا حَوْلَ الكُتُبِ الَّتِي في (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) مِنْ أسْمَاءِ المُحَقِّقِيْنَ، وأسْمَاءِ دُوْرِ النَّشْرِ والمَطَابِعِ؛ لَيْسَ هُوَ مِنْ بَابِ الإلْزَامِ والالْتِزَامِ؛ بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ الاخْتِيَارِ والانْتِقَاءِ، بَعْدَ عِلْمِنا أنَّها مِنْ أحْسَنِ وأجْوَدِ مَا هُوَ مَوْجُوْدٌ ومُتَدَاوَلٌ بَيْنَ طُلابِ العِلْمِ الآنَ، وهَذَا مَا تَقْتَضِيْهِ النَّصِيْحَةُ الإيْمَانِيَّةُ، والمَحَبَّةُ الأُخَوِيَّةُ .

ومَا لَمْ نَذْكُرْ لَهُ تَحْقِيْقًا أو دَارًا؛ فَحَسْبُنا أنَّه لَمْ تَنَلْهُ يَدُ تَحْقِيْقٍ مِمَّا هِيَ عَلَى شَرْطِ النَّصِيْحَةِ .

لِذَا؛ فَأنْتَ يَا طَالِبَ العِلْمِ في حِلٍّ فِيما تَخْتَارُه وتَرْضَاه مِنْ مُحَقِّقِيْنَ وطَبَعَاتٍ، واللهُ المُوفِّقُ والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ .

* * *

* **الطَّلِيْعَةُ الرَّابِعَةُ** : كَمَا عَلَيْـه؛ أنْ يَـسْتَعِيْنَ بـالله تَعَـالَى في شَرْحِ كُتُـبِ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) مِنْ خِلالِ إحْدَى الطُّرُقِ الأرْبَعِ عَلَى وَجْهِ التَّرْتِيْبِ :

الأوْلَى : أنْ يَأخُذَ شَرْحَهَا عَلَى أيْدِي أهْلِ العِلْمِ السَّلَفِيِّيْنَ .

الثَّانِيَةُ : فـإنْ لَمْ يَكُـنْ؛ فَلْيَأخُـذْ شَرْحَهَـا عَـلَى أيْـدِي طُـلابِ العِلْـمِ النَّابِغِيْنَ.

الثَّالِثَةُ : فإنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَلْيَأخُـذْ شَرْحَهَـا مِـنْ خِـلالِ تَفْرِيْـغِ الأشْرِطَـةِ الـشَّارِحَةِ لَهَـا إنْ وُجِـدَ، وأخُـصُّ مِنْهـا شُرُوْحَـاتِ شَـيْخِنا العَلامَـةِ مُحَمَّـدٍ العُثَيْمِيْنِ رَحِمَهُ اللهُ .

الرَّابِعَةُ : فإنْ لَمْ يَكُنْ؛ فَلْيَأخُـذْ شَرْحَهَـا عَـنْ طَرِيْـقِ القِـرَاءةِ المُتَأنِيَّـةِ، وسُؤالِ أهْلِ العِلْمِ عَمَّا يُشْكِلُ عَلَيْه .

لاسِيَّما أنَّ بَعْضَ البِلادِ قَدْ عَزَّ فيها الشَّيْخُ الرَّبَّانِيُّ، واللهُ المُسْتَعَانُ!

وهَذِه تَسْلِيَةٌ لطَالِبِ العِلْمِ ممَّنْ قَلَّ في أرْضِـهِ أو بَلْدَتِـهِ : أهْـلُ العِلْـمِ الكِبَارِ، أو تَغَيَّبَـتْ مَجَـالِسُ العِلْـمِ بَيْـنَهُم، أنْ يَتَـذَكَّرَ والحَالَـةُ هَـذِه أنَّ عِلْـمَ السَّلَفِ كَانَ : بقَلْبٍ عَقُوْلٍ، ولِسَانٍ سَؤُوْلٍ!

* * *

وأخِيْرًا؛ فَهَاكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ (المَنْهَجَ العِلْمِيَّ) مَعَ مَا كَتَبْنَاهُ لَكَ مِنْ مُقَدِّمَةٍ عِلْمِيَّةٍ، تُبَصِّرُكَ عَلَى سَوَاءٍ فِي خِطَّةٍ تَوْضِيْحِيَّةٍ؛ عَسَاهَا تَجِدُ لَدَيْكَ قَلْبًا وَاعِيًا، وأُذُنًا ـَماغِيَةً، ومِنْ قَبْلُ هِمَّةً عَالِيَةً، وما التَّوْفيقُ إلاَّ بالله تَعَالَى .

البَابُ الأوَّلُ

المَرَاحِلُ العِلْمِيَّةُ
وفيه أرْبَعُ مَرَاحِلَ عِلْمِيَّةٍ

المَرْحَلَةُ الأُوْلَى

١ـ حِفْظُ جُزْأَيْنِ «عَمَّ وتَبَارَكَ» مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ[١].

٢ـ حِفْظُ «الأَرْبَعِيْنَ النَّوَوِيَّةِ»، مَعَ زِيَادَاتِ ابنْ رَجَبٍ الحَنْبَلِي.

٣ـ قِرَاءَةُ «حَاشِيَةِ ثَلاثَةِ الأُصُوْلِ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القَاسِمِ.

٤ـ قِرَاءَةُ «شَرْحِ كَشْفِ الشُّبُهَاتِ» لشَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ.

٥ـ قِرَاءَةُ «قُرَّةُ عُيُوْنِ المُوَحِّدِيْنَ» شَرْحِ كِتَابِ التَّوْحِيْدِ للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَسَنَ آلِ الشَّيْخِ، طَبْعَةُ دَارِ المُغْنِي، تَحْقِيْقُ المَجْلِسِ العِلْمِيِّ بالدَّارِ.

٦ـ قِرَاءَةُ «العُبُوْدِيَّةِ» لابْنِ تَيْمِيَةَ، تَحْقِيْقُ عَلِيِّ بنِ حَسَنَ الحَلَبِيِّ.

٧ـ قِرَاءَةُ «المُقَدِّمَةِ الآجُرُّوْمِيَّةِ» مِنْ خِلالِ شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ عَبْرَ الأَشْرِطَةِ[٢]، مَعَ مَلْحُوظَةِ تَفْرِيْغِ مَا يَحْتَاجُه طَالِبُ العِلْمِ[٣].

---

(١) قِرَاءَةُ وحِفْظُ القُرْآنِ الكَرِيْمِ لا يَكُوْنُ إلاَّ عَنْ طَرِيْقِ التَّلْقِيْنِ مُبَاشَرَةً!

(٢) لَقَدْ خَرَجَ «شَرْحُ المُقَدِّمَةِ الآجُرُّوْمِيَّةِ» لشَيْخِنا العُثَيْمِيْنِ رَحِمَهُ اللهُ في طَبْعَةٍ جَيِّدَةٍ، بإشْرَافِ مُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ صَالِحٍ العُثَيْمِيْنِ الخَيْرِيَّةِ.

(٣) ومَنْ بَعُدَتْ عَلَيْه أَشْرِطَةُ شَيْخِنا العُثَيْمِيْنِ رَحِمَهُ اللهُ؛ فَلَهُ والحَالَةُ هَذِه أنْ يَقْتَصِرَ عَلى شَرْحِ «التُّحْفَةِ السَّنِيَّةِ بشَرْحِ المُقَدِّمَةِ الآجُرُّوْمِيَّةِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدٍ مُحي الدِّيْنِ عَبْدِ الحَمِيْدِ رَحِمَهُ اللهُ على أيْدِي أهْلِ العِلْمِ.

٨ـ قِرَاءةُ «الأُصُوْلِ مِنْ عِلْمِ الأُصُوْلِ» مِنْ خِلالِ شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ عَبْرَ الأشْرِطَةِ، مَعَ مَلْحُوظةِ : حِفْظِ التَّعْرِيْفَاتِ حِفْظًا تَامًا، وتَفْرِيْغِ مَا يَحْتَاجُه طَالِبُ العِلْمِ .

٩ـ قِرَاءةُ «مُصْطَلَحِ الحَدِيْثِ» لشَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ مَعَ مَلْحُوظةِ: حِفْظِ التَّعْرِيْفَاتِ حِفْظًا تَامًا .

١٠ـ قِرَاءةُ «أُصُوْلِ التَّفْسِيْرِ» لشَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ مَعَ مَلْحُوظةِ: حِفْظِ التَّعْرِيْفَاتِ حِفْظًا تَامًا .

١١ـ قِرَاءةُ المُجَلَّدِيْنِ الأوَّلِ والثَّانِي مِنْ كِتَابِ «الشَّرْحِ المُخْتَصَرِ عَلَى مَتْنِ زَادِ المُسْتَقْنِعِ» للشَّيْخِ صَالِحِ الفَوْزَانِ، وهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ رُبْعِ العِبَادَاتِ، طَبْعَةُ دَارِ العَاصِمَةِ .

١٢ـ قِرَاءةُ «تَيْسِيْرِ الكَرِيْمِ الرَّحْمَنِ» للشَّيخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ .

١٣ـ قِرَاءةُ «حِلْيَةِ طَالِبِ العِلْمِ» لبَكْرٍ أَبُو زَيْدٍ .

المَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ

١ـ حِفْظُ خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ .

٢ـ قِرَاءَةُ «**الصَّحِيْحَيْنِ**» للبُخَارِيِّ ومُسْلِمٍ، مِنْ خِلالِ كِتَابِ «**التَّوْشِيْحِ شَرْحِ الجَامِعِ الصَّحِيْحِ**» للسُّيُوْطِيِّ، تَحْقِيْقُ رِضْوَانَ بنِ جَامِعٍ، و«**الدِّيْبَاجِ عَلَى صَحِيْحِ مُسْلِمِ بنِ الحَجَّاجِ**» للسُّيُوْطِيِّ، تَحْقِيْقُ أَبِي إِسْحَاقِ الحُوَيْنِيِّ .

٣ـ حِفْظُ «**عُمْدَةِ الأَحْكَامِ**» للحَافِظِ عَبْدِ الغَنِيِّ المَقْدَسِيِّ الحَنْبَلِيِّ، تَحْقِيْقُ مَحْمُوْدِ الأَرْنَاؤُوْطِ، أو تِكْرَارُ قِرَاءَتِه مِرَارًا .

٤ـ قِرَاءَةُ «**فَتْحِ المَجِيْدِ**»، للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ حَسَنَ آلِ الشَّيْخِ، تَحْقِيْقُ الوَلِيْدِ آلِ فُرَيَّانَ .

٥ـ قِرَاءَةُ «**شَرْحِ العَقِيْدَةِ الوَاسِطِيَّةِ**» للشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ خَلِيْلٍ الهَرَّاسِ، تَحْقِيْقُ عَلَوِي السَقَّاف .

٦ـ قِرَاءَةُ «**القَوَاعِدِ المُثْلَى**» تَحْقِيْقُ أَشْرَفِ بنِ عَبْدِ المَقْصُوْدِ، مِنْ خِلالِ شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ عَبْرَ الأَشْرِطَةِ، مَعَ مَلْحُوظَةِ : حِفْظِ القَوَاعِدِ حِفْظًا تَامًا، وتَفْرِيْغِ مَا يَحْتَاجُه طَالِبُ العِلْمِ .

٧ـ قِرَاءَةُ «**الفُرْقَانِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ**» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ اليَحْيَ .

٨ـ قِرَاءةُ «مُتمِّمَةِ الآجُرُّوْمِيَّةِ» للحَطَّابِ، مَعَ شَرْحِها «الـدُّرَرُ البهيَّـةُ شَرْحُ مُتمِّمَةِ الآجُرُّوْمِيَّةِ»[1] لرَاقِمِه .

٩ـ قِرَاءةُ «دُرُوْسِ البَلاغَةِ» لحَفْنِي نَاصِفَ وآخَرِيْنَ، مِـنْ خِـلالِ شَرْحِ شَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ عَبْرَ الأشْرِطَةِ، مَعَ مَلْحُوظةِ تَفْرِيْغِ مَـا يَحْتَاجُـه طَالِـبُ العِلْمِ[2].

١٠ـ قِرَاءةُ «القَوَاعِدِ والأُصُوْلِ الجَامِعَةِ» للشَّيخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ خَالِدِ بنِ عَليٍّ المُشَيْقِحِ .

١١ـ قِـرَاءةُ «قَوَاعِدِ الأُصُوْلِ ومَعَاقِدِ الفُـصُوْلِ» لـصَفي الـدِّيْنِ عَبْـدِ المُؤْمِنِ الحَنْبَلِيِّ، مَعَ شَرْحِـهِ «تَيْسِيْرِ الوُصُوْلِ إلى قَوَاعِدِ الأُصُوْلِ» للـشَّيْخِ عَبْـدِ اللهِ الفُوْزَانِ .

١٢ـ قِرَاءةُ «تَيْسِيْرِ مُصْطَلَحِ الحَدِيْثِ» للشَّيْخِ مَحْمُوْدٍ الطَّحَّانِ .

١٣ـ قِرَاءةُ «حَاشِيَةِ مُقَدِّمَةِ التَّفْسِيْرِ» للـشَّيْخِ عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ بـنِ مُحَمَّـدٍ القَاسِمِ .

---

(١) انْظُرْهُ قَرِيبًا إنْ شَاءَ اللهُ في مَوْقِعِ : (www.thiab.com) .

(٢) لَقَدْ طُبِعَ كِتَابُ « شَرْحِ دُرُوْسِ البَلاغَةِ» لشَيْخِنا العُثَيْمِيْنِ رَحِمَهُ اللهُ، بعِنَايَـةِ وتَحْقِيْـقِ الأخِ مُحَمَّدٍ المُطَيْرِيِّ .

١٤ـ قِرَاءةُ المُجَلَّدِيْنِ الثَّالِثِ والرَّابِعِ مِنْ كِتَابِ «**الشَّرْحِ المُخْتَصَرِ عَلَى مَتْنِ زَادِ المُسْتَقْنِعِ**» للشَّيْخِ صَالِحِ الفَوْزَانِ، وهُمَا عِبَارَةٌ عَنْ رُبْعِ المُعَامَلاتِ، ورُبْعِ الجِنَايَاتِ، ورُبْعِ الشَّهَادَاتِ، طَبْعَةُ دَارِ العَاصِمَةِ .

١٥ـ قِرَاءةُ «**مَعَالِمِ التَّنْزِيْلِ**» للإمَامِ البَغَوِيِّ، تَحْقِيْقُ عُثْمَانَ ضُمِيْرِيَّةِ، وآخَرِيْنَ، مَعَ مَلْحُوْظَةِ : عَدَمِ الوُقُوْفِ مَعَ الإسْرَائِيْلِيَّاتِ، واخْتِلافِ القِرَاءاتِ، والمَسَائِلِ النَّحْوِيَّةِ .

١٦ـ قِرَاءةُ «**الكَلِمِ الطَّيِّبِ**» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ نَاصِرِ الدِّيْنِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، مَعَ مَلْحُوظَةِ : حِفْظِ مَا يُمْكِنُ حِفْظُه مِنَ الأحَادِيْثِ لاسِيَّما أذْكَارُ اليَوْمِ واللَّيْلَةِ .

١٧ـ قِرَاءةُ «**الفُصُوْلِ في سِيْرَةِ الرَّسُوْلِ**» لابنِ كَثِيْرٍ، تَحْقِيْقُ مُحَمَّدٍ الخَطْرَاوِيِّ، ومُحْيِ الدِّيْنِ مُسْتُو .

١٨ ـ قِرَاءةُ «**بَيَانِ فَضْلِ عِلْمِ السَّلَفِ عَلَى عِلْمِ الخَلَفِ**» لابنِ رَجَبٍ، تَحْقِيْقُ أخِيْنا الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ العَجْمِيِّ .

١٩ـ قِرَاءةُ «**تَصْنِيْفِ النَّاسِ بَيْنَ الظَّنِّ واليَقِيْنِ**» لبَكْرٍ أبُو زَيْدٍ .

المَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ

١ـ حِفْظُ عَشَرَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ .

٢ـ حِفْظُ رُبْعِ العِبَادَاتِ مِنْ «بُلُوْغِ المَرَامِ» للحَافِظِ ابنِ حَجَرٍ العَسْقَلانِيِّ، تَحْقِيْقُ سَمِيْرِ بنِ أَمِيْنٍ الزُّهَيْرِيِّ، أو تِكْرَارُ قِرَاءَتِهِ مِرَارًا، وهُوَ المُجَلَّدُ الأَوَّلُ .

٣ـ قِرَاءَةُ «السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ»، تَحْقِيْقُ العَلامَةِ المُحَدِّثِ نَاصِرِ الدِّيْنِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، طَبْعَةُ مَكْتَبَةِ المَعَارِفِ، بِعِنَايَةِ الشَّيْخِ مَشْهُوْرِ بنِ حَسَنِ آلِ سَلْمَانَ[1] .

٤ـ قِرَاءَةُ «الفَتْوَى الحَمَوِيَّةِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ حَمَدَ التُّوَيْجِرِيِّ .

٥ـ قِرَاءَةُ «شَرْحِ العَقِيْدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ» لابنِ أَبِي العِزِّ ، تَحْقِيْقُ التُّرْكِيِّ ،

---

(١) وهَذِه الطَّبْعَةُ خَرَجَتْ بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ؛ حَيْثُ كَانَتْ أُمْنِيَةً لَه قَبْلَ وَفَاتِه، فَشَاءَ اللهُ تَعَالى أَنْ تَخْرُجَ هَذِه الطَّبْعَةُ بِعِنَايَةِ الشَّيْخِ مَشْهُوْرِ بنِ حَسَنٍ؛ حَيْثُ خَرَجَ كُلُّ كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ في مُجَلَّدٍ وَاحِدٍ حَاوٍ جَمِيْعَ الأَحَادِيْثِ بأَسَانِيْدِها، مَعَ الحُكْمِ عَلَيْها صِحَّةً وضَعْفًا، وكَذا ذِكْرِ بَعْضِ الإِحَالاتِ الخَاصَّةِ للأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ في كُتُبِهِ الأُخْرَى، وهِي بِهَذا الإِخْرَاجِ تُعْتَبَرُ قَاضِيَةً ونَاسِخَةً على مَا سِوَاهَا مِنْ طَبَعَاتِ السُّنَنِ الأَرْبَعَةِ للأَلْبَانِيِّ، لاسِيَّما الَّتي فَرَّقَتْ بَيْنَ صَحِيْحِ السُّنَنِ وضَعِيْفِها دُوْنَ سَنَدٍ أو إِحَالَةٍ، أَقْصِدُ : طَبْعَةَ مَكْتَبِ التَّرْبِيَةِ العَرَبِيِّ لِدُوَلِ

والأرَناؤوطِ .

٦ـ قِرَاءةُ «سَبِيْلِ الهُدَى بتَحْقِيْقِ شَرْحِ قَطْرِ النَّدَى وبَلِّ الصَّدَى» لمُحَمَّـدِ مُحْيِ الدِّيْنِ عَبْدِ الحَمِيْدِ .

٧ـ قِرَاءةُ «البَلاغَةِ الوَاضِحَةِ» لعَلِيٍّ الجَارِمِ، ومُصْطَفَى أمِيْنَ .

٨ـ قِرَاءةُ «تَدْرِيْبِ الرَّاوِيِّ» للسُّيُوْطِيِّ، تَحْقِيْقُ طَارِقِ بنِ عَوَضٍ .

٩ـ قِـرَاءةُ «التَّأسِيْسِ في أُصُوْلِ الفِقْهِ» للـشَّيْخِ مُـصْطَفَى سَـلامَةَ، مَـعَ مَلْحُوْظَةِ : عَدَمِ قِرَاءةِ المُقَدِّمَةِ المَنْطِقِيَّةِ .

١٠ـ قِرَاءةُ «مَعَالِمِ أصُوْلِ الفِقْهِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ حَسَنَ الجَيْزَانِيِّ .

١١ـ قِرَاءةُ «الوَجِيْزِ في إيْضَاحِ قَوَاعِدِ الفِقْـهِ الكُلِّيَّـةِ» للـشَّيْخِ مُحَمَّـدٍ صِدْقِي البَوْرُنُو .

١٢ـ قِرَاءةُ «فُصُوْلٍ في أُصُوْلِ التَّفْسِيْرِ» للشَّيْخِ مُسَاعِدَ الطَّيَّارِ .

١٣ـ قِرَاءةُ «تَفْسِيْرِ القُـرْآنِ العَظِـيْمِ» لابـنِ كَثِـيْرٍ، تَحْقِيْـقُ سَـامِي السَّلامَةِ .

الخَلِيْجِ، هَذا إذَا عَلِمْنا أنَّ الألْبَانِيَّ رَحِمَهُ اللهُ لم يَرْضَ هَذِه الطَّبْعَةَ حَالَ حَيَاتِه، فَكَانَ اللهُ لَه آمِيْنَ!

١٣ـ قِرَاءةُ «تَفْسِيْرِ القُرْآنِ العَظِيْمِ» لابنِ كَثِيْرٍ، تَحْقِيْقُ سَامِي السَّلامَةِ .

١٤ـ قِرَاءةُ «حَاشِيَةِ الرَّوْضِ المُرْبِعِ» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحمَنِ ابنِ قَاسِمٍ، مَعَ مَلْحُوْظَةِ : تَضْمِيْنِ قِرَاءةِ «الشَّرْحِ المُمْتِعِ» لشَيْخِنا مُحَمَّدٍ العُثَيْمِينِ، نَشْرُ دَارِ ابنِ الجَوْزِيِّ، ، بَابًا بِبَابٍ، جَنْبًا بِجَنْبٍ .

١٥ـ قِرَاءةُ «الوَابِلِ الصَّيِّبِ ورَافِعِ الكَلِمِ الطَّيِّبِ» لابنِ القَيِّمِ، تَحْقِيْقُ الأخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ قَائِدٍ، دَارُ عَالَمِ الفَوَائِدِ، مَعَ مَلْحُوظَةِ : حِفْظِ مَا يُمْكِنُ حِفْظُه مِنَ الأحَادِيْثِ لاسِيَّمَا أذْكَارُ اليَوْمِ واللَّيْلَةِ .

١٦ـ قِرَاءةُ «جَامِعِ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» للحَافِظِ ابنِ عَبْدِ البَرِّ النَّمَرِيِّ الأنْدَلُسِيِّ، تَحْقِيْقُ أبِي الأشْبَالِ الزُّهَيْرِيِّ .

١٧ـ قِرَاءةُ «مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنَ» للإمَامِ أحْمَدَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَقْدِسِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ القَادِرِ الأرْناؤُوْطِ .

المَرْحَلَةُ الرَّابِعَةُ

١ـ حِفْظُ مَا بَقِيَ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ إذا أمْكَنَ .

٢ـ حِفْظُ أرْبَاعِ المُعَامَلاتِ، والجِنَايَاتِ، والشَّهَادَاتِ مِنْ «بُلُوْغِ المَرَامِ» للحَافِظِ ابنِ حَجَرٍ العَسْقَلانِيِّ، تَحْقِيْقُ سَمِيْرِ بنِ أمِيْنٍ الزُّهَيْرِيِّ، أو تِكْرَارُ قِرَاءتِه مِرَارًا، وهُوَ المُجَلَّدُ الثَّانِي .

٣ـ قِرَاءةُ «الشَّرِيْعَةِ» للإمَامِ الآجُرِّي، تَحْقِيْقُ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ الدُّمَيْجِيِّ .

٤ـ قِرَاءةُ «التَّدْمُرِيَّةِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، مَعَ شَرْحِها «التَّوْضِيْحَاتِ الأثَرِيَّةِ» لفَخْرِ الدِّيْنِ بنِ الزُّبَيْرِ .

٥ـ قِرَاءةُ «شَرْحِ الأصْفَهانِيَّةِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ مُحَمَّدِ بنِ عَوْدَةَ السَّعَوِيِّ .

٦ـ قِرَاءةُ الاثْنَيْ عَشَرَ مُجَلَّدًا الأُوْلَى مِنْ «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» لابنِ تَيْمِيَّةَ.

مَعَ مَلْحُوْظَةِ : تَجَاوُزِ مَا قَرَأهُ طَالِبُ العِلْمِ سَالِفًا مِمَّا هُو ضِمْنُ الفَتَاوَى .

٧ـ قِراءةُ «مِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ مُحَمَّدِ بنِ رَشَادِ ابنِ سَالِمٍ، مَعَ مَلْحُوْظَةِ : عَدَمِ الوُقُوْفِ كَثِيْرًا عِنْدَ المَسَائِلِ المَنْطِقِيَّةِ لاسِيَّما الَّتِي في أوَّلِ الكِتَابِ[1] .

٨ـ قِراءةُ «بَيَانِ تَلْبِيْسِ الجَهَمِيَّةِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيْقُ مَجْمُوْعَةٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ، طَبْعَةُ مُجَمَّعِ المَلِكِ فَهْدٍ لطِبَاعَةِ المُصْحَفِ الشَّرِيْفِ، مَعَ مَلْحُوْظَةِ : عَدَمِ الوُقُوْفِ كَثِيْرًا عِنْدَ المَسَائِلِ المَنْطِقِيَّةِ .

٩ـ قِرَاءةُ «النَّحْوِ الوَافِي»[2] لعَبَّاسِ بنِ حَسَنَ، مَعَ مَلْحُوْظَةِ : عَدَمِ قِرَاءةِ التَّفْصِيْلِ والزِّيَادَةِ مِنْ كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْه إلاَّ للحَاجَةِ العِلْمِيَّةِ .

١٠ـ قِرَاءةُ «رَوْضَةِ النَّاظِرِ وجُنَّةِ المُنَاظِرِ» لابنِ قُدَامَةَ المَقْدَسِيِّ الحَنْبَلِيِّ

---

(١) أمَّا «مِنْهَاجُ السُّنةِ النَّبوِيَّةِ» فهُوَ بِحَاجَةٍ إلى تَقْرِيْبٍ لطُلابِ العِلْمِ تَقْرِيبًا عِلْمِيًّا، وتِهْذِيْبًا مُحَرَّرًا مَعَ فَهَارِسَ دَقِيْقَةٍ لِمَسَائِلِهِ وفَوَائِدِه، كُلُّ هَذا لأنَّ الكِتَابَ بِحَجْمِه هَذا أضْحَى للأسَفِ في زَمانِنا (حِجْرًا مَحْجُورًا) عَلى طُلابِ العِلْمِ المُعْتَنِيْنَ بالعَقِيْدَةِ، فالكِتَابُ يَضُمُّ بَيْنَ دَفَّتَيْهِ أصُوْلاً وفُرُوعًا، وفَوَائِدَ وفَرَائِدَ ... تَحْتَاجُ إلى تَقْرِيْبٍ وتَرْتِيْبٍ؛ لاسِيَّما أنَّ أكْثَرَ مَسَائِلِه لَهَا تَعَلُّقٌ بالشِّيْعَةِ الَّذِيْنَ يَزْدَادُوْنَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، فَحَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيْلُ! اللَّهُمَّ لا تَذَرْ مِنْهُم عَلى الأرْضِ دَيَّارًا؛ إنَّكَ إنْ تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبَادَكَ ويُؤذُوْا صَحَابَةَ نَبِيِّكَ ... اللَّهُمَّ آمِيْن!

(٢) أمَّا «النَّحْوُ الوَافِي» فَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ بَعْضِ المَلْحُوظاتِ؛ أُجْمِلُها فيما يَلي :

تَحْقِيْقُ عَبْدِ الكَرِيْمِ بنِ عَلِيٍّ النَّمْلَةِ، مَعَ مَلْحُوْظَةِ : عَدَمِ قِرَاءةِ المُقَدِّمَةِ المَنْطِقِيَّةِ، ومَعَ تَضْمِيْنِ قِرَاءةِ «مُذَكِّرَةِ أُصُوْلِ الفقْهِ» لمُحَمَّدٍ الأمِيْنِ الشِّنْقِيْطِيِّ، طَبْعَـةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ، بَابًا بِبَابٍ، جَنْبًا بِجَنْبٍ .

١١ـ قِرَاءةُ «الإتْقَانِ في عُلُوْمِ القُرْآنِ» للسِّيُوْطِيِّ، تَحْقِيْقُ مَجْمُوْعَـةٍ مِـنْ أهْلِ العِلْمِ، طَبْعَةُ مُجَمَّعِ المَلِكِ فَهْدٍ لطِبَاعَةِ المُصْحَفِ الشَّرِيْفِ .

١٢ـ قِرَاءةُ «الرَّائِدِ في عِلْمِ الفَرَائِضِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدٍ العِيْدِ الخَطْرَاوِيِّ .

١٣ـ قِرَاءةُ «المُغْني» للفَقِيْهِ الحَنْبَلِيِّ أبي مُحَمَّدٍ ابن قُدَامَةَ المَقْدَسِيِّ، تَحْقِيقُ

أوَّلاً : أنَّه لم يَسْلَمْ مِنَ القَوْمِيَّةِ العَرَبِيَّةِ .

ثانيًا : أنَّه لَمْ يَسْلَمْ مِنَ التَّأْوِيْلاتِ الأشْعَرِيَّةِ .

ثالثًا : أنَّه قَلِيْلُ الاسْتِشْهَادِ بالحَدِيْثِ النَّبَوِيِّ، وهَذَا المَنْهَجُ مَرْجُوحٌ مَرْفوضٌ جُمْلَـةً وتَفْصِيْلاً (وإنْ كَانَ عَلَيْه أكْثَرُ النُّحَاةِ!)، ولَيْسَ هَذَا مَحَلُّ بَسْطِ المسْألَةِ هُنَـا، ومَـعَ هَذا فَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ كُتُبِ النَّحْوِ وزِيْنَتِها؛ بَلْ مِنْ أجْمَعِها وأنْفَعِها وأسْـهَلِها، ومَـا ذَاكَ إلاَّ لأسْلُوْبِه الآخَّاذِ، وأمْثِلَتِه الوَاقِعِيَّةِ، وشُمُولِهِ لِمَبَاحِـثِ النَّحْـوِ والـصَّرْفِ، وتَحْرِيراتِه العِلْميَّةِ، وتَرْجِيْحَاتِهِ القَوِيَّةِ، وطَرْحِهِ للخِلافَاتِ المَنْطِقيَّةِ الَّتي حُشِرَتْ بِها أكْثَرُ مَبْسُوْطَاتِ النَّحْوِ ... فَهُوَ بحَقٍّ كَافٌ وَافٍّ، ولَهُ مِـنِ اسْـمِهِ حَـظٌّ وَافِـرٌ؛ حَيْثُ وَافَقَ الخُبْرُ الخَبَرَ؛ ولَيْسَ الخَبَرُ كالمُعَايَنَةِ، وإنْ كَانَ قَدْ سُبِقَ إلاَّ أنَّه لَحِقَ، واللهُ المُوَفِّقُ!

الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ، والشَّيْخِ عَبْدِ الفَتَّاحِ الحُلْوِ رَحِمَهُ اللهُ، مَعَ مَلْحُوْظَةِ: تَضْمِيْنِ قِرَاءةِ «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» لابنِ تَيْمِيَّةَ، بَابًا بِبَابٍ، جَنْبًا بِجَنْبٍ، ابْتِدَاءً مِنَ المُجَلَّدِ الحَادِي والعِشْرِيْنَ إلى النِّهَايَةِ.

١٤ـ قِرَاءةُ «فَتْحِ القَدِيْرِ» للشَّوْكَانِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عُمَيْرَةَ.

١٥ـ قِرَاءةُ «الآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ» للفَقِيْهِ الحَنْبَلِيِّ مُحَمَّدِ بنِ مُفْلِحٍ المَقْدَسِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ شُعَيْبٍ الأَرْناؤُوْطِ، وعُمَرَ القَيَّامِ.

البَابُ الثَّانِي

الفَوَائِدُ والتَّنْبِيْهَاتُ
وفيهِ خَمْسُ تَنَابِيْه

فوَائِدُ وتَنْبِيْهَاتٌ

هُنَاكَ بَعْضُ الفَوَائِدِ والتَّنَابِيْهِ؛ كَانَ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ أنْ يَأخُذَها بِعَيْنِ الاعْتِبَارِ؛ حَتَّى يَتَسَنَّى لَهُ الطَّرِيْقُ، ويَسْتَبِيْنَ لَهُ (المَنْهَجُ العِلْمِيُّ) حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّةِ إنْ شَاءَ اللهُ!

* **التَّنْبِيْهُ الأوَّلُ**: أنَّ طَالِبَ العِلْمِ هُوَ صَاحِبُ القَرَارِ لاخْتِيَارِ مَا يُوَافِقُ قُدُرَاتِه العِلْمِيَّةَ مِنْ إحْدَى المَرَاحِلِ الأرْبَعِ، كَمَا لَهُ حَقُّ التَّنَقُّلِ، واخْتِيَارُ مَا يَرَاهُ مُنَاسِبًا مِنْ مَجْمُوْعِ هَذِه المَرَاحِلِ، شَرِيْطَةَ أنْ يَكُوْنَ قَدْ أتْقَنَ المَرْحَلَةَ الأُوْلَى والثَّانِيَةَ، أو مَا يُقَارِبُهَا مِنَ المُتُوْنِ المُخْتَصَرَةِ.

وأضِفْ هُنَا أمْرًا مِنَ الأهَمِيَّةِ بِمَكَانٍ: وهُوَ أنْ يَعْلَمَ طَالِبُ العِلْمِ بأنَّ المَرْحَلَتَيْنِ الأُوْلَتَيْنِ هُنَا؛ لَهِي مِنْ أهَمِّ المَرَاحِلِ العِلْمِيَّةِ في «البَرْنَامِجِ العِلْمِيِّ» فَعَلَيْهِمَا المُعْتَمَدُ (بَعْدَ الله) لِفَهْمِ مَا سِوَاهُمَا، وهُمَا الوِرْدُ الصَّافي الَّذِي يَصْدُرُ الطَّالِبُ مِنْهُمَا، فلا تَعْجَلَنَّ اجْتِيَازَهُمَا، ولا تَسْتَثْقِلَنَّ مُدَارَسَتَهُمَا!

* * *

* **التَّنْبِيْهُ الثَّاني**: أنَّ طَالِبَ العِلْمِ إذَا تَجَاوَزَ مَرَاحِلَ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) الأرْبَعِ، فإنَّنَا نَدْفَعُ بِهِ (وبِمَنْ هَذِه حَالُه) أنْ يَحْمَدَ اللهَ تَعَالَى، وأنْ يَلْزَمَ الجَادَّةَ

في الاسْتِقَامَةِ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ عَقِيْدَةً ومَنْهَجًا، وأنْ يَأْخُذَ بـآدَابِ الطَّلَـبِ، وسَنَنِ العِلْمِ والحِلْمِ، وخَفْضِ الجَنَاحِ، ودَمَاثَةِ الأخْلاقِ، وأنْ يَتَـدَثَّرَ بِثِيَـابِ التَّوَاضُعِ، وسِمَةِ أهْـلِ العِلْـمِ، فَـذَلِكَ المُتَنَـاهِي في الفَـضْلِ، العَـالِي في ذُرَى المَجْدِ، الحَاوِي قَصَبَ السَّبْقِ، الفَائِزُ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ، إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى!

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «يَنْبَغِي للفَقِيْـهِ أنْ يَـضَعَ الـتُّرَابَ عَـلَى رَأسِهِ تَوَاضُعًا لله، وشُكْرًا لَهُ»[1].

* * *

* **التَّنْبِيْهُ الثَّالِثُ**: أنْ يَرْفَعَ طَالِبُ العِلْمِ رَأسًـا بعَمَـلِ مَـا عَلِـمَ، وأنْ يَصْبِرَ عَلَى الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تَعَالَى، إذِ الصَّبْرُ شَرْطٌ في نَيْلِ كُلِّ عَزِيْزٍ وغَالٍ.

ومِنْ مَحَاسِنِ الشِّعْرِ في الصَّبْرِ، مَا قَالَهُ ابنُ هِشَامٍ النَّحْوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ:

ومَنْ يَصْطَبِرْ للعِلْمِ يَظْفَرْ بنَيْلِـهِ ... ومَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى البَذْلِ

ومَنْ لَمْ يُذِلَّ النَّفْسَ في طَلَبِ العُلا ... يَسِيْرًا يَعِشْ دَهْـرًا طَوِيْلاً أخَـا ذُلِّ

* * *

فَلا يَرَاكَ اللهُ يَا طَالِبَ العِلْمِ إلاَّ: **مُتَعَلِّمًا أو عَامِلاً، مُجَاهِدًا أو مُجْتَهِدًا**.

---

(١) انْظُرْ «سِيَرَ أعْلامِ النُّبَلاءِ» للذَّهَبِيِّ (١٠/ ٥٣).

كَمَا قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «زَادِ المَعَادِ» (٣/ ١٠) : «فإذَا اسْتكْمَلَ (العَبْدُ) هَذِه المَرَاتِبَ الأرْبَعَ (العِلْمَ، والعَمَـلَ بِـهِ، والـدَّعْوَةَ إلَيْـه، والـصَّبْرَ عَلَيْه)؛ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّيْنَ!

فإنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُوْنَ عَلَى أنَّ العَالِمَ لا يَسْتَحِقُّ أنْ يُسمَّى رَبَّانِيًّا؛ حَتَّـى يَعْرِفَ الحَقَّ، ويَعْمَلَ بِهِ، ويُعَلِّمَهُ، فَمَـنْ عَلِـمَ وعَمِـلَ وعَلَّـمَ؛ فَـذَاكَ يُـدْعَى عَظِيمًا في مَلَكُوْتِ السَّمَوَاتِ» انْتَهَى .

قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «العِلْمُ يَهْتِفُ بالعَمَلِ، فإنْ أجَابَـهُ وإلاَّ ارْتَحَلَ» .

وعَنْ أيُّوْبَ السِّخْتِيَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : قَالَ لِي أبُو قِلابَةَ : «إذَا أحْـدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا فأحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً، ولا يَكُنْ هَمُّكَ أنْ تُحَدِّثَ بِهِ» .

وقَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : «كُنَّا نَسْتَعِيْنُ عَلَى حِفْظِ الحَدِيْثِ بالعَمَلِ بِهِ»[1].

* * *

وأُعِيْذُكَ باللهِ يَا طَالِبَ العِلْمِ مِنْ عِلْـمِ المُنَـافِقِ!، وقَـدْ قِيْـلَ : «عِلْـمُ المُنَافِقِ في قَوْلِه، وعِلْمُ المُؤْمِنِ في عَمَلِه»[1] .

---

(١) انْظُرْ الآثَارَ في «جَامِعِ بَيَانِ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٥٣، ٧٠٧، ٧٠٩) .

فالله الله :«زَيِّنُوا العِلْمَ، ولا تَتَزَيَّنُوا بِه»[٢].

* * *

* التَّنْبِيْهُ الرَّابِعُ : اعْلَمْ إنَّ العِلْمَ نِصْفَانِ .

* نِصْفٌ : مَا حَوَتْهُ قَمَاطِرُ العِلْمِ؛ ابْتِدَاءً بالوَحْيَيْنِ (الكِتَابِ والسُّنَّةِ) ومَا تَخَرَّجَ مِنْهُما، أو حَامَ حَوْلَهُما، وانْتِهَاءً بِمَا تَضَمَّنَه «المَنْهَجُ العِلْمِيُّ» مِنْ تَنَابِيْهَ وعَزَائِمَ ... إلخ .

* ونِصْفٌ : هُوَ قَوْلُكَ فيمَا لا تَعْلَمُ : لا أعْلَمُ، لا أدْرِي!

يَقُوْلُ أَبُو دَاوُدَ رَحِمَهُ اللهُ : «قَوْلُ الرَّجُلِ فيما لا يَعْلَمُ : لا أعْلَمُ، نِصْفُ العِلْمِ»[٣].

* * *

فَقَدِ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ أهْلِ العِلْمِ أنَّ العَالِمَ إذَا أخْطَأ : (لا أدْرِي) فَقَدْ أُصِيْبَتْ مَقَاتِلُهُ!

فَحَذَارَ حَذَارَ يَا طَالِبَ العِلْمِ مِنْ تَنَكُّبِ سَنَنِ أهْلِ العِلْمِ السَّالِفِينَ

---

(١) انْظُرْ «اقْتِضَاءَ العِلْمِ العَمَلُ» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ (٣٨) .

(٢) انْظُرْ «جَامِعَ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٦٥)، و«الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ (٦/ ٣٩٩) .

(٣) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (٢/ ٨٤٢) .

فيما لا عِلْمَ لَكَ فيه، بأنْ تَقُوْلَ : لا أدْرِي، فَمَا أبْرَدَها اليَوْمَ عَلَى الكَبِدِ، ومَا أحَرَّهَا يَوْمَ المَرَدِّ!

فإنْ كَانَ العِلْمُ (بِـلا أدْرِي) نِصْفَ العِلْمِ، فَهِي واللهِ الجَهْلُ كُلُّهُ إذَا جُهِلَتْ!

***

قَالَ الرَّاجِزُ[1] :

فـإنْ جَهِلْتَ مَـا سُئِلْتَ عَنْهُ ... ولَـمْ يَكُنْ عِنْـدَكَ عِلْـمٌ مِنْـهُ

فَـلا تَقُـلْ فيه بِغَيْرِ فَهْـمِ ... إنَّ الخَطَـأ مُـزْرٍ بأهْـلِ العِلْـمِ

وقُـلْ إذَا أعْيَاكَ ذَاكَ الأمْـرُ ... مَـالِي بِـمَا تَسْـأَلُ عَنْـهُ خَبـرُ

فَذَاكَ شَطْرُ العِلْمِ عَنِ العُلَمآ ... كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُوْلُ الحُكَمآ

***

قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ : «كَـانَ ابـنُ عَبَّـاسٍ يَقُـوْلُ : إذَا أخْطَـأ العَـالِمُ لا أدْرِي أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ»، وبِمِثْلِهِ قَالَ كَثِيْرٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ[2] .

---

(١) السَّابِقُ (٢/ ٨٤٢) .

(٢) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (٢/ ٨٣٩)، و«تَذْكِرَةَ السَّامِعِ والمُتَكَلِّمِ» لابْنِ جَمَاعَةَ (٤٢)، و«الفَقِيْهَ والمُتَفَقِّهَ» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ (٢/ ١٧٢) .

فلا تكُنْ كَمَنْ قِيْلَ لَهُ[١] :

جَهِلْتَ فَعَادَيْتَ العُلُوْمَ وأهْلَهَا كَذَاكَ يُعَادِي العِلْمَ مَنْ هُوَ جَاهِلُه

ومَنْ كَانَ يَهْوَى أنْ يُرَى مُتَصَدِّرًا ويَكْرَهُ «لا أدْرِي» أُصِيْبَتْ مَقَاتِلُه

* * *

قَالَ ابنُ وَهْبٍ رَحِمَهُ اللهُ : «لَوْ كَتَبْنَا عَنْ مَالِكٍ : لا أدْرِي، لَمَلأنَا الأَلْوَاحَ» .

وعَنْ أبِي الذَّيَّالِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : «تَعَلَّمْ لا أدْرِي، فإنَّكَ إنْ قُلْتَ : لا أدْرِي، عَلَّمُوْكَ حَتَّى تَدْرِي، وإنْ قُلْتَ : أدْرِي، سَأَلُوْكَ حَتَّى لا تَدْرِي!»[٢].

وهَذا الإمامُ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ نَرَاهُ في كِتَابِ «أخْلاقِ العُلَمَاءِ» (١٠٨) يُحَذِّرُ أهْلَ العِلْمِ مِنْ تَرْكِ «لا أدْرِي» فيما لا عِلْمَ لَهُم بِه، بِقَوْلِه :

«وأمَّا الحُجَّةُ للعَالِمِ يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ لا يَعْلَمُه فَلا يَسْتَنْكِفْ أنْ يَقُوْلَ : لا أعْلَمُ، إذا كَانَ لا يَعْلَمُ، وهَذَا طَرِيْقُ أئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ مِنَ الصَّحَابَةِ ومَنْ بَعْدَهُم مِنَ أئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ . اتَّبَعُوا في ذَلِكَ نَبِيَّهُم ﷺ؛ لأنَّه كَانَ إذا سُئِلَ

---

(١) انْظُرْ «أدَبَ الدُّنْيا والدِّيْنِ» للمَاوَرْدِيِّ (٤٢) .

(٢) انْظُرْ الآثَارَ في «جَامِعِ بَيَانِ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (٢/ ٨٣٩، ٨٤٢) .

عَنِ الشَّيْءِ مِمَّا لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ فيه عِلْـمُ الـوَحْي مِـنَ اللهِ عَـزَّ وجَـلَّ فَيَقُـوْلُ : «لا أدْرِي» .

وهَكَذَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ سُـئِلَ عَـنْ شَيْءٍ لَمْ يَتَقَـدَّمْ لَـهُ فيـه عِلْـمٌ أنْ يَقُوْلَ : اللهُ أعْلَمُ، ولا عِلْمَ لِي بِه، ولا يَتَكَلَّفْ مَا لا يَعْلَمُه، فَهُوَ أعْذَرُ لَهُ عِنْـدَ اللهِ، وعِنْدَ ذَوِي الأَلْبَابِ» انْتَهَى .

* * *

* التَّنْبِيْهُ الخَامِسُ : فإنَّني أهْمِسُ وأُهَمْهِمُ في أُذُنِ طَالَبِ العِلْـمِ (إسْرَارًا لا جِهَارًا) : أنَّ طَالِبَ العِلْمِ إذا أتْقَنَ مَرَاحِلَ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) الأرْبَعِ، مَعَ مَا هُنَالِكَ مِنَ التَّنَابِيْهِ، والفَوَائِدِ، والعَزَائِمِ المَرْقُوْمَةِ في مَثَانِي (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) :

فَهُو أهْلٌ للفَتْوَى، والتَّصَدُّرِ للدَّرْسِ والتَّعْلِيْمِ، وإنِّي عَلَـى ذَلِـكَ مِـنَ الشَّاهِدِيْنِ، واللهُ خَيْرٌ شَاهِدًا وحَافِظًا!

البَابُ الثَّالِثُ

العَزَائِمُ العِلْمِيَّةُ

وفيهِ ثَلاثُ عَزَائِمَ

العَزَائِمُ العِلْمِيَّةُ

فإنَّنا نُوْصِي كُلَّ مَنِ ائْتَمَّ بِمَا رَسَمْنَاهُ في (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) بـأنْ لا يَـنْسَ نَصِيْبَهُ مِنْ هَذِه العَزَائِمِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي جَادَتْ بِهَا النَّصِيْحَةُ الإِيْمَانِيَّةُ، لأنَّ العِلْمَ رَحِمٌ بَيْنَ أَهْلِهِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ ثَلاثِ عَزَائِمَ :

* **العَزِيْمَةُ الأُوْلَى** : فإنَّنَا نُوْصِي مَنْ تَجَاوَزَتْ قُدُرَاتُه العِلْمِيَّـةُ المَرَاحِـلَ الأَرْبَعَ كَمَا هِي في ثَـوْبِ (المَـنْهَجِ العِلْمِـيِّ) بـأنْ يَقْـرَأ هَـذِه الكُتُـبَ لعُمُـوْمِ الفَائِـدَةِ، وعَظِـيْمِ العَائِـدَةِ، وهُـوَ مَـا وَقَـعَ عَلَيْهـا اخْتِيَارُنـا بَعْـدَ النَّظَـرِ والتَّمْحِيْصِ،؛ لأَنَّهُ «**لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيْهِ ما يُحِـبُّ لنَفْـسِه**»[1] مُتَّفَقٌ عَلَيْه :

١ـ قِراءةُ «**فَتْحِ البَارِي**» لابنِ حَجَـرٍ رَحِمَـهُ اللهُ، تَحْقِيْـقُ أبي قُتَيْبَـةَ نَظْـرِ الفَارِيَابِيِّ .

٢ـ قِراءةُ «**شَرْحِ مُسْلِمٍ**» للنَّوَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٣ـ قِراءةُ «**اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ**» لابـنِ تَيْمِيَّـةَ رَحِمَـهُ اللهُ، تَحْقِيْـقُ الشَّيْخِ نَاصِرِ العَقْلِ .

---

(١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١/ ٥٦)، ومُسْلِمٌ (٤٥) .

٤ـ قَراءةُ «إعْلامِ المُوَقِّعِيْنَ» لابنِ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ مَشْهُوْرِ بنِ حَسَن .

٥ـ قَراءةُ «إغَاثَةِ اللَّهْفَانِ مِنْ مَصَائِدِ الشَّيْطَانِ» لابنِ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٦ـ قَراءةُ «مَدَارِجِ السَّالِكِيْنَ» لابنِ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ عَبْدِ العَزِيْزِ الجِلَيِّلِ .

٧ـ قَراءةُ «الاعْتِصَامِ» للشَّاطِبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ مَشْهُوْرِ بنِ حَسَن .

٨ـ قَراءةُ «أضْوَاءِ البَيَانِ» للعَلامَةِ الأمِيْنِ الشَّنْقِيْطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، طَبْعَةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ .

٩ـ قَراءةُ «رَسَائِلَ ودِرَاسَاتٍ في الأهْوَاءِ والافْتِرَاقِ والبِدَعِ ومَوْقِفِ السَّلَفِ مِنْها» للشَّيْخِ نَاصِرِ العَقْلِ .

١٠ـ قِرَاءةُ «ظَاهِرَةِ الإرْجَاءِ» لشَيْخِنَا العَلامَةِ سَفَرِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَوَالِيِّ .

١١ـ قِرَاءةُ «مَوْقِفِ ابنِ تَيْمِيَّةَ مِنْ الأشَاعِرَةِ»، و«القَضَاءِ والقَدَرِ»، وكَذَا

«الحُكْمِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ» كُلُّها لِـشَيْخِنَا المُحَـرِّرِ عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ المَحْمُـوْدِ، مَـعَ مُرَاعَاةِ قِرَاءةِ الجُزْءِ الثَّالِثِ مِنْ «مَوْقِفِ ابنِ تَيْمِيَّةَ» بتَدَبُّرٍ وتَأَمُّلٍ .

١٢ـ قِرَاءةُ «المُعْتَزِلَةِ في أصُوْلِهِمُ الخَمْسَةِ» للشَّيْخِ عَوَّادٍ المُعْتِقِ .

١٣ـ قِرَاءةُ «زِيَادَةِ الإيمَانِ ونُقْصَانِه» للشَّيْخِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ البَدْرِ .

١٤ـ قِرَاءةُ «المُوَالاةِ والمُعَادَاةِ» للشَّيْخِ مِحْمَاسٍ الجُلْعُوْدِ .

١٥ـ قِرَاءةُ «مَشَارِعِ الأشْـوَاقِ» للحَـافِظِ الـدِّمْيَاطِيِّ المَـشْهُوْرِ بـابنِ النَّحَّاسِ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخَيْنِ إدْرِيْسَ بنِ مُحَمَّدٍ، ومُحَمَّدٍ إسْطَنْبُوْلِي .

١٦ـ قِرَاءةُ «الجِهَادِ والقِتَالِ»[1] للشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ خَيْرِ هَيْكَلٍ .

١٧ـ قِرَاءةُ «البِدَايَةِ والنِّهَايَةِ» لابنِ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ .

١٨ـ قِرَاءةُ «الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ» لأئِمَّةِ الدَّعْوَةِ، جَمْعُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القَاسِمِ رَحِمَهُ اللهُ .

---

(١) عَلَى طَالِبِ العِلْمِ أنْ يَتَحَقَّقَ مِنْ بَعْضِ تَرْجِيْحَاتِ مُحَمَّدٍ هَيْكَلٍ في كِتَابِه هَـذَا، مَـعَ مُرَاعَاةِ التَّدْقِيْقِ في تَحْرِيْرِ أقْوَالِ أهْلِ العِلْـمِ، ومَعْرِفَـةِ الـرَّاجِحِ مِنْهـا، ومَـعَ هَـذا فَكِتَابُه مِنْ نَفَائِسِ كُتُبِ الجِهَادِ؛ حَيْثُ جَمَعَ بَيْنَ التَّأصِيْلِ الشَّرْعِيِّ وفِقْهِ الوَاقِـعِ في صُوَرِه النَّازِلَةِ بسَاحَةِ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ!

١٩ـ قِرَاءةُ «مُقَدِّمَةِ ابنِ خُلْدُوْنٍ» لعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابنِ خُلْدُوْنٍ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٠ـ قِرَاءةُ «عَوْدَةِ الحِجَابِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدِ ابنِ إسْمَاعِيْلِ المُقَدَّمِ .

٢١ـ قِرَاءةُ «الاتِّجَاهَاتِ الوَطَنِيَّةِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ حُسَيْنٍ .

٢٢ـ قِرَاءةُ «الانْحِرَافَاتِ العَقَدِيَّةِ والعِلْمِيَّةِ» للشَّيْخِ عَليٍّ الزَّهْرَانيِّ .

٢٣ـ قِرَاءةُ «أبَاطِيْلَ وأسْمَارٍ» لشَيْخِ العَرَبِيَّةِ مَحْمُوْدِ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٤ـ قِرَاءةُ «حَاضِرِ العَالَمِ الإسْلامِيِّ» للشَّيْخِ جَمِيْلِ المِصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٥ـ قِرَاءةُ «صَفَحَاتٍ مِنْ صَبْرِ العُلَمَاءِ»[1] للشَّيْخِ أبي غُدَّةَ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٦ـ قِرَاءةُ «جَوَاهِرِ الأدَبِ» لأحْمَدَ الهَاشِمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٧ـ قِرَاءةُ «النِّهَايَةِ في غَرِيْبِ الحَدِيْثِ» لابنِ الأثِيْرِ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٨ـ قِرَاءةُ «المِصْبَاحِ المُنِيْرِ» للفَيُّوْمِيِّ رَحِمَهُ اللهُ .

٢٩ـ قِرَاءةُ «مُعْجَمِ المَنَاهِي اللَّفْظِيَّةِ» للشَّيْخِ بَكْرٍ أبُو زَيْدٍ .

---

(١) تَنْبِيْهٌ : أمَّا مَا ذَكَرَهُ أبُو غُدَّةَ في (الجَانِبِ السَّابِعِ) مِنْ كِتَابِه هَذَا، وهُوَ التَّبَتُّلُ وتَرْكُ الزَّوَاجِ رَغْبَةً في العِلْمِ والتَّفَرُّغُ لأجْلِه، فَلَيْس مِنْ جَادَّةِ السُّنَّةِ؛ بَلْ هُوَ خِلافُ السُّنَّةِ وفِعْلِ السَّلَفِ والفِطْرَةِ، فهو مُسْتَدْرَكٌ!

٣٠ـ قِرَاءةُ «الحِطَّةِ فِي ذِكْرِ الصِّحَاحِ السِّتَّةِ» لأبي الطَّيِّبِ القِنَّوْجِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، تَحْقِيْقُ عَلِيِّ بنِ حَسَنَ الحَلَبِيِّ .

كَمَا أَرْعِي نَفْسِي وإِيَّاكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ؛ بألاَّ تَنْسَ نَصِيْبَكَ العِلْمِيَّ، وزَادَكَ الإِيْمَانِيَّ مِنْ قِرَاءةٍ وجَرْدِ كُتُبِ أئِمَّةِ السَّلَفِ؛ فَهِي واللهِ السَّمْعُ والبَصَرُ، فَهِي قِبْلَةُ العِلْمِ النَّافِعِ، والعَمَلِ الصَّالِحِ ... فَحَرَامٌ عَلَى شَادِي العِلْمِ أنْ يَتَبَصَّرَ عِلْمًا دُوْنَها، أو يَتَسَنَّنَ عَمَلاً غَيْرَها!

ومَهْمَا يَكُنْ؛ فَهَذِه شَذَرَاتٌ سَلَفِيَّةٌ تُنَبِّؤُكَ بِمَا وَرَاءها، فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ، واشْدُدْ عَلَيْها المِئْزَرَ؛ فإنَّ مِثْلَها تُعْقَدُ عَلَيْها الأَنَامِلُ، واللهُ حَسْبِيَ وهُوَ نِعْمَ الوَكِيْلُ!

***

* ومِنْ هَذِه الكُتُبِ (لا كُلِّها) :

١ـ كُتُبُ الحَافِظِ الإِمَامِ الحُجَّةِ شَيْخِ المُفَسِّرِيْنَ أبي جَعْفَر مُحَمَّدِ بنِ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيِّ (٣١٠) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «**جَامِعُ البَيَانِ عَنْ تَأوِيْلِ القُرْآنِ**»، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ، و«**تَارِيْخُ الأُمَمِ والمُلُوْكِ**» تَحْقِيْقُ مُحَمَّدِ أبي الفَضْلِ إبْرَاهِيْمَ .

٢ـ كُتُبُ حَافِظِ المَغْرِبِ ابنِ عَبْدِ البَرِّ (٤٦٣) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «التَّمْهِيْدُ»، تَحْقِيْقُ مَجْمُوْعَةٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ، وبإشْرَافِ وتَحْقِيْقِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ، و«الاسْتِيْعَابُ في مَعْرِفَةِ الأصْحَابِ» تَحْقِيْقُ عَادِلِ مُرْشِدٍ.

٣ـ كُتُبُ حَافِظِ المَشْرِقِ الخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ (٤٦٣) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُهُ «الكِفَايةُ في مَعْرِفَةِ أُصُوْلِ عِلْمِ الرِّوَايَةِ»، تَحْقِيْقُ إبْرَاهِيْمَ الدِّمْيَاطِيِّ، وكَذَا «تَارِيْخُ دَارِ السَّلامِ» تَحْقِيْقُ بَشَّار مَعْرُوْفٍ.

٤ـ كُتُبُ الحَافِظِ الفَقِيْه ابنِ قُدَامَةَ (٦٢٠) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «المُغْنِي» تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ، والشَّيْخِ عَبْدِ الفَتَّاحِ الحُلْوِ رَحِمَهُ اللهُ، و«الكَافِي»، تَحْقِيْقُ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ، و«رَوْضَةُ النَّاظِرِ» تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ الكَرِيْمِ النَّمْلَةِ.

٥ـ كُتُبُ الحَافِظِ الفَقِيْه النَّوَوِيِّ (٦٧٦) رحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «المَجْمُوْعُ»، و«شَرْحُ صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»، و«رِيَاضُ الصَّالِحِيْنَ» تَحْقِيْقُ عَلِيٍّ الحَلَبِيِّ.

٦ـ كُتُبُ الحَافِظِ الذَّهَبِيِّ (٧٤٨) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «سِيَرُ أعْلامِ النُّبَلاءِ» تَحْقِيْقُ شُعَيْبٍ الأرْنَاؤُوطِ وجَمَاعَةٍ، و«تَارِيْخُ الإسْلامِ» تَحْقِيْقُ بَشَّار مَعْرُوْفٍ.

٧ـ كُتُبُ الحَافِظِ ابنِ كثيرٍ (٧٧٤) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «التَّفْسِيْرُ» تَحْقِيْقُ سَامِي السَّلامَةَ، و«البِدَايَةُ والنِّهَايَةُ» تَحْقِيْقُ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ .

٨ـ كُتُبُ الحَافِظِ ابنِ رجبٍ (٧٩٥) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «فَتْحُ البَارِي شَرْحُ صَحِيْحِ البُخَارِي» تَحْقِيْقُ طَارِقِ بنِ عوضٍ، و«ذَيْلُ الطَّبَقَاتِ» تَحْقِيْقُ شَيْخِنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ العُثَيْمِيْنِ ، و«جَامِعُ العُلُوْمِ والحِكَمِ» تَحْقِيْقُ شُعَيْبٍ الأَرْنَاؤُوطِ، وعَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ .

٩ـ كُتُبُ الحَافِظِ ابنِ حَجَرٍ (٨٥٢) رَحِمَهُ اللهُ لاسِيَّما كِتَابُه «فَتْحُ البَارِي شَرْحُ صَحِيْحِ البُخَارِي»، تَحْقِيْقُ أبي قُتَيْبَةَ نَظْرِ الفَارِيَابِيِّ، و«التَّلْخِيْصُ الحَبِيْرُ» تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الثَّانِي بنِ عُمَرَ، و«تَهْذِيْبُ التَّهْذِيْبِ» .

١٠ـ كُتُبُ أبي الفَضْلِ جَلالِ الدِّيْنِ السُّيُوطِيِّ (٩١١) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «الدُّرُّ المَنْثُوْرُ في التَّفْسِيْرِ بالمَأْثُوْرِ» تَحْقِيْقُ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِيِّ ، و«الإتْقَانُ في عُلُوْمِ القُرْآنِ» تَحْقِيْقُ مَرْكَزِ الدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ بمَجْمَعِ المَدِيْنَةِ لطِبَاعَةِ المُصْحَفِ، و«تَدْرِيْبُ الرَّاوِيِّ»، تَحْقِيْقُ طَارِقِ بنِ عَوَضٍ .

١١ـ كُتُبُ الحَافِظِ الشَّوْكَانِيِّ (١٢٥٠) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «فَتْحُ القَدِيْرِ» تَحْقِيْقُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عُمَيْرَةَ، و«نَيْلُ الأَوْطَارِ» تَحْقِيْقُ طَارِقِ بنِ عَوَضٍ .

١٢ـ كُتُبُ الإمَامِ الصَّنْعَانِيِّ (١١٨٢) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «سُبُلُ السَّلامِ» تَحْقِيْقُ طَارِقِ بنِ عوضٍ.

١٣ـ كُتُبُ العَلامَةِ الحَافِظِ الأصُوْلِي الشِّنْقِيْطِيِّ (١٣٩٣) رَحِمَهُ اللهُ، لاسِيَّما كِتَابُه «أضْوَاءُ البَيَانِ» طَبْعَةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ[1].

ومِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ؛ فَعَلَيْكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ باقْتِنَاءِ وقِرَاءةِ جَمِيْعِ كُتُبِ أئِمَّةِ الدِّيْنِ الرَّبَّانِيِّيْنَ أهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ:

وأخُصُّ مِنْهُم: شَيْخَ الإسْلامِ العَالِمَ الرَّبَّانِيَّ فَارِسَ المَنْقُوْلِ والمَعْقُوْلِ أبَا العَبَّاسِ أحمَدَ ابنَ تَيْمِيَّةَ[2] رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى (٧٢٨).

وكَذَا تَلْمِيْذَه البَارَ الإمَامَ الحَافِظَ الهُمَامَ شَمْسَ الدِّيْنِ أبا عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدَ

---

(١) تَنْبِيْهٌ: لَقَدْ خَرَجَتْ آثَارُ الشَّيْخِ العَلامَةِ مُحَمَّدِ الأمِيْنِ الشِّنْقِيْطِيِّ كَامِلَةً ولله الحَمْدُ، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِها، تَحْتَ إشْرَافِ الشَّيْخِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ اللهِ أبُو زَيْدٍ، إصْدَارُ وطِبَاعَةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ، حَيْثُ خَرَجَتْ في تِسْعَةَ عَشَرَ مُجَلَّدٍ، فَدُوْنَكَ اقْتِنَاءَهَا!

(٢) تَنْبِيْهٌ: لَقَدْ خَرَجَتْ بَعْضُ آثَارِ شَيْخِ الإسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ومَا لحِقَهَا مِنْ أعْمَالٍ في مَجْمُوعَاتٍ، وسَتَخْرُجُ تِبَاعًا كَامِلَةً إنْ شَاءَ اللهُ، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِها، تَحْتَ إشْرَافِ الشَّيْخِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ اللهِ أبُو زَيْدٍ، إصْدَارُ وطِبَاعَةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ، ولله الحَمْدُ، فَدُوْنَكَ اقْتِنَاءَهَا!

ابنَ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ[١] رَحِمَهُ الله تَعَالى (٧٥١) .

وكَذَا الإمَامَ المُجَدِّدَ مُحَمَّدَ بنَ عَبْدِ الوَهَّابِ[٢] رَحِمَهُ الله (١٢٠٦) .

* * *

* وكَذا كُتُبُ شَيْخِنا العَلامَةِ عَبْدِ العَزِيْزِ ابنِ بازٍ، وشَيْخِنا العَلامَةِ مُحَمَّدٍ الصَّالِحِ العُثَيْمِيْنِ ، وشَيْخِنا العَلامَةِ عَبْدِ الله البَسَّامِ ، ومُحَدِّثِ الشَّامِ العَلامَةِ مُحَمَّدِ بنِ نَاصِرِ الدِّيْنِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى .

* وكَذَا كُتُبُ شَيْخِنا العَلامَةِ عَبْدِ الله بنِ عَقِيْلٍ، وشَيْخِنا العَلامَةِ عَبْدِ الله الجِبْرِيْنِ، وشَيْخِنا العَلامَةِ صَالِحِ الفَوْزَانِ، وشَيْخِنا العَلامَةِ بَكْرٍ أَبُو

---

(١) تَنْبِيْهٌ : لَقَدْ خَرَجَتْ بَعْضُ آثَارِ الإمَامِ ابنِ قيِّمِ الجَوزِيَّةِ ومَا لحِقَهَا مِنْ أعْمَالٍ في مَجْمُوعَاتٍ، وسَتَخْرُجُ تِبَاعًا كَامِلَةً إنْ شَاءَ اللهُ، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِهَا، تَحْتَ إشْرَافِ الشَّيْخِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ الله أَبُو زَيْدٍ، إصْدَارُ وطِبَاعَةُ دَارِ عَالَمِ الفَوَائِدِ، ولله الحَمْدُ، فَدُوْنَكَ اقْتِنَاءَهَا!

(٢) تَنْبِيْهٌ : لَقَدْ طُبِعَتْ كُتُبُ شَيْخِ الإسْلامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ كَامِلَةً في أحَدَ عَشَرَةَ مُجَلَّدًا، تَحْتَ عُنْوَانِ : «مُؤَلَّفَاتِ الشَّيْخِ الإمَامِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ»، مَعَ تَحْقِيْقٍ عِلْمِيٍّ لأكْثَرِها، تَحْتَ إشْرَافِ جَامِعَةِ الإمَامِ مُحَمَّدِ بنِ سُعُودٍ الإسْلامِيَّةِ، ولله الحَمْدُ، فَدُوْنَكَ اقْتِنَاءَهَا!

زَيْدٍ، حَفِظَهُمُ اللهُ تَعَالَى في غَيْرِهِم مِنْ أَهْلِ العِلْمِ الكِبَارِ مِمَّنْ لا يَسَعُهُم هَذا المَقَامُ .

* * *

* **العَزِيْمَةُ الثَّانِيَةُ** : إِنَّنَا نُوْصِي طَالِبَ العِلْمِ المُبْتَدِئ والمُنْتَهِي عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ؛ بأَنْ يَكُوْنَ لَهُ (وِرْدٌ عِلْمِيٌّ) في كُلِّ سَنَةٍ أو سَنَتَيْنِ عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيْرٍ وأَضْعَفِ حَالٍ، وذَلِكَ بِدَوَامِ النَّظَرِ والقِرَاءةِ لبَعْضِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي لا يَسَعُ طَالِبُ العِلْمِ أنْ يَجْهَلَهَا أو يَتَجَاهَلَهَا، لاسِيَّما مِمَّنْ تَصَدَّرَ للفَتْوَى والتَّعْلِيْمِ، ورَامَ التَّأْلِيْفَ والتَّحْقِيْقَ ...!

فَدُونَكَهَا؛ كُتُبًا عِلْمِيَّةً، وكُنُوْزًا عَلَيَّةً، فاصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَيْهَا، ولا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهَا، فمِنْهَا المُبْتَدَى وإِلَيْهَا المُنْتَهَى بَعْدَ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وكُتُبِ سَلَفِ الأُمَّةِ المُحَقِّقِيْنَ :

* قِرَاءةُ «**القُرْآنِ الكَرِيْمِ**»، أو مُرَاجَعَةُ حِفْظِهِ (مِرَارًا) .

* قِرَاءةُ «**الصَّحِيْحَيْنِ**»، أو مُرَاجَعَةُ حِفْظِهِما .

* قِرَاءةُ «**بُلُوْغِ المَرَامِ**» لابنِ حَجَرٍ، تَحْقِيْقُ سَمِيْرِ الزُّهَيْرِيِّ، أو مُرَاجَعَةُ حِفْظِهِ .

* قِرَاءةُ «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» لابنِ تَيْمِيَّةَ .

* قِرَاءةُ «فَتْحِ المَجِيْدِ»، لعَبْدِ الرَّحْمَنِ آلِ الشَّيْخِ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ الوَلِيْدِ آلِ فُرَيَّانَ .

* قِرَاءةُ «شَرْحِ العَقِيْدَةِ الطَّحَاوِيَّـةِ» لابـنِ أبِي العِـزِّ، تَحْقِيْـقُ التُّرْكِـيِّ والأرَناؤوطِ .

* قِـرَاءةُ «تَفْسِيْرِ القُرْآنِ العَظِيْمِ» لابـنِ كَثِـيْرٍ، تَحْقِيْـقُ الشَّيْخِ سَـامِي السَّلامَةِ.

* قِرَاءةُ «المُغْنِي» لابنِ قُدَامَةَ المَقْدِسِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللهِ التُّرْكِـيِّ، والشَّيْخِ عَبْدِ الفَتَّاحِ الحُلْوِ رَحِمَهُ اللهُ .

* قِرَاءةُ «زَادِ المَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ العِبَادِ» لابنِ القَيِّمِ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخَيْنِ عَبْدِ القَادِرِ الأرْنَاؤُوْطِ، وشُعَيْبِ الأرْنَاؤُوْطِ .

* قِرَاءةُ «رَوْضَةِ النَّاظِرِ وجُنَّةِ المُنَاظِرِ» لابـنِ قُدَامَـةِ المَقْـدَسِيِّ الحَنْـبَلِيِّ، تَحْقِيْقُ عَبْدِ الكَرِيْمِ النَّمْلَةِ، و«مَعَالِمِ أصُوْلِ الفِقْهِ» للشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الجِيْزَانِيِّ .

* قِرَاءةُ «تَدْرِيْبِ الرَّاوِيِّ» للسِّيُوْطِيِّ، تَحْقِيْقُ الشَّيْخِ أبي مُعَـاذٍ طَـارِقِ بنِ عَوَضٍ .

* قِـرَاءةُ «سَبِيْلِ الهُدَى بتَحْقِيْقِ شَرْحِ قَطْرِ النَّدَى وبَلِّ الصَّدَى» لمُحَمَّـدِ مُحْيِ الدِّيْنِ عَبْدِ الحَمِيْدِ، أو «الدُّرَرِ البهيَّةِ شَرْحِ مُتَمِّمَةِ الآجُرُّومِيَّةِ»[1] لرَاقِمِه .

* * *

* العَزِيْمَةُ الثَّالِثَةُ : فإنَّنَا نُوْصِي عَامَّةَ المُسْلِمِيْنَ مِنْ غَيْرِ طُـلابِ العِلْـمِ الشَّرْعِيِّ مِمَّنْ لا يَعْلَمُوْنَ كَثِيْرًا مِنْ مَعَالِمِ وحَقَائِقِ الدِّيْنِ[2]، بأنْ يَأخُـذُوا بِهَـذِه العَزِيْمَةِ الأخَوِيَّةِ .

ومَا ذَاكَ إلاَّ أنَّ أعْدَاءَ الدِّيْنِ لَمْ يَزَالُوا يَنْفِثُوْنَ سُمُوْمَ أفْكَارِهِم، ويَبْسِطُوْنَ ألْسِنَتَهُم في عَقِيْدَةِ وأخْلاقِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ .

---

(١) نَعَمْ؛ إنَّ اشْتِهارَ كِتَابِ «قَطْرِ النَّدَى»، وعُلُوَّ كَعْبِ صَاحِبِه لا يَشْفَعُ لَهُ مِـنْ بعـضِ المُؤاخَذَاتِ العِلْمِيَّةِ؛ لاسِيَّما في التَّقْسِيْماتِ العَقْليـةِ؛ حَيْـثُ أخَـذَتْ مِـنَ المؤَلِّـفِ طَرِيقًا وَاسِعًا في تَرْتِيْبَاتِ مَسَائِلِ النَّحْوِ وتفْرِيعَاتِـه، وكـذا قلَّـةُ أمْثِلتِـه، وهَجْـرِهِ للشَّوَاهِدِ النَّبويَّةِ، وعُمْقِ اخْتِصَارِه؛ ممَّا كَانَ سَببًا في إغْلاقِه عَـلَى كَثِـيرٍ مِـنْ طَلَبَـةِ العِلْمِ في غَيْرِها مِنَ المؤَاخَذَاتِ، واللهُ أعْلَمُ .

(٢) أقْصِدُ بالعَامَّةِ هُنا : مَنْ يُحْسِنُ القِـرَاءةَ والكِتَابَـةَ مَـعْ فَهْـمٍ صَـحِيْحٍ : كالمُـشْتَغِلِيْنَ بالعُلُوْمِ الطَّبِيْعِيَّةِ، والرِّياضِيَّةِ، والفَلَكِيَّةِ، كالطبِّ، والهَنْدَسَةِ وغَيْرِها، وكَذَا أهْـلُ المِهَنِ والحِرَفِ والصِّنَاعَاتِ .

لاسِيَّما أَنَّنا نَعِيْشُ أَيَّامًا حَالِكَةً مُهْلِكَةً؛ حَيْثُ ظَهَرَ فيها الجَهْـلُ، وقَـلَّ العِلْمُ، ونَدَّ الحَقُّ، وعَلا البَاطِلُ، وكَثُرَ الخَبَثُ ...!

لأَجْلِ هَذا وغَيْرِه؛ فَقَدْ حَقَّتِ النَّصِيْحَةُ الإِيْمَانِيَّةُ بـأَنْ تَـشْمَلَ العَامَّـةَ مِنَ المُسْلِمِيْنَ، وذَلِكَ بِرَسْمِ قَاعِـدَةٍ عِلْمِيَّـةٍ عَامَّـةٍ يَـشْتَرِكُ فيهـا الجَمِيْـعُ، مِمَّـا سَتَكُوْنُ إِنْ شَاءَ اللهُ عَوْنًا لعُمُوْمِ المُسْلِمِيْنَ لَفَهْمِ دِيْـنِهِم، وحِـصْنًا مَنِيْعًـا مِـنْ عَادِيَةِ الأَفْكَارِ المَشْبُوْهَةِ، والثَّقَافَاتِ الدَّخِيْلَةِ السَّائِمَةِ في قَنَوَاتِ الإِعْلامِ هُنَـا وهُنَاكَ .

وذَلِكَ مِنْ خِلالِ بَعْضِ الكُتُبِ الإِسْلامِيَّةِ، الَّتِـي نَـرَى مِـنَ الأَهَمِيَّـةِ بِمَكَانٍ قِرَاءتَها، واقْتِنَاءهَا لَدَى جَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ لاسِيَّما هَذِه الأَيَّامَ العَصِيْبَةَ .

فَمِنْ تِلْكَ الكُتُبِ مَا يَلِي :

١ـ قِرَاءةُ «**القَوْلِ السَّدِيْدِ في مَقَاصِدِ التَّوْحِيْـدِ**» للـشَّيْخِ عَبْـدِ الـرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ، تَحْقِيْقُ صَبْرِي شَاهِيْنَ .

٢ـ قِرَاءةُ «**عَقِيْدَةِ التَّوْحِيْدِ**» للشَّيْخِ صَالِحِ الفَوْزَانِ، طَبْعةُ العَاصِمَةِ .

٣ـ قِرَاءةُ تَفْسِيْرِ «**زُبْدَةِ التَّفْسِيْرِ**» للشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الأَشْقَرِ، طَبْعةُ دَارِ النَّفَائِسِ أو «**تَيْسِيْرِ الكَرِيْمِ الرَّحْمَنِ**» للشَّيخِ العَلامَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ .

٤ـ قِرَاءةُ «**الرَّحِيْقِ المَخْتُوْمِ**» للشَّيْخِ صَفي الـرَّحْمَنِ المُبَـارَكْفُوْرِيِّ، مَـعَ مَلْحُوْظَةِ : أنْ تَكُوْنَ القِرَاءةُ مِنْ نَسَبِ النَّبِيِّ ﷺ، وأسْرَتِه .

٥ـ قِرَاءةُ المُجَلَّدِ الأوَّلِ مِنْ كِتَـابِ «**المُلَخَّصِ الفِقْهِيِّ**» للـشَّيْخِ صَـالِحِ الفَوْزَانِ، وهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ رُبْعِ العِبَادَاتِ، طَبْعَةُ دَارِ العَاصِمَةِ .

٦ـ قِرَاءةُ «**رِيَاضِ الصَّالِحِيْنَ**» للإمَامِ النَّوَوِيِّ، تَحْقِيْقُ عَـلِيِّ بـنِ حَـسَنَ الحَلَبِيِّ .

٧ـ قِرَاءةُ «**تَزْكِيَةِ النُّفُوْسِ**» لأحْمَدَ فَرِيْدٍ، وآخَرِيْنَ .

٨ـ قِرَاءةُ «**حِصْنِ المُسْلِمِ**» للشَّيْخِ سَـعِيْدِ بـنِ وَهْـفٍ القَحْطَـانِيِّ، مَـعَ مَلْحُوظَةِ: حِفْظِ مَا يُمْكِـنُ حِفْظُـه مِـنَ الأحَادِيْـثِ لاسِـيَّما أذْكَـارُ الـصَّبَاحِ والمَسَاءِ .

* * *

لَطِيْفَةٌ : لَقَدْ اقْتَصَرْنا في هَذِه العَزِيْمَةِ الأخَوِيَّـةِ الـشَّامِلَةِ للعَامَّـةِ مِـنَ المُسْلِمِيْنَ : بثَمَانِيَةِ كُتُبٍ عِلْمِيَّةٍ؛ عَسَاهَا تَكُـوْنَ سَـبَبًا لِـدُخُوْلِنا جَمِيْعًـا مِـنْ أيِّ أبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، اللَّهُمَّ أمِيْنَ!

❑❑❑

البَابُ الرَّابِعُ

العَوَائِقُ والعَلائِقُ

وفيهِ خَمْسُ عَوَائِقَ وعَلائِقَ

العَوَائِقُ والعَلائِقُ

إنَّ العِلْـمَ الـشَّرْعِيَّ، لا يَكُـوْنُ شَرْعِيًّـا مَقْبُـوْلاً إلاَّ إذا خَلُـصَ مِـنَ العَوَائِقِ والعَلائِقِ، وسَلِمَ مِنَ الدَّسَائِسِ والحَوَائِلِ.

فَعِنْدَ ذَلِكَ؛ فلْيَعْلَمِ الجَمِيْعُ: بأنَّ العِلْـمَ الـشَّرْعِيَّ لَـهُ عَوَائِـقُ كَثِـيْرَةٌ تَقْطَعُ السَّيْرَ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ، وتُفْسِدُ عَلَيْه الطَّلَبَ والقَصْدَ، كَمَا أنَّهـا مُحْبِطَـةٌ لصَالِحِ الأعْمَالِ، ومُجْلِبَةٌ للحِرْمَانِ والخُسْرَانِ؛ ومَنْ أحَاطَتْ بِهِ فَقَـدْ أوْبَقَـتْ دِيْنَهُ ودُنْيَاهُ؛ فَنَعُوْذُ باللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، ومِنْ عَمَلٍ لا يُرْفَعُ.

***

ومَهْمَا قِيْلَ؛ فإنَّ العَوَائِقَ كَثِيْرَةٌ لا تَنْتَهِي إلى حَدٍّ ولا عَدٍّ، فمِنْها:

الكِبْرُ، بَطَرُ الحَقِّ، غَمْطُ النَّاسِ، حَسَدُ الأقْرَانِ، الرِّيَاءُ، العُجْبُ، تَزْكِيَةُ الـنَّفْسِ، سُوْءُ الخُلُقِ، العِلْمُ بِلا عَمَلٍ، التَّرَفُ، العَجْزُ والكَسَلُ، سُوْءُ الظَّنِّ، تَصْنِيْفُ النَّاسَ بالظَّنِّ والتَّشَهِّي، غَيْرَةُ الأقْرَانِ، تَلَقِّي العِلْمَ عَنِ المُبْتَدِعَةِ، أخْذُه عَنِ الأصَـاغِرِ، تَتَبُّعُ الرُّخَصِ والشُّذُوْذَاتِ العِلْمِيَّةِ، نَشْرُ أُغْلُوْطَاتِ المَسَائِلِ، حُـبُّ الـشُّهْرَةِ، التَّعَالُمُ، التَّصَدُّرُ قَبْلَ التَّأهُّلِ، التَّنَمُّرُ بالعِلْمِ، تَعْظِـيْمُ عُلُـوْمِ الـدُّنْيَا وألْقَابِهـا، التَّخَصُّصُ (الجَامِعِيُّ)، التَّقْلِيْدُ المَذْهَبِيُّ، التَّعَصُّبُ العِلْمِـيُّ، التَّحَـزُّبُ المَقِيْـتُ، الانْهِزَامُ العِلْمِيُّ (الدَّعَوِيُّ)، رِقُّ الوَظَائِفِ، كَثْرَةُ المِزَاحِ، فُـضُوْلُ المُبَاحَـاتِ،

خَوَارِمُ المُرُوْءة، الإصْرَارُ عَلَى الصَّغَائِرِ، ارْتِكَابُ الكَبَائِرِ، المُجَاهَرَةُ بالمَعَاصِي، حُبُّ الدُّنْيَا، الدُّخُوْلُ عَلَى السَّلاطِيْنِ ... إلخ .

* * *

فأمَّا إنْ سَألْتَ يَا طَالِبَ العِلْمِ عَنْ جَامِعِ الغَوَائِلِ وأصْلِها، فَهُمَا أمْرَانِ (مُرَّانِ)، مَا ابْتُلِي بِهِمَا أحَدٌ إلاَّ هُتِكَ سِتْرُه، وافْتُضِحَ أمْرُه، ورَقَّ دِيْنُه، وحُرِمَ خَيْرُه، (نُعُوْذُ باللهِ مِنْ كُلِّ سُوْءٍ)!

الأوَّلُ : حُبُّ الدُّنْيا .

والثَّاني : الدُّخُوْلُ عَلَى السَّلاطِيْنِ، وهُمَا عَائِقَانِ مُهْلِكَانِ[1] .

يَقُوْلُ النَّبِيُّ ﷺ : «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بأفْسَدَ لَهَا : مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ، والشَّرَفِ لدِيْنِه»[2] أحمَدُ .

فأصْلُ مَحَبَّةِ المَالِ والشَّرَفِ حُبُّ الدُّنْيا، وأصْلُ حُبِّ الدُّنْيا بَلاطُ

---

(١) لَقَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَ العَوَائِقِ (حُبِّ الدُّنْيا، والدُّخُوْلِ عَلَى السَّلاطِيْنِ، وتَعْظِيْمِ العُلُوْمِ الدُّنْيَوِيَّةِ وأَلْقَابِها، والتَّخَصُّصِ الجَامِعِيِّ، وفُضُوْلِ المُبَاحَاتِ) بِشَيْءٍ مِنَ البَسْطِ دُوْنَ سِوَاها؛ وما ذَاكَ إلاَّ أنَّ كَثِيْرًا مِنْ المُنْتَسِبِيْنَ إلى العِلْمِ مِنْ أهْلِ زَمَانِنَا قَدْ تَوَسَّعُوا فيها (فَيَا أسَفَاه)!

(٢) أخْرَجَهُ أحمَدُ (٣/ ٤٥٦)، والتِّرمِذِيُّ (٢٣٧٦)، وهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ .

السَّلاطِيْنِ، وفيها اسْتِحْكَامُ الهُلْكَةِ؛ فَنَعُوْذُ باللهِ مِنَ الهَوَى والدُّنْيَا!

يَقُوْلُ ابنُ وَهْـبٍ رَحِمَـهُ اللهُ : «إنَّ جَمْـعَ المَـالِ وغِـشْيَانَ الـسُّلْطَانِ، لا يُبْقِيَانِ مِنْ حَسَنَاتِ المَرْءِ إلاَّ كَمَا يُبْقِي ذِئْبَانِ جَائِعَانِ سَقَطَا في حَظَارٍ فيه غَـنَمٌ؛ فَبَاتا يَجُوْسَانِ حَتَّى أصْبَحَا»[1] .

* * *

* **فأمَّا العَائِقُ الأوَّلُ** : فَهُوَ حُبُّ الـدُّنْيا وزِيْنَتِهـا، فَهَـذَا (واللهِ!) بَيْـتُ الـدَّاءِ، ونَـامُوْسُ الـسِّفْلَةِ والرَّعَـاعِ، ومَبْلَـغُ رَأسِ عِلْـمِ الخَـالِفِينَ، وسُـوْقُ المُتَعَالِمِيْنَ، فَعِيَاذًا باللهِ مِنْها!

فيَا طَالِبَ العِلْمِ؛ الحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ حُبِّ الـدُّنْيا، «**اللَّهُمَّ لا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أكْبَرَ هَمِّنا، ولا مَبْلَغَ عِلْمِنا**»[2] آمِيْنَ!

فَقَدْ قَـالَ تَعَـالى : ﴿ **ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ** ﴾ [الحديد ٢٠] .

وقَالَ ﷺ : «**إنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُم فيها؛ فَيَنْظُرُ كَيْفَ**

---

(١) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٣٩) .

(٢) أخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٥٠٢) وهُوَ صَحِيْحٌ .

تَعْمَلُوْنَ؟ فاتَّقُوا الدُّنْيا واتَّقُوا النِّسَاءَ، فإنَّ أوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إسْرَائِيْلَ كَانَتْ في النِّسَاءِ»[1] مُسْلِمٌ.

وقَالَ ﷺ: «مَنْ تَعلَّمَ عِلْمًا ممَّا يُبْتَغَى به وَجْهَ اللهِ لا يَتَعلَّمَهُ إلاَّ لِيُصِيْبَ به عَرَضًا مِنَ الدُّنْيا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[2] أحمَدُ، يَعْنِي: رِيْحَهَا.

***

قِيْلَ للإمَامِ أحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ: إنَّ ابنَ المُبَارَكِ قِيْلَ لَهُ: كَيْفَ يُعْرَفُ العَالِمُ الصَّادِقُ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَزْهَد في الدُّنْيا، ويُقْبِلُ عَلَى أمْرِ الآخِرَةِ، فَقَالَ أحْمَدُ: كَذَا يَنْبَغِي أنْ يَكُوْنَ، وكَانَ أحْمَدُ يُنْكِرُ عَلَى أهْلِ العِلْمِ حُبَّ الدُّنْيا، والحِرَصَ عَلَيْها!»[3].

***

قَالَ الإمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «لا عَيْبَ في العُلَمَاءِ أقْبَحُ مِنْ رَغْبَتِهم

---

(١) أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٧٤٢).

(٢) أخْرَجَهُ أحْمَدُ (٢/ ٣٣٨)، وأبُو دَاوُدَ (٣٦٦٤)، وابنُ مَاجَه (٢٥٢) وهُوَ حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ.

(٣) انْظُرْ «شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ في طَلَبِ العِلْمِ» لابنِ رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ «مَجْمُوْعِ رَسَائِلِ ابنِ رَجَبٍ» جَمْعُ أبِي مُصْعَبٍ الحَلْوَانِيُّ (١/ ٥٦).

فيمَا زَهَّدَهُم اللهُ فيه! »[١]، أيْ : حُبَّ الدُّنْيَا .

قَالَ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللهُ : «لَكَثِيْرٌ مِنْ عُلَمَائِكِم زِيُّهُ، أشْبَهُ بِزِيِّ كِسْرَى وقَيْصَرَ مِنْهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، إنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَضَعْ لَبِنَةً عَلَى لَبِنَةٍ، ولا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ، ولَكِنْ رُفِعَ لَه عِلْمٌ فَشَمَّرَ إلَيْه»[٢] .

وقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ «إذَا فَسَدَ العُلَمَاءُ؛ فَمَنْ يُصْلِحُهُم؟ وفَسَادُهُم مَيْلُهُم عَلَى الدُّنْيا، وإذَا جَرَّ الطَّبِيْبُ الدَّاءَ إلى نَفْسِه فَكَيْفَ يُدَاوِي غَيْرَه؟!»[٣] .

وقَالَ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللهُ : «إذَا رَأيْتُم العَالِمَ مُحِبًّا لدُنْيَاه؛ فاتَّهِمُوْهُ عَلَى دِيْنِكِم، فإنَّ كُلَّ مُحِبٍّ لشَيْءٍ يَحُوْطُ ما أحَبَّ»[٤]، أمَّا قَوْلُه : «فاتَّهِمُوْهُ عَلَى

---

(١) انْظُرْ «بَيَانَ العِلْمِ الأصِيْلِ» لعَبْدِ الكَرِيْمِ الحُمَيْدِ (٢٦).

(٢) انْظُرْ «أخْلاقَ العُلَمَاءِ» للآجُرِّيِّ (٨٦)، و«الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِيِّ (٨/ ٩٢)، و«سِيَرَ أعْلامِ النُّبَلاءِ» للذَّهَبِيِّ (٨/ ٤٣٤) .

(٣) انْظُرْ «الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِيِّ (٦/ ٣٣٩)، و«جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٧١١،٦٤٣) بِنَحْوِه .

(٤) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٧٠) .

دِيْنِكِم»، أيْ : لا تَأخُذُوا مِنه شَيْئًا مِنْ أمُـوْرِ الـدِّيْنِ، سَـوَاءٌ كَانَـتْ فَتْـوَى أو عِلمًا، لأنَّه مُتَّهَمٌ في دِيْنِه، وقَدْ قِيْـلَ : العِلْـمُ دِيْـنٌ، فـانْظُرُوا عَمَّـنْ تَأخُـذُوْنَ دِيْنكُم، واللهُ أعْلَمُ .

وقَالَ عَبْدُ الله بنُ المُبَارَكِ رَحِمَهُ اللهُ «مِنْ شَرْطِ العَالِمِ أنْ لا تَخْطُـرَ مَحَبَّـةُ الدُّنْيا عَـلَى بَالِـه!، وقِيْـلَ لَـهُ : مَـنْ سِـفْلَةُ النَّـاسِ؟ قَـالَ : الَّـذِيْنَ يَتَعَيَّـشُوْنَ بِدِيْنِهِم!»[1] .

كَانَ يُقَالُ : «أشْرَفُ العُلَمَاءِ مَنْ هَرَبَ بِدِيْنِهِ عَنِ الـدُّنْيا، واسْتَـصْعَبَ قِيَادُهُ عَلَى الهَوَى»[2] .

نَعَمْ؛ فإنَّ طَلَبَ العِلْمِ يَدُلُّ عَلَى الهَرَبِ مِنَ الدُّنْيا، لا عَلَى حُبِّهـا، أمَّـا أهْلُ زَمَانِنا فَشَيْءٌ آخَرُ، فإلى الله المُشْتَكَى، وعَلَيْهِ التُّكْلانُ!

وقَالَ حَسَنُ بنُ صَالِحٍ رَحِمَهُ اللهُ : «إنَّكَ لا تَفْقَهُ حَتَّى لا تُبَالِي في يَدَيْ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيا»[3] .

---

(١) انْظُرْ «الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِيِّ (٨/ ١٧٨) بنَحْوِه .

(٢) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٥٦) .

(٣) السَّابِقُ (١/ ٦٦٠) .

ومَا أبْلَغَ مَا هُنَا!؛ إذْ يَقُوْلُ الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «أخْلاقِ العُلَمَاءِ» (٨٩) : «فإذَا كَانَ يُخَافُ عَلَى العُلَمَاءِ في ذَلِكَ الزَّمَانِ أنْ تَفْتِنَهُم الدُّنْيا!، فَمَا ظَنُّكَ بِه في زَمَانِنَا هَذَا؟ اللهُ المُسْتَعَانُ . مَا أعْظَمَ مَا قَدْ حَلَّ بالعُلَمَاءِ مِنَ الفِتَنِ وَهُم عَنْهُ في غَفْلَةٍ!» انْتَهَى.

قُلْتُ : وَكَأنِّي بالآجُرِّيِّ رَحِمَهُ اللهُ يَصِفُ أكْثَرَ عُلَمَاءِ زَمَانِنا مِمَّنْ فَتَنَتهُمُ الدُّنْيَا بقُصُوْرِهَا ومَرَاكِبِهَا! وهُمْ حَتَّى سَاعَتِي هَذِه مَا بَيْنَ غَفْلَةٍ أو تَغَافُلٍ، وجَهْلٍ أو تَجَاهُلٍ بالفِتَنِ العَاصِفَةِ بالعِبَادِ والبِلادِ، فاللهُ المُسْتَعَانُ!

* * *

* **وأمَّا العَائِقُ الثَّانِي** : فَهُوَ الدُّخُوْلُ عَلَى السَّلاطِيْنِ، وأهْلِ الدُّنْيا، فَهَذَا (واللهِ!) المَوْتُ الأسْوَدُ، والحَوْرُ بَعْدَ الكَوْرِ، إلاَّ مَنْ سَلَّمَهُ اللهُ، وقَلِيْلٌ مَا هُم، فعِيَاذًا باللهِ مِنْه!

فيَا طَالِبَ العِلْمِ؛ الحَذَرَ الحَذَرَ مِنَ الدُّخُوْلِ عَلَى السَّلاطِيْنِ، وأهْلِ الدُّنْيا!

فَقَدْ قَالَ ﷺ : « **مَنْ بَدَا جَفَا، ومَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ، ومَنْ أتَى أبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ، ومَا زَادَ أحَدٌ مِنَ السُّلْطَانِ قُرْبًا إلاَّ ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا**»[1] أحمَدُ .

---

(١) أخْرَجَهُ أحمد (٢/ ٣٧١)، وهُوَ صَحِيْحٌ، انْظُرْ «السِّلْسِلَةَ الصَّحِيْحَةَ» (١٢٧٢) .

وقَالَ ﷺ: «إيَّاكُم وأبْوَابَ السُّلْطَانِ؛ فإنَّه قَدْ أصْبَحَ صَعْبًا هَبُوْطًا»[١]، الدَّيْلَمِيُّ، (هَبُوْطًا: ذُلاًّ).

***

قَالَ أبُو حَازِمٍ رَحِمَهُ اللهُ «لَقَدْ أتَتْ عَلَيْنا بُرْهَةٌ مِنْ دَهْرِنا ومَا عَالِمٌ يَطْلُبُ أمَيْرًا، وكَانَ الرَّجُلُ إذا عَلِمَ اكْتَفَى بالعِلْمِ عَمَّا سِوَاه، فَكَانَ في ذَلِكَ صَلاحٌ للفَرِيْقَيْنِ (للوَالِي والمَوَلَّى عَلَيه)، فَلَمَّا رَأتِ الأمَرَاءُ أنَّ العُلَمَاءَ قَدْ غَشَوْهُم وجَالَسُوْهُم وسَألُوْهُم مَا في أيْدِيْهِم هَانُوا عَلَيْهِم وتَرَكُوا الأخْذَ عَنَهُم والاقْتِبَاسَ مِنْهُم، فَكَانَ ذَلِكَ هَلاكٌ للفَرِيْقَيْنِ»[٢] انْتَهَى.

واجْتَازَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمًا ببَعْضِ القُرَّاءِ عَلَى أبْوَابِ السَّلاطِيْنِ فَقَالَ: «أقْرَحْتُمْ جِبَاهَكُم، وفَرْطَحْتُمْ نِعَالَكُمْ، وجِئْتُمْ بالعِلْمِ تَحْمِلُوْنَه عَلَى رِقَابِكِم إلى أبْوَابِهِم؟ فَزَهِدُوا فيكُم، أمَا إنَّكُم لَوْ جَلَسْتُم في

---

(١) أخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ (١/ ٢/ ٣٤٥)، وابنُ عساكر (١٣/ ٢٣٢)، وقَد صَحَّحَ إسْنادَه الألْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيْحَةِ» (١٢٥٣).

(٢) انْظُرْ «الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ (٣/ ٢٤٣) و«شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ» لابنِ رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ «مَجْمُوْعِ رَسَائِلِ ابنِ رَجَبٍ» جَمْعُ أبي مُصْعَبٍ الحَلْوَانِيُّ (١/ ٥٧).

بِبُيُوْتِكِم حَتَّى يَكُوْنُوا هُمُ الَّذِيْنَ يُرْسِلُوْنَ إلَيْكُم؛ لَكَانَ أعْظَمَ لَكُمْ في أعْيُنِهِمْ، تَفَرَّقُوا فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ أضْلاعِكِمُ!»[١] انْتَهَى .

وقَالَ كَعْبُ الأحْبَارِ رَحِمَهُ اللهُ «يُوْشِكُ أنْ تَرَوْا جُهَّالَ النَّاسِ يَتَبَاهَوْنَ بالعِلْمِ، ويَتَغَايَرُوْنَ عَلَى التَّقَدُّمِ بِهِ عِنْدَ الأمَرَاءِ، كَمَا يَتَغَايَرُ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ، فَذَلِكَ حَظُّهُم مِنْ عِلْمِهِم»[٢] .

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «إذَا رَأيْتُم العَالِمَ (القارئ) يَلُوْذُ بِبَابِ السَّلاطِيْنِ فاعْلَمُوا أنَّه لِصٌّ، وإذا رَأيْتُمُوْهُ يَلُوْذُ بِبَابِ الأغْنِيَاءِ فاعْلَمُوا أنَّه مُرَاءٍ»[٣]، وبِمِثْلِهِ قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[٤] .

وقِيْلَ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : «ألاَ تَدْخُلُ عَلَى الأمَرَاءِ فَتَتَحَفَّظُ وتَعِظَهُم وتَنْهَاهُم؟ فَقَالَ : تَأمُرُوْنِي أنْ أسْبَحَ في البَحْرِ ولا تَبْتَلَّ قَدَمَايَ؟ إنِّي

---

(١) انْظُرْ «شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ في طَلَبِ العِلْمِ» لابنِ رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ «مَجْمُوْعِ رَسَائِلِ ابنِ رَجَبٍ» جَمْعُ أبي مُصْعَبٍ الحَلْوَانِيُّ (١/ ٥٧-٥٨) .

(٢) انْظُرْ «الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِيِّ (٥/ ٤١٢) .

(٣) انْظُرْ «الآدَابَ الشَّرْعِيَّةَ» لابنِ مُفْلِحٍ (٢/ ١٥٥) .

(٤) انْظُرْ «الحِلْيَةَ» لأبِي نُعَيْمٍ الأصْبَهَانِيِّ (٦/ ٤٢٨) .

أَخَافُ أَنْ يُرَجِّحُوا بِي فأَمِيْلُ إِلَيْهِم فَيَحْبَطَ عَمَلِي!»[١] انْتَهَى.

ومِنْ دَقِيْقِ الخَوْفِ؛ مَا ذَكَرَهُ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللهُ بقَوْلِهِ: «كُنْتُ قَدْ أُوْتِيْتُ فَهْمَ القُرْآنِ، فلَمَّا قَبِلْتُ الصُّرَّةَ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ؛ سُلِبْتُه، فنَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى المُسَامَحَةَ!»[٢].

ومَا أَجْمَلَ مَا هُنَا؛ وذَلِكَ عِنْدَمَا كَتَبَ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ إِلَى سِعِيْدِ بنِ يَعْقُوْبَ: «أَمَّا بَعْدُ: فإِنَّ الدُّنْيا دَاءٌ، والسُّلْطَانَ دَاءٌ، والعَالِمَ طَبِيْبٌ، فإِذَا رَأَيْتَ الطَّبِيْبَ يَجُرُّ الدَّاءَ إِلَى نَفْسِه فاحْذَرْهُ، والسَّلامُ عَلَيْكَ!»[٣] انْتَهَى.

وقَدْ قِيْلَ: «إِنَّ خَيْرَ الأُمَرَاءِ مَنْ أَحَبَّ العُلَمَاءَ، وإِنَّ شَرَّ العُلَمَاءِ مَنْ أَحَبَّ الأُمَرَاءَ!»[٤].

وحَسْبُكَ أَنَّ هَذَا هُوَ القَانُوْنُ الَّذِي يُوْزَنُ بِه العُلَمَاءُ والأُمَرَاءُ: خَيْرًا وشَرًّا!

---

(١) السَّابِقُ (٧/ ٤٤).

(٢) انْظُرْ «تَذْكِرَةَ السَّامِعِ والمُتَكَلِّمِ» لابنِ جَمَاعَةَ (٤٨).

(٣) انْظُرْ «بَيَانَ العِلْمِ الأَصِيْلِ» لعَبْدِ الكَرِيْمِ الحُمَيْدِ (٢٦).

(٤) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٤٤).

ورَحِمَ اللهُ أبَا الحَسَنِ عَلِيَّ بنَ عَبْدِ العَزِيْزِ الجُرْجَانِيَّ إذْ يَقُوْلُ[١]:

ولَوْ أنَّ أهْلَ العِلْمِ صَانُوْهُ صَانَهُم ... ولَوْ عَظَّمُوْهُ في النُّفُوْسِ لَعُظِّمَا

ولَكِنْ أهَانُوْهُ فَهَانُوا ودَنَّسُوْا ... مُحَيَّاهُ بالأطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

* * *

ومَهْمَا يَكُنْ، فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ يا طَالِبَ العِلْمِ عَلَيْهِم حَسَرَاتٍ؛ فإنَّه لَمَّا مَاتَ شَيْخُ الإسْلامِ وقُدْوَةُ العُلَمَاءِ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: «مَعْشَرَ أهْلِ الهَوى كُلُوا الدُّنْيا بالدِّيْنِ، فَقَدْ مَاتَ سُفْيَانُ!»[٢]، يَعْنِي: مَا بَقِي بَعْدَهُ أحَدٌ يُسْتَحْيَا مِنْه!، قُلْتُ: فإنْ لَمْ يَكُنْ سُفْيَانُ، فاللهُ أحَقُّ أنْ يُسْتَحْيَ مِنْه!

---

(١) لَقَدْ أدْرَكْنا مَشَايِخَنا وهُمْ يَحْفَظُوْنَ قَصِيْدَةَ الجُرْجَانِيِّ كَامِلَةً، ولَمْ يَزَلِ العَهْدُ مُتَّصِلاً فالحَمْدُ لله، فاشْدُدْ يا طَالِبَ العِلْمِ بِحَبْلِ حِفْظِها؛ ففيها صِفَاتُ العَالِمِ الرَّبَّانِيِّ، وفيها حِكَمٌ ومَوَاعِظُ عَزِيْزَةٌ؛ لاسِيَّما هَذِه الأيَّامِ!، انْظُرْها «أدَبُ الدُّنْيا والدِّيْنِ» للمَاوَرْدِيِّ (١٣٢)، و«طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ» للسُّبْكِيِّ (٣/ ٤٦٠) وانْظُرْها كَامِلَةً في «صَفَحَاتٍ مِنْ صَبْرِ العُلَمَاءِ» لأبِي غُدَّةَ (٣٥٢).

(٢) انْظُرْ «شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ في طَلَبِ العِلْمِ» لابنِ رَجَبٍ، (١/ ٥٥).

ولا يَهُوْلَنَّكَ يا طَالِبَ العِلْمِ مَا هُنَالِكَ مِنْ نَوَابِتَ نَكِدَةٍ لَمْ تَزَلْ تَسْعَى جَاهِدَةً في إحْيَاءِ مُخَالَفَةِ مَسَالِكِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ الصَّالِحِ في الدُّخُوْلِ عَلَى السَّلاطِيْنِ والأمَرَاءِ، وذَلِكَ بدَفْعِ طُلابِ العِلْمِ إلى مَرَاتِعِ الشَّهَوَاتِ، ومَهَالِكِ الشُّبُهَاتِ؛ ليَهِيْمُوا في «وَادِي تُضُلِّلَ»، مِمَّا قَدْ تَعْصِفُ بِمَا بَقِيَ مِنْ عِزَّةِ أهْلِ العِلْمِ!

وذَلِكَ مِنْ خِلالِ دَعَوَاتٍ عَرِيْضَةٍ (مَرِيْضَةٍ!)، وتَصَانِيْفَ بَتْرَاءَ دَاعِيَةً مَضَامِيْنُها وعَنَاوِيْنُها إلى الدُّخُوْلِ عَلَى الأمَرَاءِ والسَّلاطِيْنِ، ولَوْ بِشَرْطِ: الأمْرِ بالمَعْرُوْفِ، والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ!، فاحْذَرْ يا طَالِبَ العِلْمِ، وانْجُ بِعِلْمِكَ، وفِرَّ بِدِيْنِكَ فإنَّه رَأسُ مَالِكَ، واعْلَمْ إنَّ هَذَا الشَّرْطَ كَانَ عِنْدَ السَّلَفِ عَزِيْزًا عَسِيْرًا، أمَّا اليَوْمَ فأدْعِيَاءُ الشَّرْطِ كَثِيْرٌ، والعَامِلُوْنَ بِه نَزْرٌ يَسِيْرٌ، لا يَتَجَاوَزُوْنَ أصَابِعَ اليَدِ الوَاحِدَةِ!

***

ويَكْفي هُنَا مَا ذَكَرَه ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ: «فَقَدْ كَانَ كَثِيْرٌ مِنَ السَّلَفِ يَنْهَوْنَ عَنِ الدُّخُوْلِ عَلَى المُلُوْكِ لِمَنْ أرَادَ أمْرَهُم بالمَعْرُوْفِ ونَهْيَهُم عَنِ المُنْكَرِ أيْضًا، ومِمَّنْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ: عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ، وابنُ المُبَارَكِ، والثَّوْرِيُّ، وغَيْرُهُم مِنَ الأئِمَّةِ.

وقَالَ ابنُ المُبَارَكِ : لَيْسَ الآمِرُ النَّاهِي عِنْدَنا مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِم (السَّلاطِيْنِ) فأمَرَهُم ونَهَاهُم، إنَّمَا الآمِرُ النَّاهِي مَنِ اعْتَزَلَهُم!

وسَبَبُ مَا يُخْشَى مِنْ فِتْنَةِ الدُّخُوْلِ عَلَيْهِم، فإنَّ النَّفْسَ قَدْ تُخَيِّلُ للإنْسَانِ إذَا كَانَ بَعِيْدًا أنَّه يَأمُرُهُم ويَنْهاهُم ويُغْلِظُ عَلَيْهِم، فإذَا شَاهَدَهُم قَرِيْبًا مَالَتْ النَّفْسُ إلَيْهِم، لأنَّ مَحَبَّةَ الشَّرَفِ كَامِنَةٌ في النَّفْسِ لَهُ، ولِذَلِكَ يُدَاهِنُهُم ويُلاطِفُهُم، ورُبَّمَا مَالَ إلَيْهِم وأحَبَّهُم، ولاسِيَّمَا إنْ لاطَفُوْه وأكْرَمُوْه، وقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُم، وقَدْ جَرَى ذَلِكَ لعَبْدِ اللهِ بنِ طَاوُوْسٍ مَعَ بَعْضِ الأمَرَاءِ بِحَضْرَةِ أبِيْه طَاوُوْسَ فَوَبَّخَهُ عَلَى فِعْلِ ذَلِكَ .

وكَتَبَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ إلى عَبَّادِ بنِ عَبَّادٍ، وكَانَ في كِتَابِهِ : «إيَّاكَ والأُمَراءَ أنْ تَدْنُو مِنْهُم، أو تُخَالِطَهُم في شَيْءٍ مِنَ الأشْيَاءِ .

وإيَّاكَ أنْ تُخْدَعَ ويُقَالُ لَكَ : لتَشْفَعَ وتَدْرَأ عَنْ مَظْلُوْمٍ أو تَرُدَّ مَظْلَمَةً، فإنَّ ذَلِكَ خَدِيْعَةُ إبْلِيْسَ، وإنَّمَا اتَّخَذَها فُجَّارُ القُرَّاءِ سُلَّمًا، ومَا كُفِيتَ عَنِ المَسْأَلَةِ والفُتْيا فاغْتَنِمْ ذَلِكَ، ولا تُنَافِسْهُم»[1] انْتَهَى .

---

(١) انْظُرْ «شَرْحَ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ في طَلَبِ العِلْمِ» لابنِ رَجَبٍ، وهُوَ ضِمْنُ «مَجْمُوْعِ رَسَائِلِ ابنِ رَجَبٍ» جَمْعُ أبي مُصْعَبٍ الحَلْوَانِيُّ (١/ ٨٦-٨٧) .

وقَالَ سُفْيَانُ أيْضًا : «مَا أخَافُ مِنْ عُقُوْبَتِهم، إنَّما أخَافُ مِنْ كَرَامَتِهم!»[١] .

ولِهَذَا قَالَ الإمَامُ أحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ : «فِتْنَتِي بالمُتَوكِّلِ أعْظَمُ مِنْ فِتْنَتِي بالمُعْتَصِمِ!» يُشِيْرُ إلى الإكْرَامِ[٢] .

ورَحِمَ اللهُ ابنَ عَبْدِ البَرِّ إذْ يَقُوْلُ في «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ» (١/ ٦٤٤) عَنْ مَجَالِسِ أمَرَاءِ العَدْلِ والفَضْلِ: «الفِتْنَةُ فيها أغْلَبُ، والسَّلامَةُ مِنْها تَرْكُ مَا فيها» .

ومَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا؛ مِنْ عَدَمِ الدُّخُوْلِ عَلى السُّلْطَانِ فَلَيْسَ بِدَعًا مِنَ القَوْلِ ولا هُجْرًا، ومَا كَانَ حَدِيْثًا يُفْتَرى؛ بَلْ هُوَ مِنْ جَادَّةٍ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ وأئِمَّةِ الدِّيْنِ، وإنْ كَانَ للدُّخُوْلِ عَلَيْهِم مِنْ حَتْمٍ أو مَنْدُوْحَةٍ عَلى بَعْضِ أهْلِ العِلْمِ؛ فكَما يَلي :

أوَّلاً : أنْ يَكُوْنَ الدُّخُوْلُ عَلَى السُّلْطَانِ مِنْ بَابِ أمْرِهِ بالمَعْرُوْفِ، ونَهيِهِ عَنِ المُنْكَرِ، وإلاَّ .

---

(١) انْظُرْ «الجَلِيْسَ الصَّالِحَ» لسِبْطِ ابنِ الجَوْزِيِّ (٢٠١) .

(٢) انْظُرْ السَّابِقَ .

ثانيًا : أنْ يَكُوْنَ الدُّخُوْلُ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ التَّذْكِيْرِ والمَوْعِظَةِ، وإلاَّ .

ثالثًا : أنْ يَكُوْنَ الدُّخُوْلُ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ إجَابَةِ دَعْوَةِ السُّلْطَانِ، وذَلِكَ فيما لَوْ أمَرَهُ وَلِيُّ الأمْرِ بالدُّخُوْلِ والمَجِيءِ، وإلاَّ حَسْبُكَ!

فإنَّا وإيَّاكَ؛ لَنْ نَنْسَ «**ومَنْ أتَى أبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُتِنَ**»، و«**إيَّاكُم وأبْوَابَ السُّلْطَانِ؛ فإنَّه قَدْ أصْبَحَ صَعْبًا هَبُوْطًا**»، «وإيَّاكَ أنْ تُخْدَعَ فإنَّ ذَلِكَ خَدِيْعَةُ إبْلِيْسِ»، و«السُّلْطَانُ دَاءٌ، والعَالِمُ طَبِيْبٌ، فإذَا رَأيْتَ الطَّبِيْبَ يَجُرُّ الدَّاءَ إلى نَفْسِه فاحْذَرْهُ»، فاحْذَرَ أنْ يُرَحِّبُوا بِكَ فَتَمِيْلَ إلَيْهِم مَيْلاً عَظِيْمًا، والسَّلامُ عَلَيْكَ يا طَالِبَ العِلْمِ والعزَّةِ!

***

* **أمَّا العَائِقُ الثَّالِثُ** : أنْ تَحْذَرَ يَا طَالِبَ العِلْمِ مِنَ الاشْتِغَالِ والنَّظَرِ في دَرَكَاتِ الهُوْنِ والدُّوْنِ، مِنْ عُلُوْمِ أهْلِ زَمَانِنَا، ومَا هُمْ فيه مِنْ شَارَاتٍ وضْعِيَّةٍ[1]، وألْقَابٍ جَوْفَاءَ، مَا أنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ أو بُرْهَانٍ، اللَّهُمَّ هَوَىً وظُنُوْنًا يَتَغَشَّوْنَ بِهَا مَجَالِسَ العِلْمِ، ليَسْتَبِيْحُوا بِهَا زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيا، إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي!

---

(١) أي : بَعْضُ الأسْمَاءِ العِلْمِيَّةِ الوَافِدَةِ عَلَيْنا : كـ(الدَّكْتُوْرَاه)، و(الماجِسْتِيْر)، و(البَكَلَرْيُوس)، وغَيْرِها .

واعْلَمْ يَا رَعَاكَ اللهُ: إنَّ العِلْمَ مَا جَاءَ عَنِ الكِتَابِ، والسُّنَّةِ، وأصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وهَذَا مَا أجْمَعَ عَلَيْه سَلَفُ الأمَّةِ.

قَالَ الإمَامُ الأوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «العِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أصْحَابِ مُحَمَّدٍ، ومَا لَمْ يَجِيء عَنْهُم فَلَيْسَ بِعِلْمٍ»[1].

* * *

وهَاكَ يا طَالِبَ العِلْمِ هَذِه القَاعِدَةَ السَّلَفيةَ في وِزَانِ عُلُوْمِ السَّلَفِ وعُلُوْمِ الخَلَفِ، وهُوَ مَا ذَكَرَهُ شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِهِ في «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (١٠/ ٦٦٤): «العِلْمُ المَوْرُوْثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فإنَّه هُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ أنْ يُسَمَّى عِلْمًا، وما سِوَاهُ إمَّا أنْ يَكُوْنَ عِلْمًا فَلا يَكُوْنُ نَافِعًا.

وإمَّا أنْ لا يَكُوْنَ عِلْمًا وإنْ سُمِّيَ بِه، ولَئِنْ كَانَ عِلْمًا نَافِعًا فَلابُدَّ أنْ يَكُوْنَ في مِيْرَاثِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَا يُغْنِي عَنْه مِمَّا هُوَ مِثْلُه وخَيْرٌ مِنْه!».

وقَالَ أيْضًا رَحِمَهُ اللهُ في أهَمِيَّةِ مُخَالَفَةِ أعْمَالِ الكُفَّارِ؛ ولَوْ كَانَ فِيْهِ إتْقَانٌ، مَا ذَكَرَهُ في «اقْتِضَاءِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ» (١/ ١٧٢): «فإذَا المُخَالَفَةُ

---

(١) انْظُرْ «جَامِعَ بَيَانِ العِلْمِ» لابْنِ عَبْدِ البَرِّ (١/ ٦٤٤)، و«البِدَايَةَ والنِّهَايَةَ» لابنِ كَثِيْرٍ (١٠/ ١١٧).

لَهُم (أيْ : مُخَالَفةُ الكُفَّارِ) فيها مَنْفَعَةٌ وصَلاحٌ لَنا في كُلِّ أمُوْرِنا؛ حَتَّى مَا هُم عَلَيْه مِنْ اتْقَانِ بَعْضِ أمُوْرِ دُنْيَاهُم؛ قَدْ يَكُوْنُ مُضِرًا بأمْرِ الآخِرَةِ، أو بِمَا هُوَ أهَمُّ مِنْهُ مِنْ أمْرِ الدُّنْيَا، فالمُخَالَفَةُ فيه صَلاحٌ لَنَا» .

* * *

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، ويَنْقُصُ العِلْمُ، وتَظْهَرُ الفِتَنُ، ويَكْثُرُ الهَرْجُ، قِيْلَ يَا رَسُوْلَ اللهِ : أيْمُ هُوَ؟ قَالَ : القَتْلُ القَتْلُ»[1] البُخَارِيُّ .

وفي هَذَا الحَدِيْثِ نُكْتَةٌ عِلْمِيَّةٌ نَفيسَةٌ ذَكَرَها الإمامُ الحَافِظُ أبُو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللهُ بِقَوْلِه في «مُقَدِّمَةِ المَجْرُوْحِيْنِ» (١٢) : «في هَذَا الخَبَرِ دَلِيْلٌ عَلَى أنَّ مَا لَمْ يَنْقُصْ مِنَ العِلْمِ لَيْسَ بعِلْمِ الدِّيْنِ في الحَقِيْقَةِ!

وفيه دَلِيْلٌ عَلَى أنَّ ضِدَّ العِلْمِ يَزِيْدُ، وكُلَّ شَيْءٍ زَادَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مَرْجِعُه إلى الكِتَابِ والسُّنَّةِ فَهُوَ ضِدُّ العِلْمِ» انْتَهَى .

* * *

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ يُرِدِ اللهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّيْنِ»[2] مُتَّفَقٌ عَلَيْه.

ومِنه نَعْلَمُ قَطْعًا؛ أنَّ كُلَّ عِلْمٍ لَمْ يَكُنْ مِنَ الدِّيْنِ فَلَيْسَ بِفِقْهٍ ، ومَنِ اشْتَغَلَ

---

(١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٦٩٠) وغَيْرُه .

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١/ ٢٧)، ومُسْلِمٌ (٣/ ٩٥) .

بغَيْرِه فَلَيْسَ مِمَّنْ أرَادَ اللهُ بِه خَيْرًا أصَالَةً لا حِوالَةً[١]!

***

وعَلَيْه؛ فاعْلَمْ إنَّ هَذِه العُلُوْمَ الطَّبِيْعِيَّةَ وغَيْرَها مِمَّا هِيَ مِنْ عُلُوْمِ الدُّنْيا (الطَّبِيْعَيَّةَ، الهَيْئَةَ، الرِّياضِيَّةَ، الهَنْدَسَةَ، الطِّبَّ وغَيْرَها)[٢] الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَزْدَادُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ؛ بأنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ بِشَيْءٍ، كَمَا أنَّه لا يَضُرُّ الجَهْلُ بِها، ولا يَنْفَعُ العِلْمُ بِها، بَلْ هِي عُلُوْمٌ دِنْيَوِيَّةٌ؛ المَقْصُوْدُ مِنْهَا عِمَارَةُ الدُّنْيا!

يَقُوْلُ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ في «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (٢٧/ ٣٩٤):

«لَكِنَّ المَقْصُوْدَ أنْ يُعْرَفَ أنَّ الصَّحَابَةَ خَيْرُ القُرُوْنِ، وأفْضَلُ الخَلْقِ بَعْدَ الأنْبِيَاءِ!

فَمَا ظَهَرَ (مِنَ العُلُوْمِ) فيمَنْ بَعْدَهُم مِمَّنْ يَظُنُّ أنَّها فَضِيْلَةٌ للمُتَأخِّرِيْنَ، ولَمْ تَكُنْ فيهِم فإنَّها مِنَ الشَّيْطَانِ، وهِي نَقِيْصَةٌ لا فَضِيْلَةٌ سَوَاءٌ كَانَتْ مِنْ

---

(١) لأنَّ الخَيْرَ يَكُوْنُ في العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ أصَالَةً، وفي غَيْرِه مِنَ عُلُوْمِ الدُّنْيا يَكُوْنُ تِبَاعًا!

(٢) لَقَدْ تَكَلَّمْتُ عَنْ: «عِلْمِ الطِّبِّ، وعِلْمِ الاجْتِمَاعِ، والإعْجَازِ العِلْمِيِّ»، بِشَيءٍ مِنَ البَسْطِ والتَّحْرِيْرِ، وبَيَّنْتُ كَثِيرًا مِنْ أخطَائِها العِلْمِيَّةِ، وآثَارِها العِمَلِيَّةِ، وحَذَّرْتُ مِنَ الجَرْيِ وَرَاءَهَا والانْبِهَارِ بِها إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ذَكَرْتُه هُنَاكَ، وأسْألُ اللهَ أنْ يُيَسِّرَ إخْرَاجَها قَرِيْبًا!

جِنْسِ العُلُوْمِ، أو مِنْ جِنْسِ العِبَادَاتِ، أو مِنْ جِنْسِ الخَوَارِقِ والآيَاتِ، أو مِنْ جِنْسِ السِّيَاسَةِ والمُلْكِ؛ بَلْ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَهُم أَتْبَعَهُم لَهُم» .

وقَالَ أَيْضًا رَحِمَهُ اللهُ في «المَجْمُوْعِ» (٩/ ١٢٦) في مَعْرَضِ رَدِّه عَلَى أَرْبَابِ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ، لاسِيَّما أَرْبَابُ الفَلْسَفَةِ مِنْهُم :«فإنَّ عِلْمَ الحِسَابِ الَّذِي هُوَ عِلْمٌ بالكَمِّ المُنْفَصِلِ، والهَنْدَسَةِ الَّتِي هِيَ عِلْمٌ بالكَمِّ المُتَّصِلِ عِلْمٌ يَقِيْنِيٌّ لا يَحْتَمِلُ النَّقِيْضَ البَتَّةَ : مِثْلُ جَمْعِ الأَعْدَادِ وقِسْمَتِها وضَرْبِها، ونِسْبَةِ بَعْضِها إلى بَعْضٍ ... والمَقْصُوْدُ أنَّ هَذا العِلْمَ الَّذِي تَقُوْمُ عَلَيْه بَرَاهِيْنُ صَادِقَةٌ لَكِنْ لا تَكْمُلُ بِذَلِكَ نَفْسٌ، ولا تَنْجُو مِنْ عَذَابٍ، ولا تُنَالُ بِه سَعَادَةٌ» انْتَهى .

***

يَقُوْلُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في بَيَانِ أنواعِ العُلُوْمِ، مَا جَاءَ في كِتَابِه «الفَوَائِدِ» (١٦٠) : «نَوْعٌ تَكْمُلُ النَّفْسُ بإدْرَاكِهِ والعِلْمِ بِه، وهُوَ العِلْمُ باللهِ وأَسْمَائِه وصِفَاتِه وأَفْعَالِه وكُتُبِه وأَمْرِه ونَهْيِه .

ونَوْعٌ لا يَحْصُلُ للنَّفْسِ بِه كَمَالٌ : وهُوَ كُلُّ عِلْمٍ لا يَضُرُّ الجَهْلُ بِه، فإنَّه لا يَنْفَعُ العِلْمُ بِها في الآخِرَةِ .

وكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَعِيْذُ بـالله مِـنْ عِلْـمٍ لا يَنْفَـعُ، وهَـذَا حَـالُ أكْثَـرِ العُلُوْمِ الصَّحِيْحَةِ المُطَابِقَةِ الَّتِي لا يَـضُرُّ الجَهْـلُ بِهـا شَـيْئًا: كـالعِلْمِ بالفَلَـكِ ودَقَائِقِه ودَرَجَاتِه، وعَدَدِ الكَوَاكِبِ ومَقَادِيْرِها، والعِلْمِ بعَدَدِ الجِبَالِ وأَلْوَانِها ومَسَاحَتِها، ونَحْـوِ ذَلِـكَ، فَـشَرَفُ العِلْـمِ بِحَـسَبِ شَرَفِ مَعْلُوْمِـه، وشِـدَّةِ الحَاجَةِ إلَيْه، ولَيْسَ ذَاكَ إلاَّ العِلْمُ بالله وتَوَابِعِ ذَلِكَ» انْتَهَى .

* * *

وقَالَ أيْضًا في مَعْرَضِ الرَّدِّ عَلَى عُلَمَاءِ الفَلْسَفَةِ، مَا ذَكَـرَهُ في «مِفْتَـاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ١٢٢) : «وإمَّا عِلْمٌ طَبِيْعِيٌّ صَحِيْحٌ غَايتُه مَعْرِفَةُ العَنَاصِرِ، وبَعْضِ خَوَاصِهَا وطَبَائِعَها، ومَعْرِفَةُ بَعْضِ مَا يَتَرَكَّبُ مِنْها، ومَا يَسْتَحِيْلُ مِنَ المُوْجِبَاتِ إلَيْها، وبَعْضِ مَا يَقَعُ في العَالَمِ مِنَ الآثارِ بامْتِزَاجِها واخْتِلاطِها ... وأيُّ كَمَالٍ للنَّفْسِ في هَذِا؟ وأيُّ سَعَادَةٍ

لَهَا فيه؟!» انْتَهَى .

وقَالَ أيْضًا في مَعْرَضِ الرَّدِّ عَلَى أهْلِ الطِّبِّ، مَـا بَيَّنَـهُ في «مِفْتَـاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (٢/ ٣١٨-٣١٩) بِقَوْلِهِ : «وحَاجَـةُ النَّـاسِ إلى الـشَّرِيْعَةِ ضَرُوْرَةٌ فَوْقَ حَاجَتِهم إلى أيِّ شَيءٍ، ولا نِسْبَةَ لحاجَتِهم إلى عِلْمِ الطِّبِّ إلَيْها، ألاَ تَرَى

أكْثَرَ العَالِمِ، يَعِيْشُوْنَ بغَيْرِ طَبِيْبٍ؟ ولا يَكُوْنُ الطَّبِيْبُ إلاَّ في المُدُنِ الجَامِعَةِ، وأمَّا أهْلُ البَدْوِ كُلُّهُم، وأهْلُ الكَفُوْرِ (القَرْيَةِ الصَّغِيْرَةِ) كُلُّهُم، وعَامَّةُ بَنِي آدَمَ، فَلا يَحْتَاجُوْنَ إلى طَبِيْبٍ، وهُمْ أصَحُّ أبْدَانًا وأقْوَى طَبِيْعَةً مِمَّنْ هُوَ مُتَقَيِّدٌ بالطَّبِيْبِ، ولَعَلَّ أعْمَارَهُم مُتَقَارِبَةٌ ... إلخ .

وأمَّا مَا يُقَدَّرُ عِنْدَ عَدَمِ الشَّرِيْعَةِ ففَسَادُ الرُّوْحِ والقَلْبِ جُمْلَةً، وهَلاكُ الأبَدِ، وشَتَّانَ بَيْنَ هَذَا وهَلاكِ البَدَنِ بالموتِ : فَلَيْسَ النَّاسُ قَطُّ إلى شَيءٍ أحْوَجَ مِنْهُم إلى مَعْرِفَةِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُوْلُ ﷺ، والقِيَامِ بِهِ، والدَّعْوَةِ إلَيْهِ، والصَّبْرِ عَلَيْهِ، وجِهَادِ مَنْ خَرَجَ عَنْه حَتَّى يَرْجِعَ إلَيْهِ، ولَيْسَ للعَالَمِ صَلاحٌ بِدُوْنَ ذَلِكَ البَتَّةَ» انْتَهَى .

***

وهَذَا الذَّهَبِيُّ رَحِمَه اللهُ أيْضًا نَجِدُه يُعِيْبُ عِلْمَ النَّحْوِ الَّذِي هُوَ أفْضَلُ وأكْمَلُ مِنْ عُلُوْمِ (القَوْمِ!) لاسِيَّما إذَا خَرَجَ عَنْ حَدِّه المَقْصُوْدِ، وذَلِكَ بِقَوْلِه في كِتَابِهِ «زَغَلِ العِلْمِ» (٣٩) : «النَّحْوِيُّوْنَ لا بَأسَ بِهِم، وعِلْمُهُم حَسَنٌ مُحْتَاجٌ إلَيْه، لَكِنَّ النَّحْوِيَّ إذا أمْعَنَ في العَرَبِيَّةِ، وعَرِيَ عَنْ عِلْمِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ بَقِيَ فَارِغًا بَطَّالاً لَعَّابًا، ولا يَسْأَلُه اللهُ والحَالَةُ هَذِه عَنْ عِلْمِه في الآخِرَةِ؛ بَلْ هُوَ كَصِنْعَةٍ مِنَ الصَّنَائِعِ : كالطِّبِّ والحِسَابِ، والهَنْدَسَةِ لا

يُثَابُ عَلَيْها، ولا يُعَاقَبُ إذَا لَمْ يَتكَبَّرْ عَلَى النَّاسِ، ولا يتَحَامَقْ عَلَيْهم، واتَّقَى اللهَ تَعَالَى، وتَوَاضَعْ وَصَانَ نَفْسَهُ» انْتَهَى .

* * *

فعَلَيْكَ أخِي طَالِبَ العِلْمِ بمَا قَالَه ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ في «بَيَانِ فَضْلِ عِلْمِ السَّلَفِ» (٦٨) : «وفي كَلامِهِم (السَّلَفِ) كِفَايَةٌ وزِيَادَةٌ، فَلا يُوْجَدُ في كَلامِ مَنْ بَعْدِهِم مِنْ حَقٍّ إلاَّ وهُوَ في كَلامِهِم مَوْجُوْدٌ بأوْجَزِ لَفْظٍ، وأخْصَرِ عِبَارَةٍ، ولا يُوْجَدُ في كَلامِ مَنْ بَعْدِهِم مِنْ بَاطِلٍ إلاَّ وفي كَلامِهِم مَا يُبَيِّنُ بُطْلانَه لَمَنْ فَهِمَهُ وتَأمَّلَهُ، ويُوْجَدُ في كَلامِهِم مِنَ المعَاني البَدِيْعَةِ والمآخِذِ الدَّقِيْقَةِ مَا لا يَهْتَدِي إلَيْه مَنْ بَعْدَهُم ولا يَلِمُّ بِهِ، فَمَنْ لم يَأخُذْ العِلْمَ مِنْ كَلامِهِم فَاتَهُ ذَلِكَ الخَيْرُ كُلُّه مَعَ مَا يَقَعُ في كَثِيْرٍ مِنَ البَاطِلِ مُتَابَعَةً لَمَنْ تَأخَّرَ عَنْهُم» انْتَهَى .

* * *

واعْلَمْ يا رَعَاكَ اللهُ، أنَّ العِلْمَ إذا أُطْلِقَ، فإنَّه لا يَصْدُقُ إلاَّ عَلَى العِلْمِ الشَّرْعِيِّ فَضْلاً وكَمَالاً، أجْرًا ومَآلاً، عِزًّا وحَالاً ...!

ومَا سِوَاهُ مِنْ عُلُوْمِ الدُّنْيا؛ فَهِي عُلُوْمٌ مُقَيَّدَةٌ بِمَا تُضَافُ إلَيْه مِنْ : حِرَفٍ ومِهَنٍ وفِكَرٍ ... كعُلُوْمِ الطَّبِيْعَةِ، والفَلَكِ، والهَيْئَةِ، والحِسَابِ،

والصِّنَاعَاتِ، والرِّيَاضِيَّاتِ، والهَنْدَسَةِ، والأَحْيَاءِ، و(الكِيْمِيَاءِ)، و(الفيزِيَاءِ)، و(الجُغْرَافيا)، وعِلْمِ الأَرْضِ (الجُيُوْلُوْجِيا)، وعِلْمِ التِّجَارَةِ، وعِلْمِ السِّيَاسَةِ، وكَذَا حِرَفِ النِّجَارَةِ، والفِلاحَةِ، والصِّنَاعَةِ، والحِيَاكَةِ إلخ .

***

فَعِنْدَ ذَلِكَ؛ كَانَ مِنَ الخَطأ البَيِّنِ رَصْفُ تِلْكَ العَنَاوِيْنِ الرَّابِضَةِ فَوْقَ بَعْضِ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ، والأَطَارِيْحِ الجَامِعِيَّةِ كَقَوْلِهِم : العِلْمُ والإِيْمَانُ، العِلْمُ والإِسْلامُ، الإِيْمَانُ مِحْرَابُ الطِّبِّ، الدِّيْنُ والعِلْمُ التَّجْرِيْبِيُّ، القُرْآنُ والإِعْجَازُ العِلْمِيُّ ... وغَيْرُها مِمَّا هُوَ مِنْ زَبَدِ العُلُوْمِ الدَّخِيْلَةِ، والانْهِزَامِ الجَاثِمِ عَلَى عُقُوْلِ وأَقْلامِ كَثِيْرٍ مِنَ كُتَّابِ المُسْلِمِيْنَ هَذِه الأَيَّامَ!

ومَا ذَاكَ الخَطَأُ الدَّارِجُ هُنَا وهُنَاكَ إلاَّ لِكَوْنِ القَوْمِ قَدْ ظَنُّوا بأَنَّ العِلْمَ شَيْءٌ، والدِّيْنَ شَيْءٌ آخَرَ!

لِذَا نَجِدُهُم يُفَرِّقُوْنَ بَيْنَ الدِّيْنِ والعِلْمِ، ومَا عَلِمُوا أَنَّ الدِّيْنَ الإِسْلامِيَّ هُوَ العِلْمُ، والعِلْمَ دِيْنٌ؛ فانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُوْنَ دِيْنَكُم!

فإِنَّ حَالَ هَذِه العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ؛ بَلْ أَكْثَرِ العُلُوْمِ الصَّحِيْحَةِ المُطَابِقَةِ للعَقْلِ والتَّجْرُبَةِ؛ فإِنَّه لا يَضُرُّ الجَهْلُ بِها شَيْئًا، كَمَا أَنَّه لا يَنْفَعُ العِلْمُ بِها!

لِذَا؛ فلا يَهُوْلَنَّكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ مَا يَتَجَارَى بِهِ أَهْلُ زَمَانِنَا فِي تَسْوِيْقِ هَذِهِ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ، مَعَ زُخْرُفٍ مِنَ الشَّارَاتِ والأَلْقَابِ فِي صُرُوْحِ الجَامِعَاتِ، ومَا يَقْذِفُه الإعْلامُ العَائِمُ فَوْقَ بَرَاكِيْنَ مِنَ الثَّقَافَاتِ الغَرْبِيَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ مُحَاكَاتٌ ومُشَابَهَةٌ لِمُخَلَّفَاتِ الاسْتِعْمَارِ (الدَّمَارِ) الغَرْبِيِّ!

***

ومَهْمَا قِيْلَ؛ فَلَنْ يَتَعَدَّ أَصْحَابُ هَذِهِ العُلُوْمِ الطَّبِيْعِيَّةِ وغَيْرِها (مِمَّا هِيَ مِنْ عُلُوْمِ الدُّنْيا) مَكَانَهُم مِنَ العِلْمِ؛ فَهُم لا يَعْلَمُوْنَ إلاَّ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيا؛ بَلْ هَذَا مَبْلَغُهُم مِنَ العِلْمِ، كَمَا أَنَّها عُلُوْمٌ يَشْتَرِكُ فيها كُلُّ إنْسَانٍ وجَانٍّ (المُؤْمِنُ مِنْهُم والكَافِرُ)!

ومَعَ هَذَا فَلَيْسَ لَهُم فيها مِنَ الأَجْرِ شَيْءٌ، اللَّهُمَّ إلاَّ إذا جَعَلُوا مِنْ هَذِهِ العُلُوْمِ والصِّنَاعَاتِ قُرُباتٍ، بَعْدَ اسْتِحْضَارِ قَصْدٍ ونِيَّاتٍ!

كَنِيَّةِ : التَّعَاوُنِ عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، كَمَا يَنْوِيْهِ النَّجَّارُ والفَلاحُ وغَيْرُهُما مِنْ أَهْلِ الحِرَفِ والمِهَنِ، و«**إنَّمَا الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»[1] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١)، ومُسْلِمٌ (١٩٠٧).

ومَهْمَا يَكُنْ؛ فالأجْرُ والخَيْرُ : في العِلْمِ الشَّرْعِيِّ أصْلٌ وغَايَةٌ، وفي غَيْرِه مِنَ عُلُوْمِ الدُّنْيا طَارِئٌ ووَسِيْلَةٌ!

* * *

وأخِيْرًا؛ فَإنَّنا لا نَقُوْلُ بطَرْحِ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ (الطَّبِيْعِيَّةِ والتَّجْرِيْبِيَّةِ) جُمْلَةً وتَفْصِيْلاً؛ كَلاَّ!

بَلْ للتَّفْصِيْلِ اعْتِبَارٌ ومَأخَذٌ، فالنَّاسُ حَوْلها طَرَفَانِ ووَسَطٌ، كَما يَلي :

الطَّرَفُ الأوَّلُ : مَنْ أفْرَطَ فِيْهَا إفْرَاطًا أخْرَجَهَا مِنْ حَدِّهَا ومَنْزِلَتِهَا إلى التَّقْدِيْسِ والغُلُوِّ؛ فَرَفَعَهَا فَوْقَ غَيْرِها مِنَ العُلُوْمِ، لاسِيَّما العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ، وأهْلُ هَذَا الطَّرَفِ فِيْهِمْ غُلُوٌّ وإسْرَافٌ مَذْمُوْمَانِ!

الطَّرَفُ الثَّاني : مَنْ عِنْدَهُ تَفْرِيْطٌ وتَقْصِيْرٌ فِيْهَا؛ حَتَّى قَطَعَ بَعْضُهُم بحُرْمَتِهَا، ومِنْهُم مَنْ صَرَّحَ بخُلُوِّهَا مِنَ الخَيْرِ والفَائِدَةِ رَأسًا، وأهْلُ هَذَا الطَّرَفِ فِيْهِم تَفْرِيْطٌ وإجْحَافٌ مَذْمُوْمَانِ!

الوَسَطُ : مَنْ قَالَ بأنَّها عُلُوْمٌ مُبَاحَةٌ : فَمِنْهَا مَا هُوَ حَلالٌ مَقْبُوْلٌ، ومِنْهَا مَا هُوَ حَرَامٌ مَرْدُوْدٌ، فَفِيْهَا الخَيْرُ والشَّرُّ كَغَيْرِهَا مِنَ العُلُوْمِ

الدِّنْيَوِيَّةِ، والنَّاسُ إلى الخَيْرِ مِنْهَا في حَاجَةٍ وطَلَبٍ، لاسِيَّما في عِمارَةِ الأرْضِ، وصَلاحِ الدِّيْنِ والدُّنْيَا، فَهِي مِنْ بَابِ الوَسَائِلِ، و«**للوَسَائِلِ أحْكَامُ المَقَاصِدِ**» .

وهُمْ مَعَ هَذَا لا يُخْرِجُوْنَها عَنْ حَدِّهَا وحَجْمِهَا، فَلا يَذْهَبُوْنَ بِها إلى الغُلُوِّ ولا إلى التَّفْرِيْطِ، كَما أنَّهم لا يُسَامُوْنَ بِها العُلُوْمَ الشَّرْعِيَّةَ؛ فَضْلاً عَنْ أفْضَلِيَّتِها، فَلَهَا قَدْرُهَا وتَقْدِيْرُهَا، واللهُ أعْلَمُ .

***

وقد اشْتَرَطَ الإمَامُ الشَّوكَانيُّ رَحِمَهُ الله (١٣٥٠) لتَعَلُّمِ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ شَرْطًا عَزِيْزًا، في كِتَابِه «أدَبِ الطَّلَبِ» (١٢٤) حَيْثُ قَالَ : «ثُمَّ لا بَأسَ عَلى مَنْ رَسَخَ قَدَمُهُ في العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ أنْ يَأخُذَ بطَرَفٍ مِنْ فُنُوْنٍ هِي مِنْ أعْظَمِ مَا يَصْقِلُ الأفْكَارَ، ويُصَفِّي القَرَائِحَ، ويَزِيْدُ القَلْبَ سُرُوْرًا والنَّفْسَ انْشِرَاحًا : كالعِلْمِ الرِّيَاضِيِّ والطَّبِيْعِيِّ، والهَنْدَسَةِ والهَيْئَةِ والطِّبِّ .

وبالجُمْلَةِ فالعِلْمُ بِكُلِّ فَنٍّ خَيْرٌ مِنَ الجَهْلِ بِه بكَثِيْرٍ ولا سِيَّما مَنْ رَشَّحَ نَفْسَهُ للطَّبَقَةِ العَلِيَّةِ والمَنْزِلَةِ الرَّفِيْعَةِ .

ودَعْ عَنْكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنَ التَّشْنِيْعَاتِ ، فإنَّها كَما قَدَّمْنَا لَكَ شُعْبَةٌ مِنَ التَّقْلِيْدِ ، وأنْتَ بَعْدَ العِلْمِ بأيِّ عِلْمٍ مِنَ العُلُوْمِ : حَاكِمٌ عَلَيْهِ بِما قَدْ يَكُوْنُ

لَدِيْكَ مِنَ العِلْمِ، غَيْرَ مَحْكُوْمٍ عَلَيْكَ، واخْتَرْ لنَفْسِكَ مَا يَحْلُو!

ولَيْسَ يُخْشَى عَلى مَنْ قَدْ ثَبَتَ قَدَمُهُ في عِلْمِ الشَّرْعِ مِنْ شَيءٍ، وإنَّما يُخْشَى عَلى مَنْ كَانَ غَيْرَ ثَابِتِ القَدَمِ في عُلُوْمِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فإنَّهُ رُبَّما يَتَزَلْزَلُ وتَحُوْلُ ثِقَتُهُ؛ فإذَا قَدَّمْتَ العِلْمَ بِما قَدَّمْنَا لَكَ مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ فاشْتَغِلْ بِما شِئْتَ، واسْتَكْثِرْ مِنَ الفُنُوْنِ مَا أرَدْتَ وتَبَحَّرْ في الدَّقَائِقِ مَا اسْتَطَعْتَ، وجَاوِبْ مَنْ خَالَفَكَ وعَذَلَكَ وشَنَّعَ عَلَيْكَ، بقَوْلِ القَائِلِ :

أتَانَا أنَّ سَهْلاً ذَمَّ جَهْلاً ... عُلُوْمًا لَيْسَ يَعْرِفُهُنَّ سَهْلُ

عُلُوْمًا لَوْ دَرَاهَا مَا تَلاهَا ... ولكِنَّ الرِّضَى بالجَهْلِ سَهْلُ

إلى آخِرِ كَلامِهِ» .

قُلْتُ : إنَّ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ الإمَامُ الشَّوكَانيُّ فِيْهِ نَظَرٌ بَيِّنٌ؛ حَيْثُ اشْتَرَطَ لتَعَلُّمِ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ شُرُوْطًا لَيْسَتْ في كِتَابٍ ولا سُنَّةٍ، بَلِ الوَاقِعُ يَشْهَدُ بخِلافِ مَا ذَهَبَ إلَيْهِ، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّهُ رَحِمَهُ الله مِمَّنْ يُشَنِّعُ عَلى التَّقْلِيْدِ وأهْلِهِ، ويُحَذِّرُ مِنْهُ مَا أمْكَنَ إلَيْهِ سَبِيْلاً!

فَقَوْلُهُ رَحِمَهُ الله : ثُمَّ لا بَأسَ عَلى مَنْ رَسَخَ قَدَمُهُ في العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ أنْ يَأخُذَ بطَرَفٍ مِنَ العِلْمِ الرِّيَاضِيِّ والطَّبِيْعِيِّ، والهَنْدَسَةِ والهَيْئَةِ والطِّبِّ .

ولَيْسَ يُخْشَى عَلى مَنْ قَدْ ثَبَتَ قَدَمُهُ في عِلْمِ الشَّرْعِ مِنْ شَيءٍ، وإنَّما يُخْشَى عَلى مَنْ كَانَ غَيْرَ ثَابِتِ القَدَمِ في عُلُوْمِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، فإنَّهُ رُبَّما يَتَزَلْزَلُ وتَحُوْلُ ثِقَتُهُ .. إلَخْ!

كُلُّ هَذَا مِنْهُ رَحِمَهُ الله مُنْتَقَدٌ وبَعِيْدٌ، لأمُوْرٍ :

أوَّلاً : لَيْسَ هُنَاكَ دَلِيْلاً شَرْعِيًّا عَلى اشْتِرَاطِ مَنْ رَامَ تَعَلُّمَ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ أنْ يَكُوْنَ رَاسِخًا في العِلْمِ الشَّرْعِيِّ؟

هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ العُلُوْمَ الدِّنْيَوِيَّةَ مِنَ العُلُوْمِ المُبَاحَةِ، والحَالَةُ هَذِه فَهِيَ لا تَحْتَاجُ إلى رُسُوْخٍ في العِلْمِ، بَلْ هِي مِنْ شَأنِ عَامَّةِ النَّاسِ في حَيَاتِهِم الدِّنْيَوِيَّةِ، بَلْ هُنَالِكَ مِنْ آحَادِ العَامَّةِ مَنْ يُحْسِنُ مِنَ العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ مَا لا يُحْسِنُهُ كَثِيْرٌ مِنَ العُلَمَاءِ!

ثَانِيًا : لو أنَّنا لَوْ أخَذْنَا بِما اشْتَرَطَهُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ الله لتَعَطَّلَتْ كَثِيْرٌ مِنْ مَصَالِحِ الدُّنْيَا، وعِمارَةِ الأرْضِ!

ثَالِثًا : لَيْسَ بالضَّرُوْرِي أنَّ كُلَّ مَنْ تَعَلَّمَ العُلُوْمَ الدِّنْيَوِيَّةَ أنْ يَزِلَّ، أو تَتَحَوَّلَ ثِقَتُهُ، لأنَّ دَلِيْلَ الشَّاهِدِ والحَالِ قَاضٍ بهَذَا!

***

إلاَّ أنَّنا مَعَ هَذَا؛ نُحَذِّرُ كُلَّ الحَذَرِ مِنَ النَّظَرِ إلى هَذِه العُلُوْمِ الدِّنْيَوِيَّةِ بعَيْنِ الإفْرَاطِ والانْبِهَارِ، أو الانْصِرَافِ بِها عَنْ تَعَلُّمِ وَاجِبَاتِ الأحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا لا يُعْذَرُ المُسْلِمُ بجَهْلِهَا، وإلاَّ وَقَعْنَا فِيْما حَذَّرَ مِنْهُ الشَّوكَانِيُّ رَحِمَهُ الله، وهُوَ كَذَلِكَ!

* * *

ومِنْ آخِرِ نَحِسَاتِ أدْعِيَاءِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ هَذِه الأيَّام، أنَّ نَابِتَةً مِنْهُم لَمْ تَزَلْ تَنْفُخُ في رَوْعِ شَبَابِ المُسْلِمِيْنَ بَعْضَ العُلُوْمِ التَّجْرِيْبِيَّةِ، الوَافِدَةِ مِنْ مُسْتَنْقَعَاتِ الفِكْرِ الغَرْبِي (الكَافِرِ)، ضَارِبِيْنَ بِعُلُوْمِ وكُتُبِ السَّلَفِ الصَّالِحِ عُرْضَ الحَائِطِ، مُزَاحِمِيْنَ مَا كَانَ عَلَيه المُسْلِمُوْنَ مِنْ الأمْرِ الأوَّلِ : إنَّها العُلُوْمُ الإدَارِيَّةُ، والنَّفْسِيَّةُ (البَرْمَجَةُ العَصَبِيَّةُ اللُّغَوِيَّةُ)، وغَيْرُها!

* * *

فَلَيْتَ شِعْرِي؛ هَلْ نَسِيَ هُؤلاءِ (المُنْهَزِمُوْنَ) أنَّ الأمَّةَ الإسْلامِيَّةَ هَذِه الأيَّامَ في حَالٍ لا يُنَادَى وَلِيْدُها؟ مِنْ جَهْلٍ بِدِيْنِهِم، وتَفَرُّقٍ بَيْنَهُم، وضَعْفٍ لَدَيْهِم...؟! فإنْ كَانُوا عَلَى عِلْمٍ بِهَذا؛ فلِمَاذا هَذِه العُلُوْمُ الدَّخِيْلَةُ الَّتِي تُرَوَّجُ وتُسَوَّقُ بَيْنَ شَبَابِ المُسْلِمِيْنَ؛ حتَّى أخَذَتْ (للأسَفِ!) أخَادِيْدَ في قُلُوْبِ بَعْضِ طُلابِ العِلْمِ؟!

قَالَ تَعَالى : ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة٦١]، وقَالَ تَعَالى : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف١٠٣-١٠٤] .

وقَالَ عَبْدُ الله بنِ مَسْعُوْدٍ رَضِي اللهُ عَنْه : «كَيْفَ أَنْتُم إذا لَبِسَتْكُم فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فيها الكَبِيْرُ، ويَرْبُو فيها الصَّغِيْرُ، ويَتَّخِذُها النَّاسُ سُنَّةً، فإذا غُيِّرَتْ قَالُوا : غُيِّرَتِ السُّنَّةُ!

قَالُوا : ومَتَى ذَلِكَ يا أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قَالَ : إذا كَثُرَتْ قُرَّاؤكُم، وقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُم، وكَثُرَتْ أمَرَاؤُكُم، وقَلَّتْ أُمَنَاؤُكُم، والْتُمِسَتِ الدُّنْيا بعَمَلِ الآخِرَةِ»[1] الدَّارِميُّ والحَاكِمُ .

* * *

فإنِّي أُعِيْذُكَ بالله يا مَنْ تَسْعَى في نَشْرِ هَذِه العُلُوْمِ الدَّخِيْلَةِ الهَجِيْنَةِ في بِلادِ المُسْلِمِيْنَ، مِمَّا يَلِي :

أوَّلاً ـ أنْ يَنَالَكَ نَصِيبٌ مِنْ قَوْلِه ﷺ : «... ومَنْ سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً،

---

(١) أخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ في «مُسْنَدِه» (١٩١)، والحَاكِمُ في «المُسْتَدْرَكِ» (٤/ ٥١٤)، وهُوَ صَحِيْحٌ .

فَعَلَيْه وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ يَعْمَلُ بِها مِنْ غَيْرِ أنْ يَنْقُصَ مِنْ أوْزَارِهِم شَيْئًا»[1] مُسْلِمٌ.

وبَعْدَئِذٍ؛ فَلا تَنْسَ يَا رَعَاكَ اللهُ! مَا فَعَلَه المَأمُوْنُ يَوْمَ عُرِّبَتْ في عَهْدِه عُلُوْمُ اليُوْنانِ، والفَلاسِفَةِ مِنَ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى والهِنْدِ : مِثْلُ الطِّبِّ، والحِسَابِ، والطَّبِيْعَةِ، والهَيْئَةِ، والمَنْطِقِ ... فَلَمَّا دَرَسَها النَّاسُ، وتَنَاقَلُوْها فيمَا بَيْنَهُم؛ ظَهَرَتْ بِسَبَبِها البِدَعُ والأهْوَاءُ، وضَلَّ وابْتَعَدَ النَّاسُ عَنْ عِلْمِ النُّبُوَّةِ ... فعِنْدَها كَانَ الضَّلالُ والانْحِرَافُ، والشَّرُّ الكَبِيْرُ، والفَسَادُ العَرِيْضُ!

* * *

لأجْلِ هَذا؛ كَانَ عَلَيْكَ أنْ تَقِفَ بِخَوْفِكَ عِنْدَ هَذَا العِلْمِ، لاسِيَّما إذَا عَلِمْتَ أنَّ الَّذِيْنَ ضَلُّوا وأضَلُّوا بِهَذِه العُلُوْمِ الوَافِدَةِ وَقْتَئِذٍ : هُمُ مِنَ العُلَمَاءِ!، فَكَيْفَ والحَالَةُ هَذِه إذا عَلِمَ الجَمِيْعُ أنَّ مُعْظَمَ الَّذِيْنَ يَتَجَارَوْنَ وَرَاء هَذِه العُلُوْمِ النَّكِدَةِ، ويَتَقَاطَرُوْنَ عَلَى دَوْرَاتِها : هُمُ الشَّبَابُ مِنْ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ؛ فاللهَ اللهَ فيهِم!

---

(١) أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠١٧).

ثانيًا ـ لا يَخْفَاكَ يَا رَعَاكَ اللهُ؛ أنَّ الأُمَّةَ بعَامَّةٍ تَعِيْشُ هَذِه الأيَّامَ جَهْلاً بدِيْنِها، لِذَا كَانَ الأوْلَى بِنا أنْ نَسْعَى حَثِيْثًا في عَوْدَةِ الأُمَّةِ إلى دِيْنِها أوَّلاً، ثُمَّ إذا كَانَ في الأمْرِ مُتَّسَعٌ فَعِنْدَئِذٍ يَكُوْنُ للكَلامِ في مِثْلِ هَذِه العُلُوْمِ الوَافِدَةِ شَيْءٌ مِنَ البَسْطِ والتَّحْرِيْرِ!

فَكُلُّ يَدٍّ مُدَّتْ إلَى هَذِه العُلُوْمِ الوَافِدَةِ لِتَنْبُشَها بَعْدَ أنْ أُقْبِرَتْ، وأصْبَحَتْ عِظَامًا نَخِرَةً، فَلَيْسَ لَها أنْ تُرَوِّجها بَيْنَ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ، ظنًّا مِنْها أنَّ الأسْمَاعَ في صَمَمٍ، وأنَّ العُيُوْنَ في سُبَاتٍ، وأنَّ الأقْلامَ والأنَامِلَ لا تَجْتَمِعَانِ[1]؟!

***

ثالثًا ـ أَلَمْ يَأْنِ لَنا أنْ تَخْشَعَ قُلُوْبُنا لِمَا يَذْكُرُه أهْلُ هَذِه العُلُوْمِ التَّجْرِيْبِيَّةِ مِنَ الغَرْبِ والشَّرْقِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ؟ فَلَمْ يَزَلْ عُقَلاؤُهُم حتَّى سَاعَتِي هَذِه وهُم يَصِيْحُونَ بِخُطُوْرَةِ هَذِه العُلُوْمِ في غَيْرِ نَدْوَةٍ، أو لِقَاءٍ، أو دَوْرَةٍ تَدْرِيْبِيَّةٍ!

***

---

(١) هُنَاكَ كَثِيْرٌ مِنَ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ الرَّادَةِ عَلَى «البَرْمَجَةِ اللُّغَوِيَّةِ العَصَبِيَّةِ»، فَمِنْها: «البَرْمَجَةُ اللُّغَوِيَّةُ العَصَبِيَّةُ» في طَبْعَتِه الثَّانِيَةِ للأخِ أحْمَدَ الزَّهْرَانِيِّ، وهُو مِنْ أنْفَسِها وأجْوَدِها، وكَذَا «الفِكْرُ العَقَدِيُّ الوَافِدُ ومَنْهَجِيَّةُ التَّعَامُلِ مَعَه» للأخْتِ فُوْزَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّطِيْفِ كُرْدِيٍّ، وهُو عِبَارَةٌ عَنْ مُذَكِّرَةٍ، كما أنَّه بَحْثٌ نَفِيسٌ جَيِّدٌ في بَابِه.

* أمَّا العَائِقُ الرَّابِعُ : فَهُوَ التَّخَصُّصُ (الجَامِعِيُّ!) .

ومَا أدْرَاكَ مَا هُوَ؟ إنَّه مِنَ التَّشَبُّهِ المَقِيْتِ والمَوْرُوْثِ العِلْمِيِّ الوَافِدِ، يَوْمَ قَضَتِ الأقْضِيَةُ في زَمَانِنا؛ بنُبُوْغِ نَوَابِتَ في صُفُوْفِ أهْلِ العِلْمِ قَدْ ألْبَسُوْهُم ثِيَابَ التَّخَصُّصِ، وتَوَّجُوْهُم ألْقَابًا وشَارَاتٍ مُهَلِّلَةً؛ فانْتَفَخُوا في العِلْمِ وهُم خَوَاءٌ، ونَابَذُوا التَّعَالُمَ وهُم سَوَاءٌ، يَوْمَ قَصُرَتْ هِمَمُهُم وبَلَغَتْ عُلُوْمُهُم مِنَ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ جَوَانِبَ ونُتَفًا عِلْمِيَّةً، حَامِلِيْنَ في شَهَادَاتِهِمُ الجَامِعِيَّةِ تَجْزِئَةً وتَقْطِيْعًا لعُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ، وتَغْيِيْبًا لطَائِفَةٍ مِنْها عَنْ أحْكَامِ فِقْهِ الوَاقِعِ، وقَضَايَا الأمَّةِ المَصِيْرِيَّةِ؛ فَلا عِلْمَ بَلَغُوْه، ولا عَمَلَ نَالُوْه، ولا وَاقِعَ فَهِمُوْه!

وإمَّا يَنْزِغَنَّكَ يا طَالِبَ العِلْمِ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الوَافِدِ الغَرْبِيِّ، فاسْتَعِذْ باللهِ السَّمِيْعِ العَلِيْمِ مِنْه، ولا تَطْرُقَنَّ لَه بَابًا فإنَّه مِنْ أبْوَابِ الجُمُوْدِ العِلْمِيِّ!

حَيْثُ جَاءَ بتَدَسُّسٍ إلى أمَّتِي بثِيَابِ التَّشْوِيْهِ العِلْمِيِّ لِيَلْتَبِطَ بِخُطَاهُ في مَسَارِحِ الجَامِعَاتِ الإسْلامِيَّةِ؛ لِيُفْسِدَ حَرْثَ مَا بَقِيَ مِنَ العِلْمِ الشَّامِلِ، ويَهْلِكَ نَسْلَ مَا بَقِيَ مِنَ العَمَلِ الكَامِلِ .

* * *

واعْلَمْ يَا رَعَاكَ اللهُ أنَّ التَّخَصُّصَ العِلْمِيَّ (الجَامِعِيَّ) قِسْمَانِ : مَحْمُوْدٌ، ومَذْمُوْمٌ .

* **فأمَّا التَّخَصُّصُ المَحْمُوْدُ** : فَهُو مَنْ جَمَعَ صَاحِبُه بَيْنَ القَدْرِ الوَاجِبِ مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ (الغَائِي مِنْها والآلِي)[1]، وبَيْنَ التَّوَسُّعِ والتَّفَنُّنِ في عِلْمٍ مَّا .

وهَذَا؛ هُوَ الَّذِي أُتِيَ صَاحِبُه مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ نَصِيْبٌ وَافِرٌ تَبْرَأ بِه الذِّمَّةُ ويَسْقُطُ بِه الطَّلَبُ، مَعَ تَخَصُّصٍ وتَفَنُّنٍ في أحَدِ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ .

فَتَرَاهُ إذا كَانَ فَقِيْهًا (مَثَلاً) : قَدْ أخَذَ مِنْ عُلُوْمِ الغَايَةِ والآلَةِ : القَدْرَ الوَاجِبَ الَّذِي يُسَاعِدُه عَلَى فَهْمِ دِيْنِه بعَامَّةٍ، وبالفِقْهِ بِخَاصَّةٍ، إلاَّ أنَّه مَعَ هَذَا قَدْ اجْتَهَدَ في فَنِّ الفِقْهِ، وبَرَّزَ فيه؛ حَتَّى عُرِفَ بِهِ ولُقِّبَ باسْمِه .

..... فَقِسْ عَلَى قَوْلِي تَكُنْ عَلامةً!

فعِنْدَهَا؛ كَانَ التَّحْصِيْلُ العِلْمِيُّ عِنْدَ السَّلَفِ يَأْخُذُ بعُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ جُمْلَةً وتَفْصِيْلاً، مَعَ تَفَاضُلٍ ونُبُوْغٍ في فَنٍّ دُوْنَ آخَرَ، فَهُمْ لا

---

(١) عُلُوْمُ الغَايَةِ مِثْلُ : العَقِيْدَةِ، والحَدِيْثِ، والفِقْهِ، والتَّفْسِيْرِ . وعُلُوْمُ الآلَةِ مِثْلُ : النَّحْوِ، واللُّغَةِ، وأُصُوْلِ الفِقْهِ، ومُصْطَلَحِ الحَدِيْثِ، والمَنْطِقِ ... إلخ .

يَقْبَلُوْنَ في مَعَالِمَ وقَوَاعِدَ وأُسُسِ عُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ نَصْيبًا دَانِيًا، ولا تَفَاضُلاً شَائِنًا، بَلْ تَرَاهُمْ قَدْ أَخَذُوا مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ القَدْرَ الوَاجِبَ (الغَائِي مِنْها والآلِي)، مَعَ تَوَسُّعٍ في بَعْضِها، أو كُلِّها لاسِيَّما المُجْتَهِدونَ مِنْهُم .

ومِنْه تَعْلَمُ قَوْلَ المُتَقَدِّمِيْنَ : فُلانٌ أُصُوْلِيٌّ، فَقِيْهٌ، نَحْوِيٌّ، لُغَوِيٌّ، مُفَسِّرٌ، مُحَدِّثٌ، قَارِئٌ، مُشَارِكٌ [1] ... إلَخْ.

* * *

* **وأمَّا التَّخَصُّصُ المَذْمُوْمُ** : فَهُوَ مَنْ لَمْ يَجْمَعْ صَاحِبُه بَيْنَ مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا، اللَّهُمَّ إنَّه تَوَسَّعَ وتَفَنَّنَ في عِلْمٍ مَّا (الغَائِي مِنْها أو الآلِي)، دُوْنَ غَيْرِه مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ .

فَتَرَاهُ إذا كَانَ فَقِيْهًا (مَثَلاً) : لَمْ يَأْخُذْ مِنْ عُلُوْمِ الآلَةِ، وعُلُوْمِ الغَايَةِ : القَدْرَ الوَاجِبَ الَّذِي يُسَاعِدُه عَلَى فَهْمِ دِيْنِه بِعَامَّةٍ، وبالفِقْهِ بِخَاصَّةٍ؛ بَلْ غَايَةُ مَا عِنْدَه أنَّه يُحْسِنُ مَسَائِلَ الفِقْهِ!

---

(١) أيْ : أنَّه قَدْ أَخَذَ مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ الحَدَّ الأدْنَى ممَّا يَسْقُطُ به وَاجِبُ العِلْمِ؛ بحَيْثُ أصْبَحَ عِنْدَه شُمُوْلِيَّةٌ في العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ، ومَعَ هَذا تَجِدُه قَدْ بَرَّزَ وظَهَرَ واشْتَهَرَ في فَنٍّ أو أكْثَرَ، فَعِنْدَئِذٍ يُلَقَّبُ عِنْدَ أهْلِ العِلْمِ بأشْهَرِها مِنْ فُنُوْنِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ : كالفَقِيْهِ، أو الأُصُوْلِي، أو النَّحْوِي، أو المفَسِّرِ، أو المُحَدِّثِ، وهَكَذَا .

ومِنْه تَعْلَمُ قَوْلَ المُتَأخِّرِيْنَ : فُلانٌ أُصُوْلِيٌّ، فَقِيْهٌ، مُحَدِّثٌ، نَحْوِيٌّ، مُفَسِّرٌ، قَارِئٌ، دَعَوِيٌّ، وَاعِظٌ ... إلخ، فَعِنْدَ ذَلِكَ كَانَ كَلامِي هُنَا عَنْ أصْحَابِ هَذَا التَّخَصُّصِ، فَكُنْ عَلَى ذُكْرٍ!

***

ومِنْ بَعْدُ؛ فإنَّ أصْحَابَ التَّخَصُّصِ العِلْمِيِّ (المَذْمُوْمِ) لَمْ يَنْفَكُّوا عَنْ أخْطَاءَ شَرْعِيَّةٍ وآثَارٍ سَيِّئَةٍ؛ قَدْ دَفَعَتِ الأمَّةَ الإسْلامِيَّةَ (لاسِيَّما هَذِه الأيَّامَ) إلى مَفَاوِزَ مُهْلِكَةٍ، ومَزَالِقَ عِلْمِيَّةٍ، يَكْفي بَعْضُها لِمَسْخِ مَا بَقِيَ مِنْ تُرَاثِ أمَّتِنا الإسْلامِيَّةِ، فمِنْ ذَلِكَ :

أوَّلاً : أنَّ التَّخَصُّصَ العِلْمِيَّ الحَادِثَ بِقِسْمَيْهِ (الغَائِي والآلِي)، كَمَا هُوَ جَارٍ في خِطَّةِ تَعْلِيْمِ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ الآنَ؛ قَدْ أخَذَ مُنْحىً خَطِيْرًا في تَقْطِيْعِ أوَاصِرِ التَّرَابُطِ بَيْنَ عُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ، وتَقْسِيْمِها إلى أجْزَاءَ عِلْمِيَّةٍ ومُتَفَرِّقَاتٍ مُتَنَاثِرَةٍ هُنَا وهُنَاكَ؛ لا يَجْمَعُها جَامِعٌ بَتَّةً؛ فَعِنْدَها كَانَ الأثَرُ السَّيِّئُ عَلَى الحَيَاةِ العِلْمِيَّةِ والأحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لَدَى طُلابِ العِلْمِ هَذِه الأيَّامَ .

يُوَضِّحُهُ؛ أنَّه لَمَّا أزِفَتِ الآزِفَةُ، وأقْبَلَتِ الفِتَنُ في مَسَارِبَ مُهْلِكَةٍ، مُنْقَادَةً لتُعِيْدَها حَرْبًا صَلِيْبِيَّةً يَهُوْدِيَّةً عَلَى الإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ في بِلادِ فِلِسْطِيْنَ وأفْغَانِسْتَانَ والعِرَاقِ وغَيْرِها، وكَذَا مَا هُنَاكَ مِنْ هُجُوْمٍ سَافِرٍ عَلَى أخْلاقِ

المُسْلِمِيْنَ، ومَنَاهِجِهِم الشَّرْعِيَّةِ، إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قَضَايا الأمَّةِ العَصْرِيَّةِ ... ونَحْنُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ نَزَلْ نَرى كَثِيْرًا مِنْ أرْبَابِ التَّخَصُّصِ يَعْتَذِرُوْنَ عَنْ تَخَاذُلِهِم وتَرَاجُعِهِم عَنْ عَدَمِ المُشَارَكَةِ في الذَّبِّ عَنْ قضايا أمَّتِهِم بِحُجَّةِ النَّزْعَةِ البَائِسَةِ الَّتِي رَاجَتْ في سُوْقِ أهْلِ العِلْمِ باسْمِ : التَّخَصُّصِ العِلْمِيِّ!

يُوَضِّحُه : أنَّ الفَقِيْه مِنْهُم (مَثَلاً) مِمَّنْ لَهُ مُجْمُوْعَةٌ مِنَ التَّآلِيْفِ الفِقْهِيَّةِ، والتَّحْقِيْقَاتِ الجَامِعِيَّةِ الَّتِي نَالَتْ مَرْتَبَةَ الشَّرَفِ ... مَا زَالَ يَعْتَذِرُ عَنِ المُشَارَكَةِ في قَضَايا أمَّتِه الإسْلامِيَّة : بأنَّ مَا يَدُوْرُ هُنَا لَيْسَ مِنْ تَخَصُّصِهِ، وهَذَا مَا نَجِدُه في الأعَمِّ الأغْلَبِ مِنْهُم!

هَذَا إذَا عَلِمْتَ (للأسَفِ) إنَّ أمْثَالَ هَذَا الفَقِيْهِ مِنْ أهْلِ زَمَانِنا قَدْ تَجَاوَزَتْ أعْدَادُهُم المِئَاتِ .

وقِسْ عَلَى هَذَا : صَاحِبَ العَقِيْدَةِ، والتَّفْسِيْرِ والحَدِيْثِ، واللُّغَةِ وغَيْرِهِم .

***

ومَهْمَا يَكُنْ ؛ فَلا تَعْجَبْ يَا طَالِبَ العِلْمِ إذَا عَلِمْتَ أنَّ القَوْمَ كَانُوا صَرْعَى التَّخَصُّصَاتِ العِلْمِيَّةِ، ونَتَاجَ الوَافِدِ الغَرْبِيِّ، واللهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا يَصِفُوْنَ!

كَمَا كَانَ مِنْ آخِرِ سَوَالِبِ التَّخَصُّصِ الجَامِعِيِّ هَذِه الشَّارَاتُ والأَلْقَابُ (الجَامِعِيَّةُ!)[1]؛ الَّتِي دَفَعَتْ طَائِفَةً مِنَ المُنْتَسِبِيْنَ إِلى قَبِيْلِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ، مِمَّنْ تَشَاغَلُوا بِهَذِه الأَسْمَاءِ، وانْسَاقُوا جَرْيًا وَرَاءها السِّنِيْنَ الخَوَالِيا، إلى دُخُوْلاتِ العَطَالَةِ المُغَلَّفَةِ باسْمِ : (الحَصَانَةِ الجَامِعِيَّةِ)، فَماذَا كَانَ؟!

وَيَكْأَنَّ القَوْمَ؛ لَمْ يَنْصُرُوا حَقًّا، ولَمْ يَكْسِرُوْا بَاطِلاً : فَلا أَمْرًا بِمَعْرُوْفٍ ولا نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، ولا جِهَادًا ولا اجْتِهَادًا؛ بَلْ رَأَيْنا مِنْ بَعْضِهِم مَنْ كَانَ مُجِدًّا في الطَّلَبِ والطَّاعَةِ؛ حَتَّى إذا أَوْحَى إِلَيْه شَيَاطِيْنُ الإِنْسِ والجِنِّ بأَهَمِّيَةِ هَذِه الشَّارَاتِ والأَلْقَابِ ... إذا بِهِ يُصْبِحُ فَاتِرَ العَزِيْمَةِ، ذَابِلَ الطَّاعَةِ، قَلِيْلَ الاجْتِهَادِ والمُجَاهَدَةِ؛ أَمَّا إذا سَأَلْتَ عَنْ الزهد وجَلَدِ الطَّاعَةِ، وهَيْبَةِ أَهْلِ العِلْمِ ووَرَعِهِم : فَلا تَسْأَلْ؟ فتِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، إلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي، وقَلِيْلٌ مَا هُم!

وهَكَذَا حَتَّى أَصْبَحَ أَهْلُ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ في هَامِشِ الذَّاكِرَةِ الإِعْلامِيَّةِ، وفي زَوَايا الجَامِعَاتِ العِلْمِيَّةِ، وذَلِكَ (للأَسَفِ) باسْمِ : التَّخَصُّصِ الجَامِعِيِّ!

***

(١) كـ(الدَّكْتُوْرَاه)، و(الماجِسْتِيْر)، و(البَكَلَرْيُوس)، وغَيْرِها .

ثانيًا : اعْلَمْ أنَّ فَهْمَ عُلُوْمِ الآلَةِ عَلَى قِسْمَيْنِ :

القِسْمُ الأوَّلُ : فَهْمٌ وَاجِبٌ، وهُوَ مَا يَسْقُطُ بِه الطَّلَبُ وتَبْرَأُ بِه الذِّمَّةُ، وهُوَ القَدْرُ الَّذِي يَشْتَرِكُ فيهِ عَامَّةُ أهْلِ العِلْمِ، وهَذَا القِسْمُ لا يَجُوْزُ لطَالِبِ العِلْمِ القُصُوْرُ فيه ... كما أنَّه سِلاحُ طُلابِ العِلْمِ في التَّعَامُلِ مَعَ كُتُبِ أهْلِ العِلْمِ الفِقْهِيَّةِ مِنْهَا والعَقِيْدَةِ والحَدِيْثِ والتَّفْسِيْرِ وغَيْرِها؛ فبِهَذا القَدْرِ مِنْها يَسْتَطِيْعُ مَعْرِفَةَ لُغَةِ واصْطِلاحِ القَوْمِ في فُنُوْنِهِم، ومَا زَادَ عَلَى هَذا الحَدِّ فَهُو فُضْلَةٌ لا يَحْتَاجُه إلاَّ مَنْ رَامَ مَرَاتِبَ الاجْتِهَادِ!

القِسْمُ الثَّانِي : فَهْمٌ مُسْتَحَبٌّ، وهُو الإحَاطَةُ بَغَالِبِ عُلُوْمِ الآلَةِ المُخْتَصَرَاتِ مِنْها والمُطَوَّلاتِ؛ بِحَيْثُ لا يَتْرُكُ مِنْها شَارِدَةً ولا وَارِدَةً إلاَّ وَقَدْ أحَاطَ بِها في الجُمْلَةِ، وهَذا القِسْمُ في حَقِيْقَتِه هُوَ مِنْ مَسَالِكِ طُلابِ مَنَازِلِ الاجْتِهَادِ، مِمَّنْ عَلَتْ هِمَّتُهُم وتَاقَتْ نُفُوْسُهُم لِيَقِفُوا في مَصَافِ أئِمَّةِ الاجْتِهَادِ، كالأئِمَّةِ الأرْبَعَةِ وغَيْرِهِم .

* * *

يَقُوْلُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَه اللهُ فيمَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ والكَلامِ عَنْه، مَا ذَكَرَهُ في كِتَابِهِ «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ» (١/ ٤٨٥) : «ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُوْلُ : إنَّ عُلُوْمَ

العَرَبِيَّةِ مِنَ التَّصْرِيْفِ، والنَّحْوِ، واللُّغَةِ، والمَعَاني، والبَيَانِ، ونَحْوِها تَعَلُّمُها فَرْضُ كِفَايَةٍ لِتَوَقُّفِ فَهْمِ كَلامِ اللهِ ورَسُوْلِه عَلَيْها؟!

ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُوْلُ: تَعَلُّمُ أُصُوْلِ الفِقْهِ فَرْضُ كِفَايَةٍ؛ لأَنَّه العِلْمُ الَّذِي يُعْرَفُ به الدَّلِيْلُ ومَرْتَبَتُه، وكَيْفيةُ الاسْتِدَلالِ؟!

ثُمَّ قَالَ رَحِمَه اللهُ: إنَّ الفَرْضَ الَّذِي يَعُمُّ وُجُوْبُه كُلَّ أحَدٍ: هُوَ عِلْمُ الإيْمانِ وشَرَائِعِ الإسْلامِ، فَهَذا هُوَ الوَاجِبُ، وأمَّا مَا عَدَاهُ فإنْ تَوَقَّفَتْ مَعْرِفَتُه عَلَيْه فَهُو مِنْ بَابِ مَا لا يَتِمُّ الوَاجِبُ إلاَّ بِه، ويَكُوْنُ الوَاجِبُ مِنْه القَدْرَ المُوْصِلَ إلَيْه دُوْنَ المَسَائِلِ الَّتِي هِيَ فَضْلَةٌ لا يَفْتَقِرُ مَعْرِفَةُ الخِطَابِ وفَهْمُه إلَيْها.

فَلا يُطْلَقُ القَوْلُ بأنَّ عِلْمَ العَرَبِيَّةِ وَاجِبٌ عَلى الإطْلاقِ؛ إذْ الكَثِيْرُ مِنْه، ومِنْ مَسَائِلِه وبُحُوْثِه لا يَتَوَقَّفُ فَهْمُ كَلامِ اللهِ ورَسُوْلِه عَلَيْها، وكَذا أُصُوْلُ الفِقْهِ؛ القَدْرُ الَّذِي يَتَوَقَّفُ فَهْمُ الخِطَابِ عَلَيْهِ مِنْه تَجِبُ مَعْرِفَتُه دُوْنَ المَسَائِلِ المُقَرَّرَةِ والأبْحَاثِ الَّتِي هِيَ فَضْلَةٌ؛ فَكَيْفَ يُقَالُ إنَّ تَعَلُّمَها وَاجِبٌ؟!

وبالجُمْلَةِ؛ فالمطْلُوْبُ الوَاجِبُ مِنَ العَبْدِ مِنَ العُلُوْمِ والأعْمالِ مَا إذا تَوَقَّفَ عَلى شَيءٍ مِنْهَا؛ كَانَ ذَلِكَ الشَّيءُ وَاجِبًا وُجُوْبَ الوَسَائِلِ، ومَعْلُوْمٌ أنَّ

ذَلِكَ التَّوَقُّفَ يَخْتَلِفُ باخْتِلافِ الأشْخَاصِ والأزْمَانِ والألْسِنَةِ والأذْهَانِ، فَلَيْسَ لِذَلِكَ حَدٌّ مُقَدَّرٌ، واللهُ أعْلَمُ» انْتَهَى .

ويَقُوْلُ الإمَامُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَه اللهُ أيضًا في كِتَابِهِ «زَغَلِ العِلْمِ» (٤١) مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ والكَلامِ عَنْه : «أُصُوْلُ الفِقْهِ لا حَاجَةَ لَكَ بِه يَا مُقَلِّدُ، ويَا مَنْ يَزْعُمُ أنَّ الاجْتِهَادَ قَدْ انْقَطَعَ!

ومَا بَقِيَ مُجْتَهِدٌ ولا فَائِدَةَ في أُصُوْلِ الفِقْهِ، إلاَّ أنْ يَصِيْرَ مُحَصِّلُهُ مُجْتَهِدًا بِه، فإذَا عَرَفَه ولَمْ يَفُكَّ تَقْلِيْدَ إمَامِهِ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا؛ بَلْ أتْعَبَ نَفْسَه ورَكَّبَ عَلَى نَفْسِه الحُجَّةَ في مَسَائِلَ، وإنْ كَانَ يَقْرَأُ لِتَحْصِيْلِ الوَظَائِفِ ولِيُقَالَ، فَهَذَا مِنَ الوَبَالِ، وهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الخَبَالِ» انْتَهَى .

***

فانْظُرْ يَا رَعَاكَ اللهُ إلى قَوْلِه :«ومَا بَقِيَ مُجْتَهِدٌ ولا فَائِدَةَ في أُصُوْلِ الفِقْهِ، إلاَّ أنْ يَصِيْرَ مُحَصِّلُهُ مُجْتَهِدًا بِه»، لتَعْلَمَ أنَّ كَثِيْرًا مِنْ أهْلِ التَّخَصُّصِ في أُصُوْلِ الفِقْهِ قَدْ غَالَوْا وكَابَرُوا هَذَا العِلْمَ، وهَمْ مَعَ هَذَا لا يَتَجَاوَزُنَ في قِرَاءاتِهِم كُتُبَ الفِقْهِ المُدَوَّنَةِ، هَذَا إذَا عَلِمْنا أنَّ الاجْتِهَادَ المُطْلَقَ في زَمَانِنا مُنْدَثِرٌ بَيْنَ أهْلِه مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيْدٍ؛ فَلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ!

ومِنْ خِلالِ مَا مَضَى؛ نَسْتَطِيْعُ أنْ نَقِفَ عَلَى بَعْضِ الأخْطَاءِ العِلْمِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ حَصِيْلَةَ المُتَخَصِّصِيْنَ في عُلُوْمِ الآلَةِ باخْتِصَارٍ:

١ـ أنَّ التَّخَصُّصَ والتَّفَنُّنَ في عُلُوْمِ الآلَةِ لا يَكُوْنُ إلاَّ لِمَنْ رَامَ دَرَجَةَ الاجْتِهَادِ، وإلاَّ وَقَعْنَا في حَيْصَ بَيْصَ، وهَذَا لا نَجِدُه عِنْدَ أهْلِ التَّخَصُّصِ مِنْ أهْلِ زَمَانِنا!

٢ـ أنَّ كَثِيْرًا مِنَ المُتَخَصِّصِيْنَ في أُصُوْلِ الفِقْهِ (مَثَلاً) مِنْ أهْلِ مِصْرِنا في هَذِه البِلادِ (حَفِظَهَا اللهُ مِنْ كُلِّ سُوْءٍ) نَرَاهُم لا يَقْرَؤُوْنَ مِنْ كُتُبِ الفِقْهِ غَالِبًا إلاَّ كُتُبَ الفِقْهِ الحَنْبَلِيَّةِ ابْتِدَاءً مِنْ «زَادِ المُسْتَقْنِعِ»، وانْتِهَاءً بـ«المُغْنِي»، ومَهْمَا اتَّسَعَتْ قِرَاءتُهُم لكُتُبِ الفِقْهِ الأُخْرَى، فإنَّهم أبْعَدُ مَا يَكُوْنُوْنَ عَنْ مَرَاتِبِ الاجْتِهَادِ.

***

وهَذَا في حَدِّ ذَاتِه يُعْتَبَرُ تَضْيِيْعًا للأوْقَاتِ، وتَبْدِيْدًا للطَّاقَةِ لَدَى طُلابِ التَّخَصُّصِ؛ حَيْثُ نَجِدُهُم يَسْتَكْثِرُوْنَ مِنْ قِرَاءةِ كُتُبِ «أُصُوْلِ الفِقْهِ» سَوَاءٌ عِنْدَ الأحْنَافِ، أو المَالِكِيَّةِ، أو الشَّافِعِيَّةِ، أو الحَنَابِلَةِ، ورُبَّما جَمَعُوْا بَيْنَهَا، كُلُّ هَذَا (للأسَفِ) عَلَى حِسَابِ الفِقْهِ الشَّرْعِيِّ العَامِّ، والخِلافِ العَالِي!

ثالثًا : إذَا عَلِمْنا أنَّ عُلُوْمَ الغَايَـةِ مِـنْ مَقَاصِـدِ الـشَّرِيْعَةِ، وأنَّ عُلُـوْمَ الآلَةِ مِنْ الوَسَائِلِ، والحَالَةُ هَذِه كَانَ مِنَ الخَطأ البَـيِّنِ، والفَـسَادِ الوَاضِـحِ أنْ نُغَلِّبَ جَانِبَ الوَسَائِلِ عَلَى المَقَاصِدِ، وإلاَّ كنَّا مُغَالِيْنَ مُتكَلِّفينَ!

* * *

ومَا أحْسَنَ مَا ذَكَرَهُ العَلامَةُ ابنُ خُلْدُونٍ رَحِمَهُ اللهُ في كِتَابِهِ «المُقَدِّمـةِ» (١/ ٦٢٢) : «وأمَّا العُلُـوْمُ الَّتِـي هِـيَ آلَـةٌ لِغَيْرِهـا : مِثْـلُ العَرَبِيَّـةِ والمَنْطِـقِ وأمْثَالِهِما؛ فَلا يَنْبَغِي أنْ يُنْظَرَ فيها إلاَّ مِنْ حَيْثُ هِي آلَةٌ لِذَلِكَ الغَيْرِ فَقَطْ، ولا يُوَسَّعُ فيها الكَلامُ، ولا تُفَرَّعُ المَسَائِلُ؛ لأنَّ ذَلِـكَ يُخْـرِجُ بهـا عَـنِ المَقْـصُوْدِ، فكُلَّمَا خَرَجَتْ عَنِ المَقْصُوْدِ، صَارَ الاشْتِغَالُ بِهَـا لَغْـوًا، ورُبَّـمَا يَكُـوْنُ ذَلِـكَ عَائِقًا عَنْ تَحْصِيْلِ العُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذَّاتِ لِطُـوْلِ وَسَـائِلِها؛ مَـعَ أنَّ شَـأنَها أهَمُّ، والعُمُرُ يَقْصُرُ عَنْ تَحْصِيْلِ الجَمِيْعِ عَلَى هَذِه الصُّوْرَةِ، فَيَكُوْنُ الاشْـتِغَالُ بِهَذِه العُلُوْمِ الآلِيَّةِ تَضْيِيْعًا للعُمُرِ وشُغْلاً بِمَا لا يُغْنِي!

وهَذَا كَمَا فَعَلَهُ المُتَأخِّرُوْنَ في صِنَاعَةِ النَّحْوِ، وصِنَاعَةِ المَنْطِـقِ، لا بَـلْ وأُصُوْلِ الفِقْهِ؛ لأنَّهُم أوْسَعُوا دَائِرَةَ الكَلامِ فيها نَقْـلاً واسْـتِدْلالاً، وأكْثَـرُوا مِنَ التَّفَارِيْعِ والمَسَائِلِ بِمَا أخْرَجَها عَـنْ كُوْنِهـا آلَـةً، ورُبَّـما ذَكَـرُوا مَـسَائِلَ لا حَاجَةَ بِها في العُلُوْمِ المَقْصُوْدَةِ بالذَّاتِ، فإذَا قَطَعُوا العُمُرَ في تَحْصِيْلِ الوَسَائِلِ

فَمَتَى يَظْفَرُوْنَ بالمَقَاصِدِ؟ فلِهَذَا يَجِبُ عَلَى المُعَلِّمِيْنَ لِهَذِه العُلُـوْمِ الآلِيَّـةِ أنْ لا يَسْتَبْحِرُوا في شَأنِهَا، ولا يَسْتَكْثِرُوا مِنْ مَسَائِلِها، ويُنَبِّهُ المُتَعَلِّمَ عَـلَى الغَـرَضِ مِنْها» انْتَهَى بتَصَرُّفٍ واخْتِصَارٍ.

***

رَابعًا: أنَّ العُلاقَةَ بَيْنَ عُلُوْمِ الغَايَةِ والآلَةِ عُلاقَةٌ طَرْدِيَّةٌ، لاسِـيَّما مِـنْ جِهَةِ الوَسَائِلِ، فعِنْدَئِذٍ كُلَّمَا ازْدَادَ طَالِبُ العِلْمِ مِنْ عُلُوْمِ الآلَةِ، كَانَ عَلَيْـه أنْ يَزْدَادَ مِنْ عُلُوْمِ الغَايَةِ ضَرُوْرَةً، وإلاَّ كَانَ هَذَا تَنَاقُضًا بَيِّنًا، وخَلَلاً وَاضِحًا في الطَّلَبِ والقَصْدِ.

ومِنْـه نَعْـرِفُ حِيْنَئِـذٍ: الخِنْـثَ العَظِـيْمَ الَّـذِي لَمْ يَـزَلْ يَتَنَاقَلُـهُ أهْـلُ التَّخَصُّصِ العِلْمِيِّ هَذِه الأيَّامِ، يَوْمَ نَرَاهُم لا يَتَقَيَّدُوْنَ بِهَذِه القَاعِدَةِ الطَّرْدِيَّـةِ بَيْنَ عُلُوْمِ الغَايَةِ والآلَةِ، فَتَجِدُ أحَدَهُم قَدْ طَالَ بِهِ العُمُرُ في تَحْصِيْلِ: أُصُـوْلِ الفِقْهِ (مَثَلاً) وهُوَ لا يُحْسِنُ مِنَ الفِقْهِ إلاَّ مَا يُحْسِنُه طُلابُ العِلْمِ المُبْتَـدِئِيْنَ، أو مُقَلِّدُو المَذْهَبِ.

وهَذَا الصَّنِيْعُ مِنْهُم مِمَّا يَزِيْدُنا يَقِيْنًا بأنَّ التَّخَصُّصَ العِلْمِيَّ: زَغَـلٌ في العِلْمِ، ودَسِيْسَةٌ في الطَّلَبِ، واللهُ المُوَفِّقُ والهَادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ!

***

وآخَرُوْنَ مِنْ وَرَائِهِم قَدْ تَخَصَّصُوا في التَّخَصُّصِ (؟!)، حَيْثُ تَجِدُ بعْضَهَم قَدْ تَخَصَّصَ في عُلُوْمِ القُرآنِ مَثْلاً، إلاَّ أنَّه لا يُحسِنُ مِنْ عُلُومِ القُرْآنِ إلاَّ : دِرَاسَةَ مَنَاهِجِ المؤلِّفِينَ في التَّفْسِيرِ، وطَرَائِقِ التَّفْسيرِ الصَّحِيحِ مِنْها والبَاطِلِ، وعِلْمِ القِرَاءاتِ، وإعْجَازِ القُرآنِ، ولرُبَّما لَيْسَ لبَعْضِهِم مِنَ العِلْمِ إلاَّ تَحْقِيْقَ مَخْطُوْطَةٍ لبَعْضِ عُلُوْمِ القُرآنِ ... كُلُّ ذَلِكَ للأسَفِ كَانَ مِنْهم عَلى حِسَابِ فَهْمِهِم وعِلْمِهِم لتَفْسِيرِ القُرآنِ بخَاصَّةٍ، نَاهِيْكَ عَلى حِسَابِ عُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ بعَامَّةٍ!

***

أمَّا مُحدِّثُو زَمَانِنا فَأمرٌ لا يُنَادَى وَلِيْدُه، فَأكثَرُهُم للأسَفِ إلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ، لا يُحسِنُ مِنْ عُلُومِ الحَدِيْثِ إلاَّ : مُصْطَلَحَ الحَدِيْثِ، ابتِدَاءً بالبَيْقُونيَّةِ، ومُرُورًا بنُخْبَةِ الفِكَرِ، وانتِهَاءً بمُقَدِّمَةِ ابنِ الصَّلاحِ، ومَا حَامَ في حِماهَا، مِنْ شَرْحٍ، واخْتِصَارٍ، وتَقْييدٍ وتَوضِيْحٍ، ونُكَتٍ، واسْتِدْرَاكٍ، ونَظْمٍ ... إلَخْ .

وقَدْ زَادَ الطِّينَ بِلَّةً؛ أنَّ أكثَرَ مُحدِّثِي زَمَانِنا (زَعَمُوا) لَيْسَ لهُم مِنْ عُلُوْمِ الحَدِيْثِ : إلاَّ تَخْرِيْجَ الحَدِيْثِ، ودِرَاسَةَ مَنَاهِجِ المُحَدِّثِينَ في كُتُبِهِم، ولرُبَّما لَيْسَ لبَعْضِهِم مِنَ العِلْمِ إلاَّ تَحْقِيْقَ مَخْطُوْطَةٍ لبَعْضِ عُلُوْمِ الحَدِيْثِ ...

كُلُّ ذَلِكَ للأسَفِ كَانَ مِنْهم عَلى حِسَابِ فَهْمِهم وعِلْمِهم وحِفْظِهم للحَدِيْثِ النَّبَويِّ بخَاصَّةٍ، نَاهِيْكَ عَلى حِسَابِ عُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ بعَامَّةٍ!

ونَفَرٌ آخَرُ مِنْهُم ممَّنْ مَسَّتْهُ وَخْزَاتُ التَّخَصُّصِ: قَدْ أشْغَلَ نَفْسَه وطُلابَه ببَعْضِ الدَّوْرَاتِ الإدَارِيَّةِ، والبَرامِجِ العَصبيَّةِ، واللهُ المُسْتَعَانُ عَلى مَا يَصِفُوْنَ!

* * *

* **أمَّا العَائِقُ الخَامِسُ**: فَهُوَ فُضُوْلُ المُبَاحَاتِ، ومَا أدْرَاكَ مَا فُضُوْلُ المُبَاحَاتِ؟ إنَّهَا المُهْلِكَاتُ، فإذَا كَانَ المَاءُ والنَّارُ لا يَجْتَمِعَانِ، فَكَذَلِكَ طَلَبُ العِلْمِ لا يَجْتَمِعُ مَعَ فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ، ولا يَكَادُ!

وحَسْبُكَ مِنْهَا: **فُضُوْلُ النَّظَرِ، والكَلامِ، والطَّعامِ، والنَّوْمِ، ومُخَالَطَةِ النَّاسِ**، فإنَّ التَّوَسُّعَ في هَذِه المُبَاحَاتِ بَرِيْدُكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ إلى الانْقِطَاعِ أو الفُتُوْرِ، كَما أنَّها مَجْلَبَةٌ للمَعَاصِي!

فَيَا للأسَفِ!؛ لَقَدْ تَوَسَّعَ كَثِيْرٌ مِنْ طُلابِ العِلْمِ مِنْ أهْلِ زَمَانِنا في فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ؛ ممَّا أبْعَدَهُم عَنِ التَّحْصِيْلِ، ورُبَّمَا انْقَطَعَ بِهِم الطَّلَبُ، وهُم بَعْدُ لَمْ يَتَغَرْغَرُوا بالعِلْمِ!

فالحَذَرَ الحَذَرَ يَا طَالِبَ العِلْمِ مِنْ فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ، يَقُوْلُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ في «صَيْدِ الخَاطِرِ» (٢١٤) : «واعْلَمْ أنَّ فَتْحَ بَابِ المُبَاحَاتِ رُبَّمَا جَرَّ أذىً كَثِيْرًا في الدِّيْنِ!» .

ويَقُوْلُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «بَدَائِعِ الفَوَائِدِ» (٢/ ٢٢٩) : «إمْسَاكُ فُضُوْلِ النَّظَرِ، والكَلامِ، والطَّعامِ، ومُخَالَطَةِ النَّاسِ؛ فإنَّ الشَّيْطَانَ إنَّمَا يَتَسَلَّطُ عَلَى ابنِ آدَمَ، ويَنَالُ غَرَضَه مِنْه مِنْ هَذِه الأبْوَابِ الأرْبَعَةِ!» .

وقَالَ أيضًا رَحِمَهُ اللهُ في «الفَوَائِدِ» (١٤٦) : «قَسْوَةُ القَلْبِ في أرْبَعَةِ أشْيَاءٍ إذَا جَاوَزَتْ قَدْرَ الحَاجَةِ : الأكْلُ، والنَّوْمُ، والكَلامُ، والمُخَالَطَةُ!» .

* * *

فَكَانَ مِنَ خَالِصَةِ الذِّكْرَى أنْ يَحْذَرَ طَالِبُ العِلْمِ مِنْ فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ، وأنْ يَطْوِيَ بِسَاطَهَا طَيًّا، لاسِيَّما مِمَّنْ رَامَ مَرَاتِبَ العُلَمَاءِ، ومَنَازِلَ الحُكَمَاءِ!

فاحْذَرْ يا طَالِبَ العِلْمِ : أنْ يَمَسَّكَ قَرْحُ التَّرَفِ والسَّرَفِ؛ فَإنَّهُمَا مَذْمُوْمَانِ شَرْعًا وعُرْفًا، وإيَّاكَ والتَّنَعُّمَ؛ فَإنَّه يُوْرِثُ التَّخَنُّثَ (عَيَاذًا بالله!)، فَإنِّي رَأيْتُ ثَلاثَتَهَا مَجَامِعَ الفُضُوْلِ والتَّبَسُّطِ، ومَنَابِعَ التَّرَهُّلِ والرِّقَّةِ، فاحْذَرْ،

وإلاَّ فالطَّرِيْقُ مَسْدُوْدَةٌ والبُلْغَةُ مَفْقُوْدَةٌ، فَدُوْنَ ما تَتَمَنَّى خَرْطُ القَتَادِ!

* * *

فَهَذِه انْتِقَاءَاتٌ مُخْتَصَرَاتٌ مِنْ مَأْثُوْرَاتِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ؛ تَأْخُذُ بحُجَزِ طُلابِ العِلْمِ مِنْ مُوَاقَعَةِ: فُضُوْلِ الكَلامِ، والطَّعامِ، والنَّظَرِ، والنَّوْمِ، والمُخَالَطَةِ، فتأمَّلها فإنَّها عَزِيْزَةٌ!

* فأمَّا فُضُوْلُ الكَلامِ:

فَقَدْ قَالَ تَعَالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق١٨].

وقَدْ نَصَّ كَثِيْرٌ مِنَ السَّلَفِ عَلى أنَّ المَلَكَ يَكْتُبُ كُلَّ شَيءٍ ممَّا يَقُوْلُهُ العَبْدُ: خَيْرًا كَانَ أو شَرًّا أو مُبَاحًا!

وإلَيْهِ ذَهَبَ ابنُ عَبَّاسٍ، والحَسَنُ البَصْرِيُّ، وقَتَادَةُ السُّدُوْسِيُّ وغَيْرُهُم.

يَقُوْلُ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنْهُما في مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ: «يُكْتَبُ كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ؛ حَتَّى إنَّه ليُكْتَبُ قَوْلُهُ: أكَلْتُ، شَرِبْتُ، ذَهَبْتُ، جِئْتُ رَأيْتُ».

وقَدْ ذُكِرَ أنَّ الإمَامَ أحمَدَ رَحِمَهُ الله كَانَ يَئِنُّ في مَرَضِهِ، فَبَلَغَهُ عَنْ طَاوُوْسَ أنَّه قَالَ : يَكْتُبُ المَلَكُ كُلَّ شَيءٍ حَتَّى الأَنِيْنَ، فَلَمْ يَئِنْ أحْمَدُ؛ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ الله»[١] .

وقَالَ ﷺ : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ، فلْيَقُلْ خَيْرًا، أو لِيَصْمُتْ»[٢] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وقَالَ ﷺ : «كَفَى بالمرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[٣] مُسْلِمٌ في المُقَدِّمَةِ .

وقَالَ ﷺ : «مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيْهِ»[٤] أحمَدُ والتِّرمِذِيُّ .

وهَذَا ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ الله يَسُوْقُ لَنَا في شَرْحِ هَذَا الحَدِيْثِ دُرَرًا غَوَالي، إذْ يَقُوْلُ في «جَامِعِ العُلُوْمِ والحِكَمِ» (١/ ٢٨٧) : «ومَعْنَى هَذَا

---

(١) انْظُرْ «تَفْسِيْرَ القُرْآنِ العَظِيْمِ» لابنِ كَثِيْرٍ (٦/ ٩٨) .

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٦٠١٨)، ومُسْلِمٌ (٤٧) .

(٣) أخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٥) .

(٤) أخْرَجَهُ أحمَدُ (١/ ٢٠١)، والتِّرمِذِيُّ (٢٣١٨)، وهُوَ صَحِيْحٌ .

الحَدِيْثِ أنَّ مِنْ حُسْنِ إسْلامِهِ تَرْكَ ما لا يَعْنِيْهِ : مِنْ قَوْلٍ أو فِعْلٍ، واقْتَصَرَ عَلى مَا يَعْنِيْهِ مِنَ الأقْوَالِ والأفْعَالِ .

ومَعْنَى : يَعْنِيْهِ أنَّه تَتَعَلَّقُ عِنَايَتُهُ بِه، ويَكُوْنُ مِنْ مَقْصَدِه ومَطْلُوْبِهِ، والعِنَايَةُ شِدَّةُ الاهْتِمامِ بالشَّيءِ؛ يُقَالُ : عَنَاهُ يَعْنِيْهِ إذَا اهْتَمَّ بِهِ وطَلَبَهُ، ولَيْسَ المُرَادُ أنَّه يَتْرُكُ مَا لا عِنَايَةَ لَه بِه ولا إرَادَةَ بحُكْمِ الهَوَى وطَلَبِ النَّفْسِ؟!

بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ والإسْلامِ، ولهذَا جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الإسْلامِ» انْتَهَى .

* * *

ومِنْ بَابَةِ الحَذَرِ مِنْ فُضُوْلِ الكَلامِ؛ مَا ذَكَرَتْهُ خَوْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ الأنْصَارِيَّةُ رَضِيَ الله عَنْهَا، قَالَتْ : جَاءنَا رَسُوْلُ الله ﷺ يَوْمًا، فَقُلْتُ : يَا رَسُوْلَ الله، بَلَغَنِي عَنْكَ أنَّكَ تُحَدِّثُ أنَّ لَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَوْضًا مَا بَيْنَ كَذَا إلى كَذَا؟

قَالَ : «أجَلْ، وأحَبُّ النَّاسِ إليَّ أنْ يَرْوَى مِنْهُ قَوْمُكِ»، قَالَتْ : فَقَدَّمْتُ إلَيْهِ بُرْمَةً ((قِدْرٌ مِنْ حَجَرٍ) فِيْهَا خُبْرَةٌ ـ أو خَزِيْرَةٌ ـ (طَعَامٌ مِنْ لَحْمٍ) فَوَضَعَ رَسُوْلُ الله ﷺ يَدَهُ في البُرْمَةِ لِيَأكُلَ، فاحْتَرَقَتْ أصَابِعُهُ، فَقَالَ : «حَسٍّ»،

(كَلِمَةُ تَوَجُّعٍ ممَّا أصَابَهُ)، ثُمَّ قَالَ : «ابنُ آدَمَ إنْ أصَابَهُ البَرْدُ، قَالَ حَـسٌ، وإنْ أصَابَهُ الحَرُّ، قَالَ : حَسٌ»[١] أحمَدُ .

فَانْظُرْ؛ إلى كَرَاهَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ فُضُوْلِ الكَـلامِ، ومَـا لا فَائِـدَةَ فِيْـهِ، ولَوْ كَانَ تَأفُّفًا في تَوَجُّعٍ!

بَلْ مَا فَائِدَةُ قَوْلِكَ يا طَالِبَ العِلْمِ : «حَـسٌ»، عِنْـدَ قَـرْصِ بَـرْدٍ، أو إزْعَاجِ حرٍّ؟ فاللَّهُمَّ ارْحَمْنَا، آمِيْنَ!

* * *

قَالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِي الله عَنْهُ : «رَحِمَ الله امْـرَأً أمْـسَكَ فَـضْلَ القَوْلِ، وقَدَّمَ فَضْلَ العَمَلِ»[٢].

وقَدْ كَانَ مَالِكُ بنُ أنَسٍ رَحِمَهُ الله يُعِيْبُ كَثْـرَةَ الكَـلامِ، ويَقُـوْلُ : «لا يُوْجَدُ (فُضُوْلُ الكَلامِ) إلاَّ في النِّسَاءِ، والضُّعَفَاءِ!»[٣]، أيْ : ضُعَفَاءَ الرِّجَـالِ في الدِّيْنِ، أو العَقْلِ .

---

(١) أخْرَجَهُ أحمَدُ (٤٥/ ٢٩٦)، ورِجَالُه رِجَالُ الصَّحِيْحِ .

(٢) انْظُرْ «عُيُوْنَ الأخْبَارِ» لابنِ قُتَيْبَةَ (١/ ٣٨٠) .

(٣) انْظُرْ «الآدَابَ الشَّرعِيَّةَ» لابنِ مُفْلِحٍ (١/ ٦٦) .

ثُمَّ اعْلَمْ أنَّ فُضُوْلَ الكَلامِ في قَانُوْنِ السَّلَفِ : هُوَ كُلُّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنَ العَبْدِ لَيْسَتْ مِنَ الفَائِدَةِ في شَيءٍ، وهَذَا مَا ذَكَرَهُ عَطَاءُ بنُ أبي رَبَاحٍ رَحِمَهُ الله، إذْ يَقُوْلُ : «كَانُوا (السَّلَفُ) يَكْرَهُوْنَ فُضُوْلَ الكَلامِ، وكَانُوا يَعُدُّوْنَ فُضُوْلَ الكَلامِ : مَا عَدَا كِتَابَ الله أنْ تَقْرَأَهُ، أو أمْرًا بالمعْرُوْفِ أو نَهيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أو أنْ تَنْطِقَ في مَعِيْشَتِكَ بِما لا بُدَّ لَكَ مِنْه!»[1] .

* * *

ومِنْ مَحاسِنَ غُبَّارَاتِ الزَّمَنِ الأوَّلِ : أنَّ الرَّبِيْعَ بنَ خُثَيْمٍ رَحِمَهُ الله ؛ حِيْنَما جَاءتْهُ ابْنَتُهُ وعِنْدَهُ أصْحَابُه، فَقَالَتْ : يا أبَتَاهُ أذْهَبُ ألْعَبُ؟ فَقَالَ : لا!

فَقَالَ القَوْمُ : يَا أبا يَزِيْدَ ائْذَنْ لها تَلْعَبُ! قَالَ : يُوْجَدُ ذَلِكَ في صَحِيْفَتِي أنِّي قُلْتُ لها : الْعَبِي، ولَكِنْ اذْهَبِي فَقُوْلِي خَيْرًا![2] انْتَهَى .

قُلْتُ : هَذَا سَنَدٌ عَالٍ، ورَعٌ عَالٍ، لكِنَّ الله عَفُوٌّ كَرِيْمٌ!

* * *

أمَّا إنْ سَألْتَ عَنْ هَلاكِ النَّاسِ، فَهُو ما ذَكَرَهُ إبْرَاهِيْمُ النَّخَعِيُّ رَحِمَهُ الله :

---

(١) انْظُرْ «الآدَابَ الشَّرعِيَّةَ» لابنِ مُفْلِحٍ (١/ ٦٢) .

(٢) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحمَدَ (٤٦١) .

«إِنَّما أَهْلَكَ النَّاسَ : فُضُوْلُ الكَلامِ، وفُضُوْلُ المَالِ!»[١] .

أَمَّا عَنْ قَسْوَةُ القَلْبِ، فَكَما ذَكَرَهُ الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ الله؛ أَنَّه قَالَ :

«شَيْئَانِ يُقَسِّيَانِ القَلْبَ : كَثْرَةُ الكَلامِ، وكَثْرَةُ الأَكْلِ!»[٢] .

* * *

* أَمَّا فُضُوْلُ الطَّعَامِ :

فَكَما قَالَ تَعَالى : ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف ٣١] .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : جَمَعَ الله الطِّبَّ كُلَّهُ في نِصْفِ آيَةٍ : ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ .

فأَمَّا الإِسْرَافُ المَذْمُوْمُ في الآيَةِ فَهُوَ مَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ الله في «تَفْسِيْرِهِ» (٢٤٩)، إِذْ يَقُوْلُ :«﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ : أَيْ مِمَّا رَزَقَكُمُ الله مِنَ الطَّيِّبَاتِ، ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ : في ذَلِكَ، والإِسْرَافُ : إِمَّا أَنْ يَكُوْنَ بالزِّيَادَةِ

---

(١) انْظُرْ «الآدَابَ الشَّرعِيَّةَ» لابنِ مُفْلِحٍ (٣/ ٢٦١) .

(٢) انْظُرْ «رَوْضَةَ العُقَلاءِ» لابنِ حِبَّانَ (٤٣) .

عَلى القَدْرِ الكَافي والشَّرَهِ في المأكُوْلاتِ الَّتِي تَضُرُّ بالجِسْمِ، وإمَّا يَكُوْنَ بزِيَادَةِ التَّرَفُّهِ والتَّنَوُّعِ في المأكَلِ والمَشْرَبِ واللِّبَاسِ، وإمَّا بتَجَاوُزِ الحَلالِ إلى الحَرَامِ» انْتَهى .

وقَالَ ﷺ : «**مَا مَلأ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أكَلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كَانَ لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لطَعَامِهِ، وثُلُثٌ لشَرَابِهِ، وثُلُثٌ لنَفَسِهِ**»[1] أحمَدُ والتِّرْمِذِيُّ .

* * *

ولا تَحْسِبَنَّ يَا رَعَاكَ الله أنَّ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وأصْحَابُه في حَيَاتِهِمْ مِنْ طُوْلِ جُوْعٍ، وقِلَّةِ زَادٍ : بأنَّهُم أقَلُّ فَضْلٍ مِنْ غَيْرِهِم، وأنْقَصُ حَالٍ ممَّنْ دُوْنَهُم ؟! كَلَّا!

بَلْ كَانُوا في أفْضَلِ حَالٍ، وأكْمَلِ مَآلٍ، وهَذَا مَا ذَكَرَهُ ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ الله في «جَامِعِ العُلُوْمِ والحِكَمِ» (٢/ ٤٧٥)، إذْ يَقُوْلُ عَنْهُم : «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وأصْحَابُه يَجُوْعُوْنَ كَثِيْرًا، ويَتَقَلَّلُوْنَ مِنْ أكْلِ الشَّهَوَاتِ، وإنْ كَانَ ذَلِكَ لعَدَمِ وُجُوْدِ الطَّعَامِ؛ إلاَّ أنَّ الله لا يَخْتَارُ لرَسُوْلِهِ إلاَّ أكْمَلَ الأحْوَالِ

(١) أخْرَجَهُ أحمَدُ (٤/ ١٣٢)، والتِّرمِذِيُّ (٢٣٨٠)، وهُوَ صَحِيْحٌ .

وأفْضَلِها؛ ولهذَا كَانَ ابنُ عُمَرَ يَتَشَبَّهُ بِهِم في ذَلِكَ مَعْ قُدْرَتِهِ عَلى الطَّعَامِ، وكَذَلِكَ أَبُوْهُ مِنْ قَبْلِهِ» انْتَهَى .

وقَالَ ﷺ : «**خَيْرُ القُرُوْنِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُم، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُم، ثُمَّ يَأتِي قَوْمٌ يَشْهَدُوْنَ ولا يُسْتَشْهَدُوْنَ، ويَنْـذُرُوْنَ ولا يُوْفُـوْنَ، ويَظْهَـرُ فِـيْهِمُ السِّمنُ**»[1] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

لِذَا كَانَ السَّلَفُ يُحَذِّرُوْنَ مِنَ السِّمْنَةِ والبِطْنَةِ، وهَـذَا مَـا ذَكَـرَهُ ابـنُ رَجَبٍ نَفْسُه (ص٤٧١) عَنْ سَلَمَةَ بنِ سَعِيْدٍ قَـالَ : «إنْ كَـانَ الرَّجُـلُ لَيُعـيَّرُ بالبِطْنَةِ، كَما يُعَيَّرُ بالذَّنْبِ يَعْمَلُهُ» .

قُلْتُ : هَذا التَّعْيِيْرُ فِيْما إذَا كَانَ الرَّجُلُ سَبَبًا في سِمْنَتِه؛ لاسِيَّما إذَا كَانَ أكُوْلاً ذَا شَرَهٍ، وإلاَّ : لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا!

* * *

كَما كَانَ السَّلَفُ يَكْرَهُوْنَ أنْ يُرْسِلَ المُسْلِمُ عَنَانَ بَطْنِهِ وَرَاءَ ما يَشْتَهِي ويَهْوَى!

وهَذَا مَا ذُكِرَ عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ، أَنَّه لَمَّا دَخَلَ عَلى ابْنِهِ

---

(١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٦١٥)، ومُسْلِمٌ (٢٥٣٥) .

عَبْدِ الله، وإذَا عِنْدَهُ لحْمٌ، فَقَالَ لَه : مَا هَذَا اللَّحْمُ؟ فَقَالَ : اشْتَهَيْتُهُ، قَالَ : أوَ كُلَّمَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا أكَلْتَهُ؟ كَفَى بالمرْءِ سَرَفًا أنْ يَأكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَاهُ![1] انْتَهَى .

وأبْلَغُ مِنْهُ مَا قَالَهُ أيْضًا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ؛ حِيْنَ خَطَبَ يَوْمًا فَقَالَ : «إيَّاكُمْ والبِطْنَةَ، فإنَّها مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلاةِ، مُؤذِيَةٌ للجِسْمِ، وعَلَيْكُم بالقَصْدِ في قُوْتِكِم، فإنَّه أبْعَدُ مِنَ الأشَرِ، وأصَحُّ للبَدَنِ، وأقْوَى عَلى العِبَادَةِ، وأنَّ امْرأً لَنْ يُهْلَكَ حَتَّى يُؤثِرَ شَهْوَتَهُ عَلى دِيْنِهِ!»[2] .

وقَالَ أيْضًا عَمْرُو بنُ قَيْسٍ رَحِمَهُ الله : «إيَّاكُم والبِطْنَةَ؛ فَإنَّها تُقَسِّي القَلْبَ»[3] .

* * *

وهَذَا مَا يُؤكِّدُهُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله في كِتَابِهِ البَدِيْعِ «بَدَائِعِ الفَوَائِدِ» (٢/ ٨٢٠) إذْ يَقُوْلُ : «وأمَّا فُضُوْلُ الطَّعَامِ فَهْوَ دَاعٍ إلى أنْوَاعٍ كَثِيْرةٍ مِنَ الشَّرِّ؛ فإنَّه يُحَرِّكُ الجَوَارِحَ إلى المَعَاصِي، ويُثْقِلُهَا عَنِ الطَّاعَاتِ ــ وحَسْبُكَ

---

(١) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحمَدَ (١٨١) .

(٢) انْظُرْ «الآدَابَ الشَّرعِيَّةَ» لابنِ مُفْلِحٍ (٣/ ١٨٤) .

(٣) انْظُرْ «جَامِعَ العُلُوْمِ والحِكَمِ» لابنِ رَجَبٍ (٢/ ٤٧١) .

بِهَذَيْنَ شَرًّا ـ فَكَمْ مِنْ مَعْصِيَةٍ جَلَبَهَا الشِّبَعُ وفُضُوْلُ الطَّعَامِ، وكَمْ مِنْ طَاعَةٍ حَالَ دُوْنَهَا، فَمَنْ وُقِيَ شَرَّ بَطْنِهِ فَقَدْ وُقِيَ شَرًّا عَظِيمًا، والشَّيْطَانُ أعْظَمُ مَا يَتَحَكَّمُ مِنَ الإِنْسَانِ إذَا مَلأ بَطْنَهُ مِنَ الطَّعَامِ!

ثُمَّ قَالَ : ولَوْ لم يَكُنْ في التَّملِّي مِنَ الطَّعَامِ إلاَّ أنَّه يَدْعُو إلى الغَفْلَةِ عَنْ ذِكْرِ الله عَزَّ وجَلَّ، وإذَا غَفَلَ القَلْبُ عَنِ الذِّكْرِ سَاعَةً وَاحِدَةً جَثَمَ عَلَيْهِ الشَّيْطَانُ ووَعَدَهُ ومَنَّاهُ وشَهَّاهُ، وهَامَ بِه في كُلِّ وَادٍ، فإنَّ النَّفْسَ إذا شَبِعَتْ تَحَرَّكَتْ وجَالَتْ وطَافَتْ عَلى أبْوَابِ الشَّهَوَاتِ، وإذَا جَاعَتْ سَكَنَتْ وخَشَعَتْ وذَلَّتْ!» انْتَهَى .

وكَذَا يَقُوْلُ ابنُ الجَوْزِيُّ رَحِمَهُ الله في «صَيْدِ الخَاطِرِ» (٤٥١) : «فأمَّا التَّوَسُّعُ في المطَاعِمِ؛ فإنَّه سَبَبُ النَّوْمِ، والشِّبَعُ يُعْمِي القَلْبَ، ويُهْزِلُ البَدَنَ ويُضْعِفُهُ» .

* * *

ومِنْ طَرِيْفِ حَبْسِ النَّفْسِ عَنْ فُضُوْلِ الطَّعَامِ، وحَبْسِها عَلى مُلازَمَةِ العِلْمِ، مَا ذَكَرَهُ ابنُ الجَوْزِيُّ رَحِمَهُ الله في «صَيْدِ الخَاطِرِ» (٢٧٨) : أنَّ بَعْضَ الفُقَهَاءِ قَالَ : بَقِيْتُ سِنِيْنَ اشْتَهِي الهَرِيْسَةَ لا أقْدِرُ عَلَيْهَا؛ لأنَّ وَقْتَ بَيْعِهَا وَقْتَ سَمَاعِ الدَّرْسِ!» انْتَهَى .

اللَّهُمَّ؛ ارْحَمْ ضَعْفَنَا، وأجْبِرْ كَسْرَنَا، ومَنْ يُطِيْقُ هَـذَا؟ لكنَّنـا نَعْلَـمُ يَقِيْنًا أنَّ القَوْمَ في صِدْقٍ مَعَ الله، وحَالٍ مَعَ العِلْمِ مَا يَعْجَبُ المْرءُ مِنْـهُ؛ حتَّـى إنَّ الرَّجُلَ الصَّادِقَ مِنْ أهْلِ زَمَانِنَا في طَلَبِ العِلْمِ لَيَتَصَاغَرُ أمَامَهُمْ، فَكَيْـفَ السَّبِيْلُ والحَالَةُ هَذِه لَمَنْ يَطْلُبُ العِلْمَ عَلى فَتْرةٍ في دِرَاسَةٍ، أو جَـاهٍ في شُـهْرَةٍ، أو مُمَارَاةٍ في تَعَالُمٍ؟!

***

ومَهْما جَاءَ مِنْ أثرٍ هُنَـا؛ إلاَّ أنَّ الاعْتِـدَالَ والقَـصْدَ في الأكْـلِ : هُـوَ مَطْلَبٌ شَرعِيٌّ، ومَأرَبٌ صِحِّيٌّ، فالغُلُوُّ والتَّفْـرِيْطُ لَـيْسَ مِـنْ جَـادَّةِ سَـلَفِنَا الصَّالِحِ، وخَيْرُ الأمُوْرِ أوْسَاطُهَا، كَما ذَكَرَهُ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ وغَيْرُهُ .

أمَّا مَنِ ابْتُلِيَ بِشَيءٍ مِنَ البِطْنَةِ أو الـسِّمْنَةِ؛ فَعَلَيْـهِ بالحِمْيَـةِ الـشَّرعِيَّةِ، وذَلِكَ بالصِّيَامِ، أو التَّدَرُّجِ في تَقْلِيْلِ الطَّعَامِ والشَّرابِ، وعَدَمِ التَّرسُّلِ في كُلِّ ما تَشْتَهِيْهِ النَّفْسُ وتَهوَاهُ!

***

ومَا أخْرَجَهُ الطَّبرانيُّ في «المُعْجَمِ الأوْسَطِ» وغَيْرِهُ : «**صُوْمُوا تَصِحُّوا**» لا يَصِحُّ بِمَرَّةٍ!

ودَعْ عَنْكَ مَا يُسَمَّى : (بالرِّجِيْمِ) الَّذِي تَبَارَى في حَلَبَتِهِ أَكْثَرُ أَهْلِ زَمَانِنا مَا بَيْنَ : جَرِيْحٍ وطَرِيْحٍ، وبَيْنَ كَالٍ ومُعْتَلٍّ؛ حَيْثُ أَخَذَ مِنْهُم مَآخِذَ وطَرَائِقَ شَتَّى : سَوَاءٌ في طَرِيْقَةِ تَوْظِيْفِهِ، أو تَنْوِيْعِ أَسْمائِهِ؛ حَتَّى إنَّه صَرَفَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ السِّمْنَةِ عَنِ الحِمْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ، كَما أَنَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ نَصِيْبٌ، ونَعُوْذُ باللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ (الرَّجِيْمِ)!

* * *

وقَدْ نَصَّ ابنُ قُدَامَةَ المَقْدِسِيُّ في كِتَابِه «مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنَ» (١٧٧) عَلى طَرِيْقَةِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ؛ إذْ يَقُوْلُ رَحِمَهُ الله : «وطَرِيْقُ الرِّيَاضَةِ في كَسْرِ شَهْوَةِ البَطْنِ أَنَّ مَنْ تَعَوَّدَ اسْتِدَامَةَ الشِّبَعِ؛ فَيَنْبَغِي لَه أَنْ يُقَلِّلَ مِنْ مَطْعَمِهِ يَسِيْرًا يَسِيْرًا مَعَ الزَّمَانِ إلى أَنْ يَقِفَ عَلى حَدِّ التَّوَسُّطِ الَّذِي أَشَرْنَا إلَيْهِ، وخَيْرُ الأُمُوْرِ أَوْسَاطُها .

فالأَوْلى تَنَاوُلُ مَا لا يَمْنَعُ مِنَ العِبَادَاتِ، ويَكُوْنُ سَبَبًا لبَقَاءِ القُوَّةِ، فَلا يُحِسُّ المُتَنَاوِلُ بجُوْعٍ ولا شِبَعٍ؛ فَحِيْنَئِذٍ يَصِحُّ البَدَنُ، وتَجْتَمِعُ الهِمَّةُ، ويَصْفُو الفِكْرُ، ومَتَى زَادَ الأَكْلُ أَوْرَثَهُ كَثْرَةَ النَّوْمِ، وبَلادَةَ الذِّهْنِ» انْتَهَى .

* * *

* أمَّا فُضُوْلُ النَّظَرِ :

قَالَ تَعَالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه ١٣١] .

قَالَ ابنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ الله في «تَفْسِيْرِهِ» (٥/ ٣٢٦) : «يَقُوْلُ تَعَالى لنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ الله وسَلامُهُ عَلَيْهِ : لا تَنْظُرْ إلى هَؤلاءِ الْمُتْرَفِيْنَ، وأشْبَاهِهِم ونُظَرائِهِم، ومَا هُمْ فِيْهِ مِنَ النِّعَمِ، فَإنَّما هُوَ زَهْرَةٌ زَائِلَةٌ، ونِعْمَةٌ حَائِلَةٌ، لنَخْتَبِرَهُم بذَلِكَ، وقَلِيْلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُوْرُ» انْتَهى .

ويَقُوْلُ ابنُ سَعْدِي رَحِمَهُ الله في «تَفْسِيرِه» (٤٦٦) في مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ : « أيْ : ولا تَمُدَّ عَيْنَيْكَ مُعْجَبًا، ولا تُكَرِّرَ النَّظَرَ مُسْتَحْسِنًا إلى أحْوَالِ الدُّنْيَا والْمُتَمَتِّعِيْنَ بِها مِنَ المآكِلِ والمَشَارِبِ اللَّذِيْذَةِ، والمَلابِسِ الفَاخِرَةِ، والبُيُوْتِ المُزَخْرَفَةِ، والنِّسَاءِ المُجَمَّلَةِ؛ فإنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ زَهْرَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا تَبْتَهِجُ بها نُفُوْسُ المُغْتَرِّيْنَ، وتَأخُذُ إعْجَابًا بأبْصَارِ المُعْرِضِيْنَ، ويَتَمَتَّعُ بها - بقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الآخِرَةِ - القَوْمُ الظَّالِمُوْنَ، ثُمَّ تَذْهَبُ سَرِيْعًا وتَمْضِي جَمِيْعًا، وتَقْتُلُ مُحِبِّيهَا وعُشَّاقَهَا؛ فَيَنْدَمُوْنَ حَيْثَ لا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ، ويَعْلَمُوْنَ مَا هُم عَلَيْهِ إذَا قَامُوْا يَوْمَ القِيَامَةِ؟

وإنَّما جَعَلَهَا الله فِتْنَةً واخْتِبَارًا ليَعْلَمَ مَنْ يَقِفَ عِنْدَهَا ويَغْتَرَّ بِها، ومَنْ هُوَ أَحْسَنُ عَمَلاً» انْتَهَى .

* * *

وقَالَ ابنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ الله في كِتَابِ «مُخْتَصَرِ الفَتَاوَى المِصْرِيَّةِ» (٣٥) في مَعْنَى هَذِه الآيَةِ : «النَّظَرُ إلى الأَشْجَارِ والخَيْلِ والبَهَائِمِ إذَا كَانَ عَلى وَجْهِ اسْتِحْسَانِ الدُّنْيَا والرِّيَاسَةِ والمَالِ فَهُوَ مَذْمُوْمٌ .

لِقَوْلِ الله تَعَالى : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ .

وأمَّا إذَا كَانَ عَلى وَجْهٍ لا يُنقِصُ الدِّيْنَ، وإنَّما فِيْهِ رَاحَةٌ للنَّفْسِ فَقَطُ، كالنَّظَرِ إلى الأَزْهَارِ، فَهَذَا مِنَ البَاطِلِ الَّذِي يُسْتَعَانُ بِه عَلى الحَقِّ» انْتَهَى .

* * *

وهَذَا ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله نَجِدُهُ في «بَدَائِعِ الفَوَائِدِ» (٢/ ٨١٧)، يُحَذِّرُ مِنْ فُضُوْلِ النَّظَرِ مُبيِّنًا غَوَائِلَهُ، وآثَارَهَ السَّيِّئَةِ، بقَوْلِهِ : «فُضُوْلُ النَّظَرِ يَدْعُو إلى الاسْتِحْسَانِ، ووُقُوْعِ صُوْرَةِ المَنْظُوْرِ إلَيْهِ في القَلْبِ، والاشْتِغَالِ بِهِ، والفِكْرِ في الظَّفَرِ بِهِ، فَمَبْدَأُ الفِتْنَةِ مِنْ فُضُوْلِ النَّظَرِ ... فالحَوَادِثُ العِظَامُ إنَّما

كُلُّهَا مِنْ فُضُوْلِ النَّظَرِ، فَكَمْ نَظْرَةٍ أعْقَبَتْ حَسَرَاتٍ لا حَسْرَةً، كَما قَالَ الشَّاعِرُ:

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظَرِ ... ومُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ في قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بَلا قَوْسٍ ولا وَتَرِ

وقَالَ الآخَرُ:

وكُنْتَ مَتَى أرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا ... لقَلْبِكَ يَوْمًا أتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ

رَأيْتُ الَّذِي لا كُلُّهُ أنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ ولا عَنْ بَعْضِهِ أنْتَ صَابِرُ

***

وهَذَا أبو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ الله عَنْهُ يُحَذِّرُ مَوَاطِنَ النَّظَرِ بِقَوْلِهِ: «إيَّاكُمْ والسُّوْقَ، فإنَّها تُلْغِي وتُلْهِي»[1]، نَعَمْ؛ لأنَّ السُّوْقَ مَوْرِدُ النَّظَرِ إلى الصُّوَرِ، ومَثَارَةُ التَّلَفُّتِ إلى الزِّيْنَةِ والفِتْنَةِ!

وقَدْ عَدَّ بَعْضُ السَّلَفِ كَثْرَةَ الالْتِفَاتِ مِنْ خَوَارِمِ المُرُوْءَةِ، وهَذَا مَا ذَكَرَهُ إبْرَاهِيْمُ النَّخَعِيُّ رَحِمَهُ الله: «لَيْسَ مِنَ المُرُوْءَةِ كَثْرَةُ الالْتِفَاتِ في الطَّرِيْقِ!»[2].

---

(١) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحمَدَ (١٦٨).

(٢) انْظُرْ «بَهْجَةَ المَجَالِسِ» لابنِ عَبْدِ البرِّ (١/ ٦٤٤).

ومِثْلُهُ أيْضًا كَثْرَةُ الالْتِفَاتِ بَعْدَ الانْصِرَافِ مِنَ الصَّلاةِ؛ حَيْثُ نَجِدُ بَعْضًا مِنَ المُصَلِّيْنَ (للأسَفِ!) إذا سَلَّمَ مِنْ صَلاتِه؛ لا يَسْأمُ مِنَ الالْتِفَاتِ يَمِيْنًا وشِمَالاً، ويُقَلِّبُ نَاظِرَيْهِ في وُجُوْهِ المُصَلِّيْنَ!

* * *

وهُنَا نَوْعٌ آخَرُ مِنْ نَوَادِرِ التَّوَرُّعِ وغَضِّ البَصَرِ، وهُوَ أنَّ رَجُلاً سَألَ دَاوُدَ الطَّائِيَّ رَحِمَهُ الله، فَقَالَ : لَوْ أمَرْتَ بِها في سَقْفِ البَيْتِ مِنَ العَنْكَبُوْتِ فنُظِّفْ؟!

فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ الطَّائِيُّ : أمَا عَلِمْتَ أنَّ مُجَاهِدًا كَانَ العَنْكَبُوْتُ في دَارِهِ ثَلاثِيْنَ سَنَةً لم يَشْعُرْ بِهِ[1]؟!

قُلْتُ : أيْ : مَا زَالَتِ العَنَاكِبُ تَنْسِجُ بِيُوْتَها وتَعِيْشُ عَلى سَقْفِ بَيْتِهِ مُنْذُ ثَلاثِيْنَ، وهُوَ لا يَعْلَمُ ولا يَنْظُرُ!

والعَجَبُ مَوْصُولٌ لا يَنْقَطِعُ؛ إذَا عَلِمْنَا أنَّ القَوْمَ في حَالٍ مَعَ الله تَعَالى، وفي انْقِطَاعٍ عَنِ الدُّنْيَا ممَّا كَانَ سَبَبًا في صَرْفِ هِمَمِهِم عَنْ فُضُوْلِ النَّظَرِ، فإنْ فَهِمْتَ هَذَا مِنْهُم، وإلاَّ تَجَاوَزْهُ إلى مَا تَسْتَطِيْعُ؟!

---

(١) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحمَدَ (٢٥٥).

وهَذَا لَوْنٌ آخَرُ في وَرَعِ القَوْمِ وعُلُوِّ هِمَمِهِم، وهو أنَّ يَحْيَى بنَ يَحْيَى اللَّيْثِيَّ فَقِيْهَ الأنْدَلُسِ رَحِمَهُ الله لَمَّا رَحَلَ إلى المَدِيْنَةِ النَّبَوِيَّةِ ليَطْلُبَ العِلْمَ عِنْدَ الإمَامِ مَالِكٍ رَحِمَهُ الله، فَبَيْنَما هُوَ جَالِسٌ إذْ مَرَّ عَلى بَابِ مَالِكٍ الفِيْلُ!

فَخَرَجَ كُلُّ مَنْ كَانَ في مَجْلِسِهِ لِرُؤْيَةِ الفِيْلِ، سِوَى يَحْيَى بنِ يَحْيَى، وبَقِيَ مَكَانَهُ!

فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: لِمَ لا تَخْرُجُ فَتَرَى الفِيْلَ؛ لأنَّه لا يَكُوْنُ في الأنْدَلُسِ؟

فَقَالَ يَحْيَى: إنَّما جِئْتُ مِنْ بَلَدِي لأنْظُرَ إلَيْكَ، وأتَعَلَّمَ مِنْ هَدْيِكَ وعِلْمِكَ، ولم أجِئ لأنْظُرَ إلى الفِيْلِ، فأُعْجِبَ بِهِ مَالِكٌ، وسَمَّاهُ: عَاقِلَ الأنْدَلُسِ[1]!

فافهَمْ هَذَا أيْضًا؛ وإلاَّ تجاوَزْهُ، فالعُقُوْلُ قَاصِرَةٌ، والهِمَمُ مُتَقَاصِرَةٌ، والله المُسْتَعَانُ وعَلَيْهِ التُّكْلانُ!

***

(١) انْظُرْ «جَذْوَةَ المُقْتَبِسِ» للحُمَيْدِيِّ (٣٨٢)، و«تَرْتِيْبَ المَدَارِكِ» للقَاضِي عِيَاضٍ (٢/ ٥٤٠)، و«سِيَرَ الأعْلامِ» للذَّهَبِيِّ (١٠/ ٥٢١) بتَصَرُّفٍ.

* أمَّا فُضُوْلُ النَّوْمِ :

فَقَـدْ قَـالَ الله تَعَـالى : ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات١٧-١٨] .

أيْ : كَانُوا يُكَابِدُوْنَ قِيَامَ اللَّيْلِ فَلا يَنَامُوْنَ مِنَ اللَّيْلِ إلاَّ أقَلَّهُ، بَـلْ لا تَمُرُّ عَلَيْهِم لَيْلَةٌ إلاَّ أخَذُوْا حَظَّهُمْ مِنَ الصَّلاةِ، لِذَا كَانَ طُوْلُ النَّـوْمِ وفُـضُوْلُهُ مَانِعًا عَنِ القِيَامِ، وقَاطِعًا لتَحْصِيْلِ الخَيْرِ!

قَالَ وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ الله : «لَيْسَ مِنْ بَنِـي آدَمَ أحَـبُّ إلى شَـيْطَانِهِ مِنَ الأكُوْلِ النَّوَامِ!»(١) .

وفَوْقَ ذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ الله : يَرَوْنَ كَثْرَةَ النَّوْمِ والطَّعَامِ ذَنْبًا مُتَوَقِّفٌ عَلى التَّوْبَةِ، وهَذَا مَا قَالَهُ الحَسَنُ البَـصْرِيُّ رَحِمَـهُ الله : «تُوْبُـوا إلى الله مِنْ كَثْرَةِ النَّوْمِ والطَّعَامِ!» .

* * *

أمَّا مَنْهَجُ السَّلَفِ في النَّوْمِ فَكَانَ قَصْدًا في اعْتِدَالٍ، فَلا يَنَامُوْنَ تَكَثُّـرًا ولا تَشَهِّيًا ، بَلْ يَنَامُوْنَ إذَا غَلَبَهُمُ النُّوْمُ وجَثَمَ ، وإذَا نَامُوا أخَذُوا حَظًّا مِنَ

(١) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحمَدَ (٥١٧) .

الكِفَايَةَ بِقَدْرِ مَا يُعِيْنُهُم عَلى عَمَلِ الدِّيْنِ والدُّنْيَا!

وهَذَا مَا نصَّ عَلَيْهِ ابنُ قُدَامَةَ المَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ الله في «مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنَ» (٥٩)، إذْ يَقُوْلُ: «وينْبَغِي أنْ لا يَنَامَ حَتَّى يَغْلِبَهُ النَّوْمُ، فَقَدْ كَانَ السَّلَفُ لا يَنَامُوْنَ إلاَّ غَلَبَةً».

* * *

* أمَّا فُضُوْلُ المُخَالَطَةِ:

لا شَكَّ أنَّ العُزْلَةَ والخَلْوَةَ بِذِكْرِ الله تَعَالى، ومُحَاسَبَةَ النَّفْسِ في الخَلَوَاتِ مِنَ العُبُوْدِيَّةِ الَّتِي أمَرَنَا الله بِها، فَفِي القُرْآنِ والسُّنَّةِ الشَّيءُ الكَثِيْرُ مِنَ الأوَامِرِ والشَّوَاهِدِ الدَّاعِيَةِ إلى ذِكْرِ الله تَعَالى، والتَّفَكُّرِ في خَلْقِهِ وآلائِهِ، ومُحَاسَبَةِ النَّفْسِ!

* * *

فَقَدْ ذَكَرَ ابنُ قُدَامَةَ المَقْدِسِيُّ رَحِمَهُ الله في «مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنَ» (١١٤)، أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: «خُذُوا حَظَّكُم مِنَ العُزْلَةِ».

وكَذَا قَالَ مَسْرُوْقٌ رَحِمَهُ الله: «إنَّ المَرْءَ لحقِيْقٌ أنْ يَكُوْنَ لَهُ مَجَالِسُ يَخْلُو فِيْهَا

فَيَذْكُرَ فِيهَا ذُنُوبَهُ، فَيَسْتَغْفِرَ مِنْهَا»[١] .

* * *

وهَذَا شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ الله، يَقُوْلُ في «مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (١٠/ ٤٠٥، ٤٢٦) : «وأمَّا اعْتِزَالُ النَّاسِ في فُضُوْلِ المُبَاحَاتِ ومَا لا يَنْفَعُ ـ وذَلِكَ بالزُّهْدِ فِيْهِ ـ فَذَلِكَ مُسْتَحَبٌّ» .

وقَالَ أيْضًا : «ولا بُدَّ للعَبْدِ مِنْ أوْقَاتٍ يَنْفَرِدُ بها بنَفْسِهِ في دُعَائِه وذِكْرِه، وصَلاتِه وتَفَكُّرِه، ومُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ وإصْلاحِ قَلْبِهِ» انْتَهَى .

* * *

لِذَا كَانَ فُضُوْلُ المُخَالَطَةِ بَرِيْدًا لقَسْوَةِ القَلْبِ، وقَاطِعًا لطَرِيْقِ الخَيْرِ والتَّفَكُّرِ، وطَلَبِ التَّوْبَةِ، نَاهِيْكَ مَطَالِبَ العِلْمِ ومَدَارِجَ العُلَمَاءِ!

وهَذَا مَا ذَكَرَهُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله في «بَدَائِعِ الفَوَائِدِ» (٢/ ٨٢١) بِقَوْلِهِ : «إنَّ فُضُوْلَ المُخَالَطَةِ : هِيَ الدَّاءُ العُضَالُ الجَالِبُ لِكُلِّ شَرٍّ، وكَمْ سَلَبَتِ المُخَالَطَةُ والمُعَاشَرَةُ مِنْ نِعْمَةٍ؟ وكَمْ زَرَعَتْ مِنْ عَدَاوَةٍ؟ وكَمْ غَرَسَتْ في القَلْبِ مِنْ حَزَازَاتٍ تَزُوْلُ الجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ وهِيَ في القُلُوْبِ لا تَـزُوْلُ؟!

---

(١) انْظُرْ «الزُّهْدَ» للإمَامِ أحمَدَ (٤٥٨) .

فَفُضُوْلُ المُخَالَطَةِ فِيْهِ خَسَارَةُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، وإنَّما يَنْبَغِي للعَبْدِ أنْ يَأخُذَ مِنَ المُخَالَطَةِ بِمِقْدَارِ الحَاجَةِ» انْتَهَى .

* * *

ثُمَّ؛ إيَّاكَ يَا طَالِبَ العِلْمِ : أنَّ تَظُنَّ بأنَّ الجُلُوْسَ مَعَ الصَّالِحِيْنَ خَيْرٌ كُلُّهُ، وفَضْلٌ جُلُّهُ، دُوْنَ تَقْيِيْدٍ بحَالٍ أو اعْتِبَارٍ بمَقَالٍ؟!

وهَذَا مَا قَرَّرَهُ ابنُ القَيِّمِ في كِتَابِهِ «الفَوَائِدِ» (٨٠)، إذْ ذَكَرَ بَعْضَ آفَاتِ الاجْتِمَاعِ مَعَ الصَّالِحِيْنَ مَا يَعِزُّ وُجُوْدُهُ عِنْدَ غَيْرِهِ رَحِمَهُ الله؛ إذْ يَقُوْلُ : «الاجْتِمَاعُ بالإخْوَانِ قِسْمَانِ :

أحَدُهُمَا : اجْتِمَاعٌ عَلى مُؤانَسَةِ الطَّبْعِ، وشُغْلِ الوَقْتِ؛ فَهَذَا مَضَرَّتُه أرْجَحُ مِنْ مَنْفَعَتِه، وأقَلُّ مَا فِيْهِ أنْ يُفْسِدَ القَلْبَ، ويُضَيِّعَ الوَقْتَ .

الثَّاني : الاجْتِمَاعُ بِهِم عَلى التَّعَاوُنِ عَلى أسْبَابِ النَّجَاةِ، والتَّوَاصِي بالحَقِّ والصَّبْرِ؛ فَهَذَا أعْظَمُ الغَنِيْمَةِ وأنْفَعِهَا؛ ولَكِنْ فِيْهِ ثَلاثُ آفَاتٍ :

أحَدُهَا : تَزَيُّنُ بَعْضِهِم لبَعْضٍ .

الثَّانِيَةُ : الكَلامُ والخُلْطَةُ أكْثَرَ مِنَ الحَاجَةِ .

والثَّالِثَةُ : أنْ يَصِيْرَ ذَلِكَ شَهْوَةً وعَادَةً يَنْقَطِعُ بِها عَنِ المَقْصُوْدِ» انْتَهى.

قُلْتُ : إذَا لم يُفَتِّشْ طَالِبُ العِلْمِ عَنْ مَوَاطِنِ جُلُوْسِهِ، ومَبَاغِي جُلَسَائِهِ، كَما ذَكَرَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ الله، وإلاَّ كَانَتْ مُخَالَطَتُهُ بالصَّالِحِيْنَ آفةً قَدْ تَأْخُذُهُ إلى أوْدِيَةِ غَفْلَةٍ عَنْ طَلَبِ العِلْمِ الَّذِي يُرِيْدُ، وهُوَ لا يَعْلَمُ، والله أعْلَمُ.

* * *

ومِنْ مَحَاسِنِ النَّصَائِحِ السَّنِيَّةِ الخَاصَّةِ لطُلابِ العِلْمِ، مَا ذَكَرَهَا ابنُ القَيِّمِ عَنْ شَيْخِهِ ابنِ تَيْمِيَّةَ في «مَدَارِجِ السَّالِكِيْنَ» (٢/ ٢٠٢) : «قَالَ لِي شَيْخُ الإسْلامِ ابنُ تَيْمِيَّةَ ـ قَدَّسَ اللهُ رُوْحَهُ ـ في شَيْءٍ مِنَ المُبَاحِ : هَذَا يُنَافِي المَرَاتِبَ العَالِيَةَ، وإنْ لَمْ يَكُنْ تَرْكُه شَرْطًا في النَّجَاةِ».

* * *

وأخِيْرًا؛ فإنَّني أُوْصِي نَفْسِي، وطُلابَ العِلْمِ أنْ يَأْخُذُوا حَظَّهُم مِنْ كُتُبِ «الزُّهْدِ» قِرَاءةً وإقْرَاءً، ودَرْسًا ومُدَارَسَةً، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ السَّلَفَ كَانَتْ مَجَالِسُهُمْ لا تَنْقَطِعُ عَنِ رِوَايَاتِ كُتُبِ «الزُّهْدِ» تَأْلِيْفًا وتَحْدِيْثًا وقِرَاءةً، بَلْ مَا تَجَمَّلَ تَارِيْخُهُمْ إلاَّ بِما ذُكِرَ عَنْهُمْ مِنْ زُهْدِيَّاتٍ وتَقْوَى كَانَتْ مَاثِلَةً : في تألُّهٍ في عِبَادَةٍ، وإيْمانٍ في اسْتِقَامَةٍ، ووَرَعٍ في خَشْيَةٍ، وصَبْرٍ في يَقِيْنٍ!

والحَالَةُ هَذِه الَّتِي نَعِيْشُ؛ كَانَ لِزَامًا عَلَيْنَا أنْ نَأخُذَ حَظًّا مِنَ النَّظَرِ في كُتُبِ «الزُّهْدِ»، لاسِيَّما وأنَّ الدُّنْيَا (هَذِهِ الأيَّامَ)، قَدْ أخَذَتْ زُخْرُفَهَا، وتَزَيَّنَتْ لأهْلِهَا، واهْتَزَّتْ ورَبَتْ لِذِي عَيْنٍ، والله خَيْرٌ حَافِظًا!

فَهَيَّا إلى مَوْعُوْدِ قِرَاءةِ كُتُب «الزُّهْدِ»، وأخُصُّ مِنْهَا؛ كِتَابَ «الزُّهْدِ» للإمَامِ أحمَدَ (٢٤١)، ووَكِيْعٍ (١٩٧) وغَيْرِهِما .

فَيَا طَالِبَ العِلْمِ : لا يَرَاكَ الله في هَذِهِ الدُّنْيَا إلاَّ زَاهِدًا، أو مُقْتَصِدًا، فَما الدُّنْيَا إلاَّ كَما قَالَ أحمَدُ بنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ الله : «طَعَامٌ دُوْنَ طَعَامٍ، وشَرَابٌ دُوْنَ شَرَابٍ، ولِبَاسٌ دُوْنَ لِبَاسٍ، وصَبْرُ أيَّامٍ قَلاِئلَ!»، ذَكَرَهُ ابنُ تَيْمِيَّةَ وغَيْرُهُ .

وجِمَاعُ «الزُّهْدِ» إنْ سَألْتَ، فَهُوَ كَما قَالَهُ ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ الله في "مَجْمُوْعِ الفَتَاوَى» (١٠/ ٢١، ٦٤١) : هُوَ تَرْكُ الرَّغْبَةِ فِيْما لا يَنْفَعُ في الدَّارِ الآخِرَةِ، وهُوَ فُضُوْلُ المُبَاحَاتِ الَّتي لا يُسْتَعَانُ بِها عَلى طَاعَةِ الله، مَعَ ثِقَةِ القَلْبِ بِما عِنْدَ الله» انْتَهَى .

***

وأخْتِمُ بِهَذِه النَّصِيْحَةِ مِنْ قَوْلِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللهُ : «كَانَ الرَّجُلُ إذَا طَلَبَ العِلْمَ؛ لَمْ يَلْبَثْ أنْ يُرَى ذَلِكَ في تَخَشُّعِهِ، وبَصَرِه، ويَدِه،

وصَلاتِه، وزُهْدِه، وإنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُصِيْبَ البَابَ مِنْ أبْوَابِ العِلْـمِ فَيَعْمَـلَ بِه؛ فَيَكُوْنَ خَيْرًا لَه مِنَ الدُّنْيا ومَا فيها»[1].

* * *

كَما أضِفْ هُنَا أنَّ بَرْنامجَنا في (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ)، كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى طَرِيْقَـةٍ خَاصَّةٍ مَعَ طُلابِنا (لَيْسَ إلاَّ!)، لِذَا لَمَّا لَمَسْنا ثَمَرَتَه عَلَى طُلابِنَا، وتَنَافُسَهُم فيه، أرْتَأيْنا نَشْرَهَا لعُمُوْمِ الفَائِدَةِ لَدَى أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ؛ عَلَّهَـا تَنْشُرُ مَـوَاتَ أفْئِـدَةٍ أُخْرَى رَانَ عَلَيْها الجَهْلُ، واسْـتَعْبَدَتْهَا لُعَاعَـةٌ مِـنْ دُنْيـا زَائِلَـةٍ، واللهُ المُوفِّـقُ والهادِي إلى سَوَاءِ السَّبِيْلِ.

وخِتَامًا؛ فَقَدْ أَلْقَى القَلَمُ عَصَاهُ، واسْتَقَرَّ بِه النَّوَى، فَمَا أجَادَ بِـه فَمِـنْ فَضْلِ رَبِّي، ومَا أخطأ فيه فَمِنِّي والشَّيْطَانِ، واللهُ ورَسُوْلُه مِنْهُ بَرِيْئانِ!

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى عَبْدِهِ ورَسُوْلِهِ الأمِيْنِ

❑❑❑

(١) «الزُّهْدُ» للحَسَنِ البَصْرِيِّ (٩٢)، و«أخلاقُ العُلَمَاءِ» للآجُرِّيِّ (٨٩).

الإِجَازَاتُ العِلْمِيَّةُ

اللَّطَائِفُ العِلْمِيَّةُ

الإجَازَاتُ العِلْمِيَّةُ

الحَمْـدُ للهِ الَّـذِي حَمَـى هَـذِه الـشَّرِيْعَةَ الغَـرَّاءَ بِأئِمَّـةٍ أمْجَـادٍ، قيَّـدُوا شَوَارِدَهَا، وجَمَعُوا أوَابِدَهَا بِسَلاسِلِ الإسْنَادِ؛ فَتَمَّتِ الهِدَايَةُ بِاتِّصَالِ الرِّوَايَةِ، وكَمُلَتِ العِنَايةُ ببِلُوْغِ الغَايَةِ مِنَ الدِّرَايَةِ، وصَارَتِ الأسَانِيْدُ المُتَّصِلَةُ لِمَعَاهِدِ العُلُوْمِ كَالسِّوَارِ، يَرْوِيْهَا الأكَابِرُ عَـنِ الأكَـابِرِ، ومِنْـهُ أضْـحَى الإسْـنَادُ مِـنَ الدِّيْنِ، وقُرْبَةً إلى رَبِّ العَالَمِيْنَ .

والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى عَبْدِهِ ورَسُوْلِهِ الأمِـيْنِ، وعَـلَى آلِـهِ، وصَـحْبِهِ الغُرِّ الميَامِيْنَ، ومَنْ تَبِعَهُم بِإحْسَانٍ إلى يَوْمِ الدِّيْنِ .

أمَّا بَعْدُ :

فَاعْلَمْ رَحِمَـكَ اللهُ أنَّ الإجَـازَةَ جَـائِزَةٌ عَنْـدَ فُقَهَـاءِ الـشَّرْعِ، وعُلَـمَاءِ الحَدِيْثِ، قَرْنًا فَقَرْنًا، وعَصْرًا فَعَصْرًا إلى زَمَانِنَا هَذَا .

وفي الإجَازَةِ كَمَا لَا يَخْفَى عَلَى كُـلِّ ذِي بَـصِيْرَةٍ وبَـصَرٍ : دَوَامُ مَـا قَـدْ رُوِيَ وذُكِرَ، وبَقَاءُ مَا قَدْ كُتِبَ ونُثِرَ؛ فَهِيَ أنْسَابُ الكُتُبِ، ولَوْلَاهَا لَقَالَ مَـنْ شَاءَ مَا شَاءَ، لِذَا كَانَ يَنْبَغِي التَّعْوِيْلُ عَلَيْهَا، والسُّكُوْنُ إلَيْهَا .

فَإذَا عُلِمَ هَذَا فَقَدْ مَنَّ اللهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِلِقَاءِ عَدَدٍ مِنَ المَشَايِخِ الأعْلامِ؛ حَيْثُ

أخَذْتُ عَنْهُم باللِّقَاءِ والدَّرْسِ والمُلازَمَةِ والإجَازَةِ الخَاصَّـةِ والعَامَّـةِ لِكُتُـبِ ومُـصَنَّفَاتِ أهْـلِ الإسْـلامِ؛ ووَجَـدْتُ روَايَـاتِهم قَـدْ اتَّـصَلَتْ بِالْمُـصَنِّفِيْنَ، وسُلْسِلَتْ بِعُلَمَاءِ الدِّيْنِ المُحَقِّقِيْنَ .

***

فَكَانَتْ هَذِه بَعْضُ أسْماءِ ممَّنْ تَشَرَّفْتُ بأخْذِ الإجَـازَةِ عَـنْهُم، حَيْـثُ ذَكَرْتُ طَائِفَةً وأرْجَيْتُ أخْرَى سَيَأتي ذِكْرُهَا مُفَـصَّلاً إنْ شَـاءَ اللهُ في كِتَـابي : «**الوَجَازَةِ في الأثْبَاتِ والإجَازَةِ**»، فَمِنْ هَؤلاءِ :

١ـ الشَّيْخُ المُعَمَّرُ، المُسْنِدُ الكَبِيْرُ، شَـيْخُ الحَنَابِلَـةِ : عَبْـدُ الله بـنُ عَبْـدِ العَزِيْزِ العَقِيْلُ، حَيْثُ أجَازَني مُنَاوَلَةً إجَازَةً عَامَّةً، وخَاصَّـةً في ثَبَتِـهِ : «**فَـتْحِ الجَلِيْلِ فِي تَرْجَمَةِ وثَبَتِ شَيْخِ الحَنَابِلَةِ ابنِ عَقِيْلٍ**» .

٢ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ السَّلَفِيُّ، المُـسْنِدُ الكَبِـيْرُ : أبـو خَالِـدٍ عَبْـدُ الوَكِيْلِ ابنُ الشَّيْخِ المُحَدِّثِ والمُسْنِدِ الكَبِيْرِ عَبْدِ الحَقِّ الهَاشِميِّ .

٣ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ السَّلَفِيُّ المُعَمَّرُ : عَبْدُ العَزِيْزِ بنُ عَبْدِ الله بـنِ سَعِيْدٍ الكِنَانيُّ الزَّهْرَانيُّ .

٤ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُسْنِدُ المُعَمَّرُ المُدَرِّسُ بالحَرَمِ المَكِّي : عَبْدُ الفَتَّاحِ بـنُ حُسَيْنٍ رَاوَه المَكِّيُّ رَحِمَهُ اللهُ، المُتَـوَفَّى سَـنَةَ (٥/ ٢/ ١٤٢٤)، حَيْـثُ أجَـازَني

مُنَاوَلَةً إجَازَةً عَامَّةً، وخَاصَّةً في ثَبَتِهِ : «المَصَاعِدِ الرَّاوِيَةِ إلى الأسَانِيْدِ والكُتُـبِ والمُتُوْنِ المَرْضِيَّةِ» .

٥ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ السَّلَفِيُّ، المُحَقِّقُ المُـدَقِّقُ : أَبُـو بَكْـرٍ مُحَمَّـدُ زُهَيْرُ بنُ مُصْطَفَى بنِ أحْمَدَ الشَّاوِيْشُ الحُسَيْنِيُّ الهَاشِمِيُّ المَيْـدَانيُّ الدِّمِـشْقِيُّ، ثُمَّ الحَازِمِيُّ البَيْرُوتِيُّ، المَوْلُوْدُ سَنَةَ (١٣٤٤) .

٦ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ السَّلَفِيُّ : صُبْحِي بـنُ جَاسِـمِ بـنِ حُمَيـدٍ الحُسَيني البَدْريُّ السَّامُرَّائيُّ حَفِظَهُ اللهُ، نَزِيلُ بَغْدَادَ، المَوْلُودُ سَنَةَ (١٣٥٥) .

٧ـ وكَذَا الشَّيْخُ القَاضِي : إسْمَاعِيْلُ بنُ عَلِي الأكْوَعُ اليَمِني .

٨ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ السَّلَفِيُّ : مُحَمَّدُ بنُ الأمِيْنِ بـنِ أحمَـدَ بُـو خُبْـزَةَ الحَسَنِي التُّطْوانيُّ المَغْرِبيُّ حَفِظَهُ اللهُ، المَوْلُوْدُ سَنَةَ (١٣٥١) .

٩ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُفَسِّرُ الهُمَامُ، النَّحْوِيُّ الإمَامُ : مُحَمَّدُ الأمِيْنِ بنُ عَبْـدِ الله الهَرَرِيُّ الأرْمِيُّ الأثْيُوْبِيُّ، نَزِيْلُ مَكَّةَ، المَوْلُودُ سَنَةَ (١٣٤٨)، وقَدْ أجَـازَني مُنَاوَلَةً إجَازَةً عَامَّةً وخَاصَّةً فِي ثَبَتِهِ : «مَجْمَعِ الأَسَانِيْدِ ومُظْفَرِ المَقَاصِيْدِ» .

١٠ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ اللُّغَوِي النَّاظِمُ الإمامُ السَّلَفِيُّ : مُحَمَّدُ بنُ الشَّيْخِ عَلِي بنِ آدَمَ بنِ مُوْسَـى الأثْيُـوْبِيُّ الوَلَّـوِيُّ نَزِيْـلُ مَكَّـةَ، وقَـدْ أجَـازَني مُنَاوَلَةً إجَازَةً عَامَّةً وخَاصَّةً فِي ثَبَتِهِ : «مَوَاهِبُ الصَّمَدِ لِعَبْدِهِ مُحَمَّدٍ فِي أسَانِيْدِ

كُتُبِ العِلْمِ المُمَجَّدِ»، في مَنْزِلِه العَامِرِ بمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ .

١١ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ الهِنْدِي السَّلَفِيُّ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ الجَبَّارِ الفِرْيُوَائِي، نَزِيْلُ الرِّيَاضِ .

١٢ـ وكَذَا المُسْنِدُ الكَبِيْرُ، جَامِعُ الإِجَازَاتِ الشَّهِيْرُ الشَّيْخُ : صَالِحُ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ الأَرْكَانِيُّ المَكِّيُّ، ثمَّ الرَّابِغِيُّ الأَثَرِيُّ السَّلَفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، المُتَوَفَّى سَنَةَ (١٤١٨) .

١٣ـ وكَذَا الشَّيْخُ العَلامَةُ السَّلَفِيُّ المُسْنِدُ المُحَدِّثُ : يَحْيَ بنُ عُثْمَانَ عَظِيْم آبَادِي المَكِّيُّ، حَيْثُ أجَازَنِي مُنَاوَلَةً إجَازَةً عَامَّةً وخَاصَّةً فِي ثَبَتِهِ : «النَّجْمِ البَادِي» .

١٤ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُعَمَّرُ الكَبِيْرُ : عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحْسِنٍ اليَافِعِي النَّاخِبِيِّ، نَزِيْلُ جُدَّةَ، المُتَوَفَّى سَنَةَ (٢٤/ ٥/ ١٤٢٨)، وقَدْ أجَازَنِي الشَّيْخُ النَّاخِبِيُّ حَفِظَهُ اللهُ مُنَاوَلَةً إجَازَةً عَامَّةً فِي جَمِيْعِ مُؤَلَّفَاتِهِ ومَرْوِيَّاتِهِ، وأَسَانِيْدِهِ، وخَاصَّةً فِي ثَبَتِهِ المُخْتَصَرِ : «إجَازَةٍ عَامَّةٍ في الأَسَانِيْدِ والمَرْوِيَّاتِ» .

١٥ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُعَمَّرُ القَاضِي الشَّيْخُ : مُحَمَّدُ بنُ إسْمَاعِيلَ بنِ مُحَمَّدٍ العَمْرَانِيُّ اليَمَنِيُّ، المَوْلُودُ بصَنْعَاء سَنَة (١٣٤٠) .

١٦ـ وكَذَا الشَّيْخُ السَّلَفِيُّ المُحَدِّثُ أَبُو الأَشْبَالِ صَغِيرُ أَحْمَدُ شَاغِفَ.

١٧ـ وكَذَا الشَّيْخُ : أبو عَبْدِ العَزِيْزِ عَبْدُ الله بنُ أحْمَدَ بنِ عَلِيٍّ بَخِيْتٌ.

١٨ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ : عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ مُحَمَّدٍ آلِ سَعْدٍ المُطَيْرِيُّ، حَيْثُ أجَازَني إجَازَةً عَامَّةً فِي كُلِّ مَا تَصِحُّ لَهُ رِوَايَتُـه فِي ثَبَتِـهِ : **«العُجَالَةِ ببَعْضِ أسَانِيْدِي إلى كُتُبِ الإسْنَادِ والرِّوَايَةِ»** .

١٩ـ وكَذَا الشَّيْخُ الرُّحْلَةُ المُحَقِّقُ الحَنْبَلِيُّ المُسْنِدُ : مُحَمَّدُ بنُ نَاصِرٍ العَجْمِيُّ .

٢٠ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُسْنِدُ الرُّحْلَةُ : يُوْسُفُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ المَرْعَشْلي؛ حَيْثُ أجَازَني إجَازَةً عَامَّةً وخَاصَّةً فِي ثَبَتِهِ الكَبِيْرِ : **«مُعْجَمِ المَعَاجِمِ والمَشْيَخَاتِ»** .

٢١ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُفَسِّرُ النَّحْوِيُّ : أبُو مُسْلِمٍ مُوْسَى بنُ سُلَيْمَانَ بنِ إبْرَاهِيْمَ النَّوَاجِيُّ؛ حَيْثُ قَرَأتُ عَلَيْه القُرْآنَ كَامِلاً بِقِرَاءَتَيْ : حَفْصٍ، وقَالُوْنَ .

٢٢ـ وكَذَا الشَّيْخُ المُحَدِّثُ الأثَرِيُّ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عُمَرَ الفِقِيْهُ الغَامِديُّ الأزْدِيُّ .

٢٣ـ وكَذَا الشَّيْخُ : أبُو عَلَوِي حَامِدُ بنُ عَلَوِي الكَاف .

٢٤ـ وكَذَا الشَّيْخُ النَّحْوِيُّ المُعَمَّرُ : حَمَدُّو الشِنْقِيْطِيُّ المَدَنِيُّ .

وهُنَاكَ (ولله الحَمْدُ) غَيْرُ مَا ذُكِرَ مِنَ الإجَازَاتِ العِلْمِيَّةِ، إلاَّ أَنَّني اكتَفَيْتُ بذِكْرِ جُمْلَةٍ مِنْ أجِلَّةِ أهْلِ الأجَايِزِ، واللهُ أعْلَمُ.

***

كما أَنَّنِي أخَذْتُ الإجَازَةَ العَامَّةَ لأهْلِ العَصْرِ عَنْ كَثِيْرٍ مِنْ أهْلِ العِلْمِ ممَّنْ أدْرَكْتُهُم، كَما أجَازَهَا جَماهِيْرُ أهْلِ العِلْمِ والرِّوَايَةِ؛ فَمِنْ هَؤلاءِ:

٢٥ـ الشَّيْخُ: سُلَيْمانُ بنُ عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّنِيْعُ (١٣٨٩).

٢٦ـ الشَّيْخُ: مُحَمَّدُ إبْرَاهِيْمُ الحَتَنيُّ المَدَنيُّ (١٣٨٩).

٢٧ـ الشَّيْخُ: عَلَوِيُّ بنُ عَبَّاسٍ المَالِكيُّ المكِّيُّ (١٣٩١).

٢٨ـ الشَّيْخُ: سَالِمُ بنُ أحمَدَ آلِ جَنْدَانُ (١٣٩٥).

٢٩ـ الشَّيْخُ: سُلَيْمانُ بنُ عَبْدِ الرَّحمنِ بنِ مُحَمَّدٍ الحَمْدَانُ (١٣٩٧).

٣٠ـ الشَّيْخُ: قَاسِمُ بنُ أحمَدَ البَحْرُ (١٣٩٧).

٣١ـ الشَّيْخُ: حَسَنُ بنُ مُحَمَّدٍ المشَّاطُ (١٣٩٩).

٣٢ـ الشَّيْخُ: مُحَمَّدُ صَالِحُ الخَطِيْبُ بنُ أحمَدَ بنِ عَبْدِ الرَّحمنِ الحَسَنِيُّ الدِّمِشْقِيُّ (١٤٠١).

٣٣ـ الشَّيْخُ: عَبْدُ الله بنُ سَعِيْدٍ اللَّحْجِيُّ المكِّيُّ (١٤١٠).

٣٤ـ الشَّيْخَةُ: عَائِشَةُ بِنْتُ طَاهِرِ بنِ عُمَرَ سُنْبُل المَدَنِيَّةُ (١٤١٥).

٣٥ـ الشَّيْخُ : إبْرَاهِيْمُ بنُ عُمَرَ بنِ عَقِيْلٍ (١٤١٥) .

٣٦ـ الشَّيْخُ : أحمَدُ مَشْهُورُ الحَدَّادُ (١٤١٦) .

٣٧ـ الشَّيْخُ : عَبْدُ المالِكِ بنُ عَبْدِ القَادِرِ بنِ عَلِيٍّ الدَّرْنَاوِيُّ، الشَّهِيْرُ بالطَّرَابُلُسِيِّ المكِّيُّ (٩/ ٢/ ١٤١٧) .

* * *

فَأَقُوْلُ وبالله التَّوفيقُ : وبَمَا أنَّ اللهَ تَعَالى قَدْ مَنَّ عليَّ بإجَازَاتٍ عَامَّةٍ في جَمِيْعِ فُنُونِ عُلُومِ الشَّرِيْعَةِ الإسْلامِيَّةِ، فإنِّي لَنْ أحَجِّرَ وَاسِعًا في إجَـازَةِ طَلَبَـةِ العِلْمِ؛ لاسِيَّما الَّـذِيْنَ أخَـذُوْا طَرِيْقًـا إلى (المَـنْهَجِ العِلْمِـيِّ) قِـرَاءةً وشَرْحًـا، وذَلِكَ بالشَّرْطِ المُعْتَبَرِ عِنْدَ أهْلِ الحَدِيْثِ والأثَرِ!

وقَدْ ذَكَرْتُ مَـا للإجَـازَةِ مِـنْ شُرُوْطٍ وآدَابَ، مِـنْ خِـلالِ مَبَاحِـثَ ومَسَائِلَ نَفِيْسَةٍ، كَما هُوَ مَذْكُوْرٌ في كِتَابي «**الوَجَازَةِ في الأثْبَاتِ والإجَازَةِ**»[1] .

❑❑❑

(١) مَلْحُوظَـةٌ : أيُّ اسْتِفْـسَارٍ عَـنِ الإجَـازَاتِ مِـنَ الـشَّيْخِ، فَعَـنْ طَرِيْـقِ مَوْقِـعِ : (www.thiab.com) ، نَافِذَةِ المُرَاسَلَةِ، وشُكْرًا (المُشْرِفُ عَلى المَوْقِعِ) .

اللَّطَائِفُ العِلْمِيَّةُ

إِذَا أَحْدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا فأَحْدِثْ لَهُ عِبَادَةً، ولا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ(٥٩)

إِذَا أَخْطَأَ العالِمُ «لا أَدْرِي» فَقَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ ..... (٦١)

إِذَا رَأَيْتُم العَالِمَ مُحِبًا لدُنْيَاه؛ فاتَّهِمُوْهُ عَلَى دِيْنِكِم، فإِنَّ كُلَّ مُحِبٍّ لشَيْءٍ يَخُوْطُ ما أَحَبَّ ..... (٨٧)

إِذَا رَأَيْتُم العَالِمَ يَلُوْذُ ببَابِ السَّلاطِيْنِ فاعْلَمُوا أَنَّه لِصٌّ، وإِذا رَأَيْتُمُوْهُ يَلُوْذُ بِبَابِ الأَغْنِيَاءِ فاعْلَمُوا أَنَّه مُرَاءٍ ..... (٩١)

ازْدِحَامُ العُلُوْمِ مَضَلَّةُ الفُهُوْمِ ..... (٣١)

إِنَّ خَيْرَ الأُمَرَاءِ مَنْ أَحَبَّ العُلَمَاءَ، وإِنَّ شَرَّ العُلَمَاءِ مَنْ أَحَبَّ الأُمَرَاءَ...(٩٢)

إِنَّكَ لا تَفْقَهُ حَتَّى لا تُبَالِي فِي يَدَيْ مَنْ كَانَتِ الدُّنْيا ..... (٨٨)

تَعَلَّمْ لا أَدْرِي، فإِنَّكَ إِنْ قُلْتَ : لا أَدْرِي، عَلَّمُوْكَ حَتَّى تَدْرِي، وإِنْ قُلْتَ : أَدْرِي، سَأَلُوْكَ حَتَّى لا تَدْرِي ..... (٦٢)

الجَهْلُ «بلا أَدْرِي» الجَهْلُ كُلُّهُ ..... (٦١)

حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ وِقْرَيْنِ، وفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وِقْرَيْنِ .....(٣٣)

زَيِّنُوا العِلْمَ، ولا تَتَزَيَّنُوا بِه ..... (٦٠)

عِلْمُ المُنَافِقِ في قَوْلِه، وعِلْمُ المُؤْمِنِ في عَمَلِه ..... (٥٩)
العِلْمُ دِيْنٌ فانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُوْنَ دِيْنَكُم ..... (٨٨، ١٠٥)
العِلْمُ ذَكَرٌ يُحِبُّهُ ذُكُوْرَةُ الرِّجَالِ، ويَكْرَهُهُ مُؤَنَّثُوْهُم ..... (١٧)
العِلْمَ رَحِمٌ بَيْنَ أَهْلِهِ ..... (٦٧)
العِلْمُ يَهْتِفُ بالعَمَلِ، فإنْ أَجَابَهُ وإلاَّ ارْتَحَلَ ..... (٥٩)
قِيْمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُ ..... (١٦)
قِيْمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَطْلُبُ ..... (١٦)
كُتُبِ السَّلَفِ : هِي السَّمْعُ والبَصَرُ؛ فَحَرَامٌ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ أنْ يَتَبَصَّرَ عِلْمًا دُوْنَها، أو يَتَسَمَّعَ عَمَلاً غَيْرَها ..... (٧١)
كُنْ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ : عَالِمًا، أو مُتَعَلِّمًا، أو مُسْتَمِعًا، أو مُحِبًّا، ولا تَكُنْ الخَامِسَ فَتَهْلَكَ ..... (١٩)
لا أَدْرِي : نِصْفُ العِلْمِ ..... (٦٠)
لا تُكَابِرَ العِلْمَ، فإنَّمَا هُوَ أَوْدِيَةٌ، فأيُّها أَخَذَتْ فيه قَبْلَ أنْ تَبْلُغَهُ قُطِعَ بِكَ، ولَكِنْ خُذْهُ مَعَ اللَّيَالِي والأَيَّامِ ..... (٢٢)
لا يُسْتَطَاعُ العِلْمُ بِرَاحَةِ الجَسَدِ ..... (٩)
مَنْ حُرِمَ الدَّلِيْلَ، ضَلَّ السَّبِيْلَ ..... (٢٢)

مَنْ طَلَبَ الرَّاحَةَ تَرَكَ الرَّاحَةَ ..... (٩)

مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا؛ فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فإنَّ الحَيَّ لا تُؤْمَنُ عَلَيْه الفِتْنَةُ (١٨)

مَنْ لَمْ يُتْقِنْ الأُصُوْلَ؛ حُرِمَ الوُصُوْلَ ..... (٢١)

ثَبَتُ المَرَاجِعِ

فِهْرِسُ الآيَاتِ

فِهْرِسُ الأَحَادِيْثِ

فِهْرِسُ الآثَارِ

فِهْرِسُ الأَشْعَارِ

الفَهَارِسُ المَوْضُوْعِيَّةُ

ثَبتُ المَرَاجِعِ

«القُرْآنُ الكَرِيْمِ» .

١. «أخْلاقُ العُلَمَاءِ» للآجُرِّي .

٢. « الزُّهْدُ» لأحْمَدَ .

٣. «أدَبُ الدُّنْيا والدِّيْنِ» للمَاوَرْدِيِّ .

٤. «اقْتِضَاءُ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ» لابنِ تَيْمِيَّةَ .

٥. «اقْتِضَاءُ العِلْمِ العَمَلَ» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ .

٦. «الآدَابُ الشَّرْعِيَّةُ» لابنِ مُفْلِحٍ .

٧. «البِدَايَةُ والنِّهَايَةُ» لابنِ كَثِيْرٍ .

٨. «البَرْمَجَةُ اللُّغَوِيَّةُ العَصَبِيَّةُ» لأحْمَدَ الزَّهْرَانِيِّ .

٩. «الجامِعُ لآدَابِ الرَّاوي» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ .

١٠. «الجَلِيْسُ الصَّالِحُ» لسِبْطِ ابنِ الجَوْزِيِّ .

١١. «الحِلْيَةُ» لأبِي نُعَيْمٍ .

١٢. «الزُّهْدُ» للحَسَنِ البَصْرِيِّ .

١٣. «السِّلْسِلَةُ الصَّحِيْحَةُ» للألْبَانِيِّ .

١٤. «السِّلْسِلَةُ الضَّعِيفَةُ» للألْبَانِيِّ .

١٥. «الفَقِيْهُ والمُتَفَقِّهُ» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ .

١٦. «الفَوَائِدُ» لابنِ القَيِّمِ .

١٧. «الكَامِلُ» لابنِ عَدِيٍّ .

١٨. «المُجَالَسَةُ» لأبِي بَكْرٍ الدِّيْنَوَرِيِّ .

١٩. «المَدْخَلُ» لابنِ بَدْرَانَ .

٢٠. «المَدْخَلُ» للبَيْهَقِيِّ .

٢١. «المُقَدِّمَةُ» لابنِ خُلْدُون .

٢٢. «بَدَائِعُ الفَوَائِدِ» لابنِ القَيِّمِ .

٢٣. «بَهْجَةُ المَجَالِسِ» لابنِ عَبْدِ البرِّ .

٢٤. «بَيَانُ العِلْمِ الأصِيْلِ» لعَبْدِ الكَرِيْمِ الحُمَيْد .

٢٥. «تارِيْخُ دَارِ السَّلامِ» للخَطِيْبِ البَغْدَادِيِّ .

٢٦. «تارِيْخُ دِمِشْقٍ» لابنِ عَسَاكِرٍ .

٢٧. «تَذْكِرَةُ السَّامِعِ والمُتَكَلِّمِ» لابنِ جَمَاعَةَ .

٢٨. «تَرْتِيْبُ المَدَارِكِ» للقَاضِي عِيَاضٍ .

٢٩. «تَعْلِيْمُ المُتَعَلِّمِ طَرِيْقَ التَّعَلُّمِ» للزَّرْنُوْجِيِّ .

٣٠. «تَفْسِيْرُ القُرْآنِ العَظِيْمِ» لابنِ كَثِيْرٍ .

٣١. «جَامِعُ العُلُوْمِ والحِكَمِ» لابنِ رَجَبٍ .

٣٢. «جَامِعُ بَيَانِ العِلْمِ وفَضْلِه» لابنِ عَبْدِ البرِّ .

٣٣. «جَذْوَةُ المُقْتَبِسِ» للحُمَيْدِيِّ .

٣٤. «حِلْيَةُ طَالِبِ العِلْمِ» لبكرٍ أبو زَيْدٍ .

٣٥. «دِيْوَانُ الشَّافِعِيِّ» .

٣٦. «رَوْضَةُ العُقَلاءِ» لابنِ حِبَّانَ .

٣٧. «زَادُ المَعَادِ» لابنِ القَيِّمِ .

٣٨. «زَغَلُ العِلْمِ» للذَّهَبِيِّ .

٣٩. «سُنَنُ ابنِ ماجَه» .

٤٠. «سُنَنُ أبي دَاوُدَ» .

٤١. «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ» .

٤٢. «سُنَنُ النَّسائيِّ» .

٤٣. «سِيَرُ أعْلامِ النُّبَلاءِ» للذَّهَبِيِّ .

٤٤. «شَرْحُ حَدِيْثِ أبِي الدَّرْدَاءِ» لابنِ رَجَبٍ الحنْبلِيِّ .

٤٥. «شَرْحُ حَدِيْثِ مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ» لابنِ رَجَبٍ الحَنْبَلِيِّ .

٤٦. «صَحِيْحُ البُخَارِيِّ» .

٤٧. «صَحِيْحُ مُسْلِمٍ» .

٤٨. «صَحِيْحُ وضَعِيْفُ السُّنَنِ» للألبانيِّ .

٤٩. «صَفَحَاتٌ مِنْ صَبْرِ العُلَمَاءِ» لأبِي غُدَّةَ .

٥٠. «صَيْدُ الخَاطِرِ» لابنِ الجَوْزِيِّ .

٥١. «طَبَقَاتُ الشَّافِعِيَّةِ» للسُّبْكِيِّ .

٥٢. «عُيُوْنُ الأخْبَارِ» لابنِ قُتَيْبَةَ .

٥٣. «مَجْمُوْعُ الفَتَاوَى» لابنِ تَيْمِيَّةَ .

٥٤. «مَجْمُوْعُ رَسَائِلِ ابنِ رَجَبٍ» جَمْعُ أبي مُصْعَبٍ الحَلْوَانِيُّ .

٥٥. «مَدَارِجُ السَّالِكِيْنَ» لابنِ القَيِّمِ .

٥٦. «مُسْتَدْرَكُ الحَاكِمِ» .

٥٧. «مُسْنَدُ أحْمَدُ» .

٥٨. «مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» لابْنِ القَيِّمِ .

٥٩. «مُقَدِّمَةُ المَجْرُوْحِيْنِ» لابنِ حِبَّانَ .

فِهْرِسُ الآيَاتِ

﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾ [الحديد ٢٠] ..... (٨٥)

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ﴾ [البقرة ١٢١] ..... (٣٢)

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر ١٠] ..... (١٩)

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة ٢٧] ..... (١٩)

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن ١٦] ..... (٣٦)

﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ﴾[البقرة ٦١]. (١١٢)

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص ٨٦] ..... (٢٤)

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ [الكهف ١٠٣] ..... (١١٢)

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر ٩] ..... (١٥)

﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ [الذاريات ١٧-١٨] ..... (١٤٧)

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق ١٨] ..... (١٣٠)

﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف ٣١] .... (١٣٥)

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج٧٨] ..... (٢٤)

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [طه١٣١] .....(١٤٣)

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة١١] .. (١٥)

فِهْرِسُ الأحَادِيْثِ

«أجَلْ، وأحَبُّ النَّاسِ إليَّ أنْ يَرْوَى مِنْهُ قَوْمُكِ» ..... (١٣٢)

«إنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ...» ..... (٨٥)

«إنَّ الدِّيْنَ يُسْرٌ...» ..... (٢٤)

«إنَّمَا الأعْمَالُ بالنِّيَّاتِ...» ..... (١٠٦)

«إيَّاكُم وأبْوَابَ السُّلْطَانِ...» ..... (٩٠-٩٧)

«خَصْلَتَانِ لا تَجْتَمِعَانِ في مُنَافِقٍ...» ..... (٨)

«خَيْرُ القُرُوْنِ قَرْني، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُم» ..... (١٣٧)

«صُوْمُوا تَصِحُّوا» ..... (١٤٠)

«طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» ..... (٧)

«كَفَى بالمرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» ..... (١٣١)

«لا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأخِيْهِ» ..... (٦٧)

«مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بأَفْسَدَ لَهَا ...» ..... (٨٤)

«مَا مَلأ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ» ..... (١٣٦)

«مَنْ بَدَا جَفَا، ومَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ ...» ..... (٨٩)

«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِه وَجْهَ الله...» ..... (٨٦)

«مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيْهِ» ..... (١٣١)

«مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فيه عِلْمًا...» ..... (١٥)

«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ، فلْيَقُلْ خَيْرًا، أو ليَصْمُتْ» ..... (١٣١)

«مَنْ يُرِدِ اللهُ بِه خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّيْنِ» ..... (٧، ١٦، ٩٩)

«ومَا أمَرْتُكُم بِشَيْءٍ؛ فَأْتُوا مِنْه ما اسْتَطَعْتُم» ..... (٣٦)

«ومَنْ سَنَّ في الإسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً...» ..... (١١٢)

«يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، ويَنْقُصُ العِلْمُ...» ..... (٩٩)

فِهْرِسُ الآثَارِ

« ألا تَدْخُلُ عَلَى الأمَرَاءِ فَتَتَحَفَّظُ...» الثَّوْرِيُّ ..... (٩١)

«إذَا أحْدَثَ اللهُ لَكَ عِلْمًا...» أبُو قِلابَةَ ..... (٥٩)

«إذَا أخْطَأ العَالِمُ لا أدْرِي...» ابنُ عَبَّاسٍ ..... (٦١)

«إذَا رَأيْتُم العَالِمَ مُحِبًّا لدُنْيَاه...» جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ ..... (٨٧)

«إذَا رَأيْتُم القارئ يَلُوْذُ...» ابنُ الخَطَّابِ ..... (٨٩)

«إذَا فَسَدَ العُلَمَاءُ فَمَنْ يُصْلِحُهُم...» الثَّوْرِيُّ ..... (٨٧)

«أشْرَفُ العُلَمَاءِ مَنْ هَرَبَ بِدِيْنِهِ عَنِ الدُّنْيا...» أثَرٌ..... (٨٨)

«أقْرَحْتُمْ جِبَاهَكُم...» الحَسَنُ البَصْرِيُّ ..... (٩٠)

«الَّذِي يَزْهَد في الدُّنْيا...» ابنُ المُبَارَكِ ..... (٨٦)

«العِلْمُ ذِكْرٌ يُحِبُّهُ ذُكُوْرَةُ الرِّجَالِ...» الزُّهْرِيُّ ..... (١٧)

«العِلْمُ مَا جَاءَ عَنْ أصْحَابِ مُحَمَّدٍ...» الأوْزَاعِيُّ ..... (٩٨)

«أمَّا بَعْدُ : فإنَّ الدُّنْيا دَاءٌ، والسُّلْطَانَ دَاءٌ...» أحْمَدُ ..... (٩٢)

«أمَا عَلِمْتَ أنَّ مُجَاهِدًا كَانَ العَنْكَبُوْتُ» دَاوُدَ الطَّائيَّ ..... (١٤٥)

«إنَّ المرْءَ لحقِيْقٌ أنْ يَكُوْنَ لَهُ مَجَالِسُ يَخْلُو فِيْهَا» مَسْرُوْقٌ ..... (١٤٨)

«إنَّ جَمْعَ المَالِ وغِشْيَانَ السُّلْطَانِ...» ابنُ وَهْبٍ ..... (٨٥)

«إنَّ خَيْرَ الأمَرَاءِ مَنْ أحَبَّ العُلَمَاءَ...» الأعْمَشُ ..... (٩٢)

«إنْ كَانَ الرَّجُلُ ليُعيَّرُ بالبِطْنَةِ، كَما يُعَيَّرُ بالذَّنْبِ» سَلَمَةَ بنِ سَعِيْدٍ ..... (١٣٧)

«إنَّكَ لا تَفْقَهُ حَتَّى لا تُبَالِي...» حَسَنُ بنُ صَالِحٍ ..... (٨٨)

«إنَّمَا العِلْمُ عِنْدَنا الرُّخْصَةُ مِنْ ثِقَةٍ...» الثَّوْرِيُّ ..... (٢٤)

«إنَّما أهْلَكَ النَّاسَ : فُضُوْلُ الكَلامِ، وفُضُوْلُ المَالِ!» إبْرَاهِيْمُ النَّخَعِيُّ ... (١٣٥)

«إنَّما جِئْتُ مِنْ بَلَدِي لأنْظُرَ إلَيْكَ» يَحْيَى اللَّيْثِيَّ ..... (١٤٦)

«أوَ كُلَّمَا اشْتَهَيْتَ شَيْئًا أكَلْتَهُ؟» عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ..... (١٣٨)

«إيَّاكَ والأُمَراءَ أنْ تَدْنُو مِنْهُم...» الثَّوْرِيُّ ..... (٩٥)

«إيَّاكُمْ والبِطْنَةَ، فإنَّها مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلاةِ» عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ..... (١٣٨)

«إيَّاكُم والبِطْنَةَ؛ فَإنَّها تُقَسِّي القَلْبَ» عَمْرُو بنُ قَيْسٍ ..... (١٣٨)

«إيَّاكُمْ والسُّوْقَ، فإنَّها تُلْغِي وتُلْهِي» أبو الدَّرْدَاءِ ..... (١٤٤)

«بَقِيْتُ سِنِيْنَ اشْتَهِي الهَرِيْسَةَ لا أقْدِرُ عَلَيْها» بَعْضَ الفُقَهَاءِ ..... (١٣٩)

«تَعَلَّمْ لا أدْرِي، فإنَّكَ إنْ قُلْتَ...» أبو الدَّيَّالِ ..... (٦٢)

«تُوْبُوا إلى الله مِنْ كَثْرَةِ النَّوْمِ والطَّعَامِ!» الحَسَنُ البَصْرِيُّ ..... (١٤٧)

«جَمَعَ الله الطِّبَّ كُلَّهُ في نِصْفِ آيَةٍ» بَعْضُ السَّلَفِ ..... (١٣٥)

«خُذُوا حَظَّكُم مِنَ العُزْلَةِ» عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ ..... (١٤٨)

«رَحِمَ الله امْرَأً أمْسَكَ فَضْلَ القَوْلِ» عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ..... (١٣٣)

«زَيِّنُوا العِلْمَ، ولا تَتَزَيَّنُوا بِه» الثَّوْرِيُّ ..... (٦٠)

«شَيْئَانِ يُقَسِّيَانِ القَلْبَ : كَثْرَةُ الكَلامِ» الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ ..... (١٣٥)

«طَعَامٌ دُوْنَ طَعَامٍ، وشَرَابٌ دُوْنَ شَرَابٍ» أحمَدُ بنُ حَنْبَلٍ .....(١٥٢)

«عِلْمُ المُنَافِقِ في قَوْلِه، وعِلْمُ المُؤْمِنِ في عَمَلِه» أثَرٌ..... (٥٩)

«فِتْنَتِي بالمُتَوَكِّلِ أعْظَمُ مِنْ فِتْنَتِي بالمُعْتَصِمِ» أحْمَدُ ..... (٩٦)

«فَلَمْ يَئِنْ أحمَدُ؛ حَتَّى مَاتَ رَحِمَهُ الله» أحمَدَ ..... (١٣١)

«قَوْلُ الرَّجُلِ فيما لا يَعْلَمُ...» أبو دَاوُدَ ..... (٥٨)

«كَانَ أحْمَدُ يُنْكِرُ عَلَى أهْلِ العِلْمِ...» أحْمَدُ ..... (٨٦)

«كَانَ الرَّجُلُ إذَا طَلَبَ العِلْمَ...» الحَسَنُ البَصْرِيِّ ..... (١٢٩)

«كَانُوا يَكْرَهُوْنَ فُضُوْلَ الكَلامِ» عَطَاءُ بنُ أبي رَبَاحٍ ..... (١٣٤)

«كُنَّا نَسْتَعِيْنُ عَلَى حِفْظِ الحَدِيْثِ...» الشَّعْبِيُّ ..... (٥٩)

«كُنْتُ قَدْ أُوْتِيْتُ فَهْمَ القَرْآنِ...» ابنُ عُيَيْنَةَ ..... (٩٢)

«كَيْفَ أَنْتُم إذا لَبِسَتْكُم فِتْنَةٌ...» ابنُ مَسْعُوْدٍ ..... (١١٢)

«لا عَيْبَ في العُلَمَاءِ أَقْبَحُ...» الشَّافِعِيُّ ..... (٨٦)

«لا يُوْجَدُ إلاَّ في النِّسَاءِ، والضُّعَفَاءِ!» مَالِكُ بنُ أَنَسٍ ..... (١٣٣)

«لَقَدْ أَتَتْ عَلَيْنا بُرْهَةٌ مِنْ دَهْرِنا...» أَبُو حَازِمٍ ..... (٩٠)

«لَكَثِيْرٌ مِنْ عُلَمَائِكِم زِيُّهُ...» الفُضَيْلُ ..... (٨٧)

«لَوْ كَتَبْنا عَنْ مَالِكٍ : لا أَدْرِي...» ابنُ وَهْبٍ ..... (٦٢)

«لَيْسَ الآمِرُ النَّاهِي عِنْدَنا...» ابنُ المُبَارَكِ ..... (٩٥)

«لَيْسَ مِنَ المُرُوْءَةِ كَثْرَةُ الالْتِفَاتِ في الطَّرِيْقِ!» إبْرَاهِيْمُ النَّخَعِيُّ ..... (١٤٤)

«لَيْسَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَحَبُّ إلى شَيْطَانِهِ مِنَ الأَكُوْلِ» وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ ..... (١٤٧)

«مَا أَخَافُ مِنْ عُقُوْبَتِهِم...» الثَّوْرِيُّ ..... (٩٦)

«مِنْ شَرْطِ العَالِمِ أَنْ لا تَخْطُرَ...» ابنُ المُبَارَكِ ..... (٨٨)

«مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا؛ فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ ...» ابنُ مَسْعُوْدٍ ..... (١٨)

«يا يُوْنُسُ! لا تُكَابِرَ العِلْمَ...» ابنُ شِهَابٍ ..... (٢٢)

«يُكْتَبُ كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ خَيْرٍ أو شَرٍّ» ابنُ عَبَّاسٍ ..... (١٣٠)

«يَنْبَغِي للفَقِيْهِ أنْ يَضَعَ التُّرَابَ...» الشَّافِعي ..... (٥٨)

«يُوْجَدُ ذَلِكَ في صَحِيْفَتِي أنِّي قُلْتُ لها : الْعَبِي» الرَّبِيْعَ بنَ خُثَيْمٍ ..... (١٣٤)

«يُوْشِكُ أنْ تَرَوْا جُهَّالَ النَّاسِ...» كَعْبُ الأحْبَارِ ..... (٩١)

فِهْرِسُ الأشْعَارِ

عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ رَضِي اللهُ عَنْه : ..... (١٦)

النَّـاسُ في جِهَةِ التَّمْثِيْلِ أكْفَـاءُ أبُوْهُـمُ آدَمُ والأُمُّ حَـوَّاءُ

نَفْسٌ كَنَفْسٍ وأرْوَاحٌ مُشَاكِلَـةٌ وأعْظُمٌ خُلِقَتْ فيهِم وأعْضَـاءُ

فإنْ يَكُنْ لَهُم مِنْ أصْلِهِم حَسَبٌ يُفَاخِرُوْنَ بِـه فالطِّيْنُ والمَـاءُ

مَا الفَضْلُ إلاَّ لأهْلِ العِلْمِ إنَّهُـم عَـلَى الهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أدِلاءُ

وقَدْرُ كُـلِّ امْرِئٍ مَـا كَانَ يُحْسِنُه وللرِّجَالِ عَلَى الأفْعَالِ أسْمَـاءُ

ابْنُ أغْنَسَ : ..... (٢٣)

مَا أكْثَرَ العِلْمُ ومَا أوْسَعَـه مَنَ الَّذِي يَقْدِرُ أنْ يَجْمَعَـه

إنْ كُنْتَ لا بُدَّ لَـهُ طَالِبًـا مُحَـاوِلاً فالْتَمِسْ أنْفَعَـه

عَلِيِّ بنِ أبِي طَالِبٍ، وقِيْلَ للشَّافِعِي : ..... (٢٧، ٣٥)

ألاَ لَـنْ تَنَـالَ العِلْـمَ إلاَّ بِسِتَّـةٍ سَـأُنَبِّئُكَ عَنْ مَجْمُوْعِـها ببَيَانِ

ذَكَـاءٌ وحِرْصٌ واجْتِهَادٌ وبُلْغَـةٌ وإرْشَادُ أُسْتَاذٍ وطُوْلُ زَمَانِ

أَبُو الطَّيِّبِ المُتَنَبِّي : ..... (٣٦)

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ وتَـأْتِي عَـلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَـارِمُ

وتَعْظُمُ في عَيْنِ الصَّغِيْرِ صِغَارُها وتَصْغُرُ في عَيْنِ العَظِيْمِ العَظَائِمُ

ابنُ هِشَامٍ النَّحْوِيُّ : ..... (٥٨)

ومَنْ يَصْطَبِرْ للعِلْمِ يَظْفَرْ بنَيْلِـهِ ومَنْ يَخْطُبِ الحَسْنَاءَ يَصْبِرْ عَلَى البَذْلِ

ومَنْ لَمْ يُذِلَّ النَّفْسَ في طَلَبِ العُلا يَسِيْرًا يَعِشْ دَهْـرًا طَوِيْلاً أَخَـا ذُلِّ

رَاجِزٌ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ : ..... (٦١)

فـإنْ جَهِلْتَ مَـا سُئِلْتَ عَنْهُ ولَـمْ يَكُنْ عِنْـدَكَ عِلْـمٌ مِنْـهُ

فَـلا تَقُـلْ فيه بِغَيْرِ فَهْـمِ إنَّ الخَطَـأَ مُـزْرٍ بأَهْـلِ العِلْـمِ

وقُـلْ إذَا أَعْيَاكَ ذَاكَ الأَمْـرُ مَـالِي بِـمَا تَسْـأَلُ عَنْـهُ خَبَـرُ

فَذَاكَ شَطْرُ العِلْمِ عَنِ العُلَمآ كَذَاكَ مَا زَالَتْ تَقُوْلُ الحُكَمآ

شَاعِرٌ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ : ..... (٦٢)

جَهِلْتَ فَعَادَيْتَ العُلُوْمَ وأَهْلَهَـا كَذَاكَ يُعَادِي العِلْمَ مَنْ هُوَ جَاهِلُه

ومَنْ كَانَ يَهْوَى أَنْ يُرَى مُتَصَدِّرًا ويَكْرَهُ «لا أدْرِي» أُصِيْبَتْ مَقَاتِلُه

أبو الحَسَنِ عَلِيُّ الجُرْجَانِيَّ : ..... (٩٣)

ولَـوْ أنَّ أهْلَ العِلْمِ صَانُوْهُ صَانَهُم ولَوْ عَظَّمُوْهُ في النُّفُوْسِ لَعُظِّمَا

ولَكِنْ أهَـانُوْهُ فَهَانُـوا ودَنَّسُـوْا مُحَيَّاهُ بـالأطْمَـاعِ حَتَّى تَجَهَّمَـا

أبو مُحَمَّدٍ الحَرِيْرِيُّ : ..... (١١٦)

..... فَقِسْ عَلَى قَوْلِي تَكُنْ عَلامةً!

شَاعِرٌ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ : ..... (١٠٩)

أتَانَـا أنَّ سَهْـلاً ذَمَّ جَهْـلاً عُلُوْمًا لَيْسَ يَعْرِفُهُنَّ سَهْلُ

عُلُوْمًا لَوْ دَرَاهَا مَا تَلاهَـا ولكِنَّ الرِّضَى بالجَهْلِ سَهْلُ

شَاعِرٌ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ : ..... (١٤٤)

كُـلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَأُهَـا مِنَ النَّظَـرِ ومُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ في قَلْبِ صَاحِبِهَا فَتْـكَ السِّهَامِ بَـلا قَوْسٍ ولا وَتَـرِ

شَاعِرٌ غَيْرُ مَعْرُوْفٍ : ..... (١٤٤)

وكُنْتَ مَتَى أرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا لقَلْبِـكَ يَوْمـًا أتْعَبَتْكَ المَنَاظِـرُ

رَأيْتُ الَّـذِي لا كُلُّـهُ أنْتَ قَـادِرٌ عَلَيْهِ ولا عَنْ بَعْضِهِ أنْتَ صَابِرُ

الفَهَارِسُ المَوْضُوْعِيَّةُ[1]

تَقْرِيْظُ الشَّيْخِ الجِبْرِيْنَ ..... (٥)

المُقَدِّمَةُ : ..... (٧-١١)

المَدْخَلُ الأوَّلُ : أهَمِيَّةُ طَلَبِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ ..... (١٥-٢٧)

خَطَأ العَامَّةِ في قَوْلِهم : قِيْمَةُ كُلِّ امْرِئ مَا يُحْسِنُ / ح ..... (١٦)

أسْبَابُ عَدَمِ ارْتِقَاءِ طَالِبِ العِلْمِ ..... (٢١)

المَدْخَلُ الثَّاني : فَضْلُ عُلُوْمِ الغَايَةِ عَلَى عُلُوْمِ الآلَةِ ..... (٢٩-٣٣)

المَدْخَلُ الثَّالث : وفيه أرْبَعُ طَلائِعَ ..... (٣٥-٣٩)

الطَّلِيْعَةُ الأوْلَى : الوَقْتُ المُقَدَّرُ لِقِرَاءةِ كُلِّ مَرْحَلَةٍ ..... (٣٦)

الطَّلِيْعَةُ الثَّانِيَةُ : مُرَاعَاةُ تَرْتِيْبِ قِرَاءةِ كُتُبِ المَرَاحِلِ بحَسَبِ التَّسَلْسُلِ ..... (٣٧)

الطَّلِيْعَةُ الثَّالِثَةُ : أهَمِيَّةُ اخْتِيَارِ طَبَعَاتِ الكُتُبِ ..... (٣٧)

الطَّلِيْعَةُ الرَّابِعَةُ : طُرُقُ قِرَاءةِ مَرَاحِلِ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) ..... (٣٨)

الطُّرُقُ الأرْبَعَةُ لشَرْحِ وفَهْمِ (المَنْهَجِ العِلْمِيِّ) ..... (٣٨)

---

(١) كُلُّ مَا كَانَ مِن اسْتِدْرَاكٍ أو فَائِدَةٍ أو غَيْرِهما في الحاشِيةِ، فَقَدْ رَمَزْنا لَهُ بِحَرْفِ الحاءِ المُهْمَلةِ (ح) تَمْيِيزًا لَها عَنْ أصْلِ الكِتَابِ .

البَابُ الأوَّلُ : وفيهِ أرْبَعُ مَرَاحِلَ عِلْمِيَّةٍ ..... (٤١-٥٤)
المَرْحَلَةُ الأوْلى : وفيها ثَلاثَةَ عَشَرَ كِتَابًا ..... (٤٣-٤٤)
طَرِيْقَةُ قِرَاءةِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ / ح ..... (٤٣)
المَرْحَلَةُ الثَّانيَةُ : وفيها تِسْعَةَ عَشَرَ كِتَابًا ..... (٤٥-٤٧)
المَرْحَلَةُ الثَّالثَةُ : وفيها سَبْعَةَ عَشَرَ كِتَابًا ..... (٤٨-٥٠)
وقْفَةٌ عِلْمِيَّةٌ مَعَ تَحْقِيْقِ الألْبَانِيِّ لكُتُبِ «السُّنَنِ الأرْبَعَةِ» / ح ..... (٤٨)
المَرْحَلَةُ الرَّابعَةُ : وفيها أرْبَعَةَ عَشَرَ كِتَابًا ..... (٥١-٥٤)
وقْفَةٌ عِلْمِيَّةٌ مَعَ أهمية تَقْرِيْبِ كِتَابِ «مِنْهَاجِ السُّنةِ النَّبوِيَّةِ» / ح..... (٥٢)
اسْتِدْرَاكٌ عَلَى كِتَابِ «النَّحْوِ الوَافي» لعَبَّاس حَسَنَ / ح ..... (٥٢)
البَابُ الثَّاني : وفيهِ خَمْسُ تَنَابِيْه ..... (٥٥-٦٣)
التَّنْبِيْهُ الأوَّلُ : لطَالِبِ العِلْمِ حَقُّ الاخْتِيَارِ في قِرَاءةِ المَرَاحِلِ..... (٥٧)
أهَمِيَّةُ قِرَاءةِ وتَدَبُّرِ المَرْحَلَتَيْنِ الأُوْلَتَيْنِ ..... (٥٧)
التَّنْبِيْهُ الثَّاني : لُزُوْمُ جَادَّةِ السَّلَفِ لمَنْ تَجَاوَزَ قِرَاءةِ المَرَاحِلِ ..... (٥٧)
التَّنْبِيْهُ الثَّالثُ : اقْتِضَاءُ العِلْمِ العَمَلُ ..... (٥٨)
التَّنْبِيْهُ الرَّابعُ : العِلْمُ نِصْفَانِ ..... (٦٠)
التَّنْبِيْهُ الخَامسُ : أهْلِيَّةُ مَنْ أتْقَنَ المَرَاحِلَ للفَتْوَى والتَّدْرِيْسِ ..... (٦٣)
البَابُ الثَّالثُ : وفيهِ ثَلاثُ عَزَائِمَ ..... (٦٥-٧٩)

العَزِيْمَةُ الأُوْلى : الوِصَايَةُ بِقِرَاءةِ بَعْضِ كُتُبِ السَّلَفِ العِلْمِيَّةِ ..... (٦٧)
اسْتِدْرَاكٌ عَلَى كِتَابِ «الجِهَادِ والقِتَالِ» لِمُحَمَّدٍ هَيْكَلٍ / ح ..... (٦٩)
اسْتِدْرَاكٌ عَلَى كِتَابِ «صَفَحَاتٍ مِنْ صَبْرِ العُلَمَاءِ» لأبي غُدَّةَ / ح..... (٧٠)
إلمَاحَةٌ عَنْ إصْدَارِ كُتُبِ مُحَمَّدٍ الأمِيْنِ الشِّنْقِيْطِيِّ / ح..... (٧٤)
إلمَاحَةٌ عَنْ إصْدَارِ كُتُبِ شَيْخِ الإسْلامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ / ح ..... (٧٤)
إلمَاحَةٌ عَنْ إصْدَارِ كُتُبِ ابنِ قيِّمِ الجَوزِيَّةِ / ح ..... (٧٥)
إلمَاحَةٌ عَنْ إصْدَارِ كُتُبِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ / ح ..... (٧٥)
العَزِيْمَةُ الثَّانِيَةُ : الوِصَايَةُ لطَالِبِ العِلْمِ بالْتِزَامِ (وِرْدٍ عِلْمِيٍّ)..... (٧٦)
اسْتِدْرَاكٌ عَلَى كِتَابِ «قَطْرِ النَّدَى وبَلِّ الصَّدَى» لابنِ هِشَامٍ / ح ..... (٧٨)
العَزِيْمَةُ الثَّالِثَةُ : الوِصَايَةُ للعَامَّةِ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ ..... (٧٨)
بَيَانُ مَعْنَى العَامَّةِ / ح ..... (٧٨)
لَطِيْفَةٌ : مُنَاسَبَةُ اقْتِصَارِ الكُتُبِ الثَّمانِيَةِ بأبْوَابِ الجَنَّةِ الثَّمانِيَةِ ..... (٨٠)
البَابُ الرَّابِعُ : وفيهِ خَمْسَةُ عَوَائِقَ ..... (٨١-١٥٣)
ذِكْرُ وسَرْدُ ثَمانِيَةٍ وثَلاثِيْنَ عَائِقًا مِنْ عَوَائِقِ العِلْمِ ..... (٨٣)
ذِكْرُ جَامِعِ الغَوَائِلِ : (حُبُّ الدُّنْيا، والدُّخُوْلُ عَلَى السَّلاطِيْنِ) ..... (٨٤)
العَائِقُ الأوَّلُ : حُبُّ الدُّنْيا وزِيْنَتِها ..... (٨٥)
العَائِقُ الثَّانِي : الدُّخُوْلُ عَلَى السَّلاطِيْنِ ..... (٨٩)

أهَمِيَّةُ قَصِيْدَةِ أَبِي الحَسَنِ عَلِيَّ الجُرْجَانِيَّ / ح ..... (٩٣)
الحَالاتُ الثَّلاثُ الَّتِي يَجُوْزُ فيها الدُّخُوْلُ عَلى السُّلْطَانِ ..... (٩٦)
العَائِقُ الثَّالِثُ : تَعْظِيْمُ عُلُوْمِ الدُّنْيَا، والاشْتِغَالِ بها ..... (٩٧)
إجْمَاعُ السَّلَفِ أنَّ العِلْمَ مَا جَاء عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ..... (٩٨)
مُخَالَفَةُ الكُفَّارِ مَنْفَعَةٌ وصَلاحٌ لَنا؛ ولَوْ كَانَ فيه إتْقَانٌ ..... (٩٨)
نُكْتَةٌ عِلْمِيَّةٌ ذَكَرَها الحَافِظُ أَبُو حَاتِمٍ رَحِمَهُ اللهُ في العِلْمِ ..... (٩٩)
بَيَانُ أنواعِ العُلُوْمِ : نَوْعٌ تَكْمُلُ به النَّفْسُ، ونَوْعٌ لا تَكْمُلُ به ..... (١٠١)
مَعَاني العِلْمِ : مُطْلَقٌ (الشَّرْعِيُّ)، ومُقَيَّدٌ (الدِّنْيَوِيُّ) ..... (١٠٤)
بَيَانُ خَطأ التَّفْرِيْقِ بَيْنَ الدِّيْنِ والعِلْمِ ..... (١٠٥)
مَوْقِفُ وخِلافُ أهْلِ العِلْمِ في تَعَلُّمِ العُلُومِ الدِّنْيَوِيَّةِ ..... (١٠٧)
اشْتِرَاطُ الشَّوكَانِيِّ في تَعَلُّمِ العُلُومِ الدِّنْيَوِيَّةِ ..... (١٠٨)
الرَّدُّ عَلى الشَّوكَانِيِّ في اشْتِرَاطِ تَعَلُّمِ العُلُومِ الدِّنْيَوِيَّةِ ..... (١٠٩)
بَيَانُ أخْطَاء العُلُوْمِ الإدَارِيَّةِ، والنَّفْسِيَّةِ (البَرْمَجَةِ العَصَبِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ)..... (١١١)
أسْماءُ الكُتُبِ الَّتي تَكَلَّمَتْ عَنْ خَطَرِ (البَرْمَجَةِ العَصَبِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ) / ح .... (١١٤)
أضْرَارُ نَشْرِ العُلُوْمِ الإدَارِيَّةِ، والنَّفْسِيَّةِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ ..... (١١٢-١١٤)
العَائِقُ الرَّابِعُ : التَّخَصُّصُ (الجَامِعِيُّ!) ..... (١١٥)

التَّخَصُّصَ العِلْمِيَّ (الجَامِعِيَّ) قِسْمَانِ : مَحْمُوْدٌ، ومَذْمُوْمٌ ..... (١١٦)

التَّخَصُّصُ المَحْمُوْدُ : مَنْ جَمَعَ بَيْنَ القَدْرِ الوَاجِبِ وغَيْرِه ..... (١١٦)

تَعْرِيْفُ عُلُوْمِ الغَايَةِ، وعُلُوْمِ الآلَةِ / ح ..... (١١٦)

مَعْنَى قَوْلِ المُتَقَدِّمِيْنَ : أُصُوْلِيٌّ، فَقِيْهٌ، مُفَسِّرٌ، مُحَدِّثٌ وغَيْرُه ..... (١١٦)

التَّخَصُّصُ المَذْمُوْمُ : مَنْ لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ القَدْرِ الوَاجِبِ وغَيْرِه ..... (١١٧)

مَعْنَى قَوْلِ المُتَأَخِّرِيْنَ : أُصُوْلِيٌّ، فَقِيْهٌ، مُفَسِّرٌ، مُحَدِّثٌ وغَيْرُه ..... (١١٧)

المَزَالِقُ الأَرْبَعَةُ فِي التَّخَصُّصِ (الجَامِعِيِّ) : ..... (١١٨-١٢٦)

المَزْلَقُ الأَوَّلُ : تَقْطِيْعُ أَوَاصِرِ التَّرَابُطِ بَيْنَ عُلُوْمِ الشَّرِيْعَةِ ..... (١١٨)

المَزْلَقُ الثَّانِي : الخَلْطُ بَيْنَ فَهْمِ عُلُوْمِ الآلَةِ، وهُوَ قِسْمَانِ : ..... (١٢١)

القِسْمُ الأَوَّلُ : فَهْمٌ وَاجِبٌ ..... (١٢١)

القِسْمُ الثَّانِي : فَهْمٌ مُسْتَحَبٌّ ..... (١٢١)

الأَخْطَاءُ العِلْمِيَّةُ فِي تَخَصُّصِ عُلُوْمِ الآلَةِ، وهُمَا خَطَاءانِ : ..... (١٢٤)

الخَطَأُ الأَوَّلُ : ادِّعَاءُ مَرَاتِبِ الاجْتِهَادِ ..... (١٢٤)

الخَطَأُ الثَّانِي : تَضْيِيْعُ الأَوْقَاتِ، وتَبْدِيْدُ الجُهُوْدِ ..... (١٢٤)

المَزْلَقُ الثَّالِثُ : تَغْلِيْبُ جَانِبَ الوَسَائِلِ عَلَى المَقَاصِدِ ..... (١٢٥)
المَزْلَقُ الرَّابِعُ : التَّنَاقُضُ فِي العُلاقَةِ بَيْنَ عُلُوْمِ الغَايَةِ والآلَةِ ..... (١٢٦)
العَائِقُ الخَامِسُ : فُضُوْلُ المُبَاحَاتِ ..... (١٢٨)
خَطَرُ التَّرفِ والسَّرَفِ والتَّنَعُّمِ ..... (١٢٩)
فُضُوْلُ الكَلامِ : ..... (١٣٠)
مَعْنَى فُضُوْلُ الكَلامِ عَنْدَ السَّلَفِ ..... (١٣٤)
فُضُوْلُ الطعامِ : ..... (١٣٥)
صِفَةُ الحِمْيَةِ الشَّرعِيَّةِ ..... (١٤٠)
الحَذَرُ مِنَ «الرِّجِيْمِ» الحَادِثِ ..... (١٤١)
طَرِيْقَةُ الرِّيَاضَةِ فِي كَسْرِ شَهْوَةِ البَطْنِ ..... (١٤١)
فُضُوْلُ النَّظَرِ : ..... (١٤٢)
فُضُوْلُ النَّوْمِ : ..... (١٤٧)
مَنْهَجُ السَّلَفِ فِي النَّوْمِ : ..... (١٤٧)
فُضُوْلُ المُخَالَطَةِ : ..... (١٤٨)
أَقْسَامُ الاجْتِمَاعِ بالإخْوَةِ الصَّالِحِيْنَ (قِسْمانِ) : ..... (١٥٠)
الآفَاتُ الثَّلاثَةُ مِنَ الاجْتِمَاعِ بالإخْوَةِ الصَّالِحِيْنَ ..... (١٥٠)
الوَصِيَّةُ بِقِرَاءةِ كُتُبِ «الزُّهْدِ» ..... (١٥١)

النَّصِيحَةُ السَّنِيَّةُ مِن ابنِ تَيْمِيَّةَ لابنِ القَيِّمِ ..... (١٥١)
مَعنَى «الزُّهْدِ» : ..... (١٥٢)
الإجَازَاتُ العِلْمِيَّةُ : ..... (١٥٥-١٦٣)
أَهَمِيَّةُ الإجَازَاتِ العِلْمِيَّةِ : ..... (١٥٧)
أَسْماءُ أَهْلِ الإجَازَةِ ..... (١٥٨-١٦٣)
شُرُوطُ الإجَازَةِ، والمُجَازِ : ..... (١٦٣)
عُنْوَانُ مَوْقِعِ الشَّيْخِ في الإنْتَرْنِتْ . (المُشْرِفُ عَلى المَوْقِعِ) / ح ..... (١٦٣)
اللَّطَائِفُ العِلْمِيَّةُ : ..... (١٦٥-١٦٧)
الفَهَارِسُ العَامَّةُ : ..... (١٦٩-١٩٥)
ثَبَتُ المَراجِعِ : ..... (١٧١-١٧٤)
فِهْرِسُ الآيَاتِ : ..... (١٧٥-١٧٦)
فِهْرِسُ الأَحَادِيْثِ : ..... (١٧٧-١٧٨)
فِهْرِسُ الآثَارِ : ..... (١٧٩-١٨٣)
فِهْرِسُ الأَشْعَارِ : ..... (١٨٥-١٨٨)
الفَهَارِسُ المَوْضُوْعِيَّةُ : ..... (١٨٩-١٩٥)

سِلْسِلَةُ إِصْدَارَاتِ المُؤَلِّفِ

١ـ «الرِّيْحُ القَاصِفُ عَلَى أَهْلِ الغِنَاءِ والمَعَازِفِ» مُجَلَّدٌ .

٢ـ «كَفُّ المُخْطِئ عَنِ الدَّعْوةِ إلى الشِّعرِ النَّبطي» مُجَلَّدٌ .

٣ـ «أَحْكامُ المُجاهِرِيْنَ بالكَبَائِرِ» مُجَلَّدٌ .

٤ـ «قِيادَةُ المَرأةِ للسيَّارةِ بَيْنَ الحقِّ والبَاطِلِ» غِلافٌ .

٥ـ «تَسْدِيْدُ الإِصَابَةِ فيما شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابةِ» مُجَلَّدٌ .

٦ـ «فِلِسْطِيْنُ والحَلُّ الإِسْلامِي» غِلافٌ .

٧ـ «فِقْهُ الإِنْكَارِ باليدِّ ـ دِرَاسَةٌ ونَقْدٌ» غِلافٌ .

٨ـ «كُسُوْفُ الشَّمْسِ بَيْنَ التَّخْوِيْفِ والتَّزْيِيْفِ» غِلافٌ .

٩ـ «النَّكْسَةُ التَّارِيْخِيَّةُ» غِلافٌ .

١٠ـ «حَقِيْقَةُ كُرَةِ القَدَمِ» مُجَلَّدٌ . دِرَاسَةٌ شَرْعِيَّةٌ مِنْ خِلالِ فِقْهِ الوَاقِعِ.

١١ـ سِيْرَةُ «شَيْخِ الإِسْلامِ ابنِ عُثَيْمِيْنَ» غِلافٌ .

١٢ـ سِيْرَةُ «شَيْخِ الطَّبَقَةِ حُمُوْدِ العُقْلاءِ» غِلافٌ .

١٣ـ «المَنْهَجُ العِلْمِيُّ لطُلابِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ» مُجَلَّدٌ .

١٤ـ «تَحْرِيْرُ المَقَالِ في عُشَّاقِ طَلالٍ» غِلافٌ .

١٥ـ «ظَاهِرَةُ الفِكْرِ التَّربَويِّ» مُجَلَّدٌ .

١٦ـ«التَّعْلِيْقَاتُ العِلْمِيَّةُ عَلَى العَقِيْدَةِ الوَاسِطِيَّةِ» غِلافٌ .

١٧ـ «الوَجَازَةُ في الأَنْبَاتِ والإِجَازَةِ» مُجَلَّدٌ .

سَيَصْدُرُ للمؤلِّفِ إنْ شَاءَ الله

١ـ «مَسَالِكُ التَّحْدِيْثِ شَرْحُ اخْتِصَارِ عُلُوْمِ الحَدِيْثِ» شَرْحٌ كَبِيْرٌ .

٢ـ «المَرْجِعُ شَرْحُ الرَّوْضِ المُرْبِعِ» شَرْحٌ كَبِيْرٌ .

٣ـ «الأضْوَاءُ الأثَرِيَّةُ عَلَى الرِّسَالَةِ التَّدْمُرِيَّةِ» شَرْحٌ كَبِيْرٌ .

٤ـ «الدُّررُ البَهِيَّةُ شَرْحُ مُتَمِّمَةِ الآجُرُّومِيَّةِ» شَرْحٌ كَبِيْرٌ .

٥ـ «مُتَمِّمَةُ الآجُرُّمِيَّة» للحَطَّابِ . تَحْقِيْقٌ .

٦ـ «عِزَّةُ العُلَمَاءِ» .

٧ـ«أدَبُ الكِتَابِ الإسْلامِيِّ» .

٨- «التَّحْقِيقُ في إطْلاقِ التَّكفِيرِ والتَّفْسِيقِ» .

٩ـ «الاعْتِبَارُ بالكِتَابِ والسُّنَّةِ والآثَارِ» .

وغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الكُتُبِ المُفيدَةِ إنْ شَاءَ الله .